# فاطمة و الخلافة

(دراسة لدور الزهراء في مسيرة النبوة والامامة)

الشيخ محمد رضا النعمانى

## مقدمة

الحمد للّٰه ربّ العالمين و الصلاة والسلام على محمد و آله الطاهرين..

ما من شك ان التاريخ لم يَفِ للزهراء فاطمة عليها السلام حقها، رغم مكانتها السامية و مقامها الكبير عندالله تعالى و رسوله صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، و ما انفردت به من خصائص دون سواها. فاذا تصفحنا التاريخ فسوف نجد حوادث و وقائع غير مترابطة لا تعبّر- غالباً- عن شخصيتها و دورها في مسيرة الاسلام.

و قد يبررّ البعض ذلك بوهج أبيها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، و تاريخه المشرق و سيرته العطرة، التي هي كالشمس يخبو عندها كل نور مهما عظمُ و توهج.

و قد يقول البعض ان عمرها القصير، و الفتره المحدودة التي عاشتها عبد أبيها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لم يتح لها الكثير مما كان يجب ان يسجله التاريخ عنها في صفحاته، باستثناء بعض المواقف التي تتعلق بفدك و الخلافة.

و نحن و ان كنا لا نقلل من أهمية تلك المبررات ولكننا في الوقت نفسه نقول ان تلك المبررات- أو غيرها- لا تعفي الباحثين من تتبع سيرة حياتها الكريمة و تسجيلها بكل إجلال و تقديس، و ذلك لأنّ الزهراء لم تكن- من منظور السماء و النبوة- مجرد بنتاً للرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، أو امرأة جسدت اروع نماذج المرأة المسلمة في مجتمع النبوة المقدس، بل كانت كما تفيد النصوص القطعية المتواترة: مضموناً هائلاً يمثل معلماً من اهم معالم الاسلام، و ركناً من اهمّ اركانه.

و لهذا السبب لو تتبعنا السيرة و التاريخ بعينٍ بصيرة سنجد ان أعباء الاهمال الكبير، و التجاهل المتعمّد لشخصيتها و دورها، تتحمله السياسة و القادة الذين تقلبوا على عرش الخلافة، فهم بين سابٍ لها و لاعن، إلى مستهزءٍ ساخر و لن تجد الّا القليل- على امتداد مسيرة مئات الاعوام من وقف عند الحد الادنى مما تستحقه فاطمة الزهرا عليها السلام.

يروي ابن عبد ربه في العقد الفريد: ان المهدي رأى في منامه شريكاً القاضي مصروفا وجهه عنه فلما انتبه قص رؤياه على الربيع فقال: ان شريكاً مخالف لك و انه فاطمة محضاً. قال المهدي: عليّ بشريك فأتى به فلما دخل عليه قال: بلغني انك فاطمي؟ قال: أُعيذك باللّٰه ان تكون غير فاطمى إلّا ان تعنى فاطمة بنت كسرى.

قال: لا ولكن اعنى فاطمة بنت محمد. قال: فتلعنها؟ قال: لا معاذ اللّٰه قال: فما تقول في من يلعنها؟ قال: عليه لعنه اللّٰه(١.(

و كذلك عن يحيى بن يعمر العامري قال:

بعث إلى الحجاج فقال: يا يحيى انت الذي تزعم أن ولد على من فاطمة ولد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم؟ قلت له: إن أمنتني تكلمت. قال: فانت آمن. قلت له: نعم اقرأ عليك كتاب اللَّه، ان اللَّه يقول: (و وهبنا له اسحاق و يعقوب كلاً هدينا- إلى ان قال- و زكريا و يحيى و عيسى و الياس كل من الصالحين)(٢.(

و عيسى كلمة اللَّه و روحه القاها إلى العذراء البتول، و قد نسبه اللَّه تعالى إلى ابراهيم عليه السلام. قال: ما دعاك إلى نشر هذا و ذكره؟ قلت: ما استوجب اللَّه عز و جل على أهل العلم في علمهم (لتبيّنّنّهُ للناسِ و لا تَكتُمنَهُ)(٣.(

قال: صدقت و لا تعودنّ لذكر هذا و لا نشره)(٤.(

لقد وجد هؤلاء ان مسيرتها و تأريخها يترابط ترابطاً تاماً مع مسيرة زوجها اميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي كانت الزهرا عليهاالسلام تؤمن بأن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد نص عليه التولى الخلافة من بعده، كما في حديث المنزلة، و حديث الدار، و في خطبة الغدير و غيرها من النصوص. فكان من الطبيعي- بحسب منطق الاحداث المادية- أن يُطمس تاريخها إلى درجة غير معقولة. فترى الاضطراب و التشويش والتحريف في تاريخ ولادتها و وفاتها و سيرتها و مواقفها سلام اللَّه عليها، و هي ريحانه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و موضع اهتمامة و رعايته. و كان المسلمون يعرفون ذلك من فمه و سيرته معها و ذلك يكفي للاهتمام غايه الاهتمام لا العكس.

على كل حال فان المؤرخين، الذين كتبوا السيرة و التاريخ في ظل الحكومات و الخلافات المعادية لاهل البيت، و وظفوه لخدمة السلطان و مصالحه الذاتية، مقابل فتات لا قيمه له من الدراهم و الدنانير، قد غابت عنهم حقيقه ربانية، و سنّة الهيه من سنن الكون، و هي (ان اللَّهَ متمّ نورهِ و لو كَرِهَ الكافرونَ) فما قد يُغيّب من حقائق، استجابه لرغبه السلطان، أو الهوى، أو المصالح الفردية و المذهبية، ستظهر كما هي بعد حين. و الشواهد التاريخية على ذلك اكثر من ان تحصى.

يقول عمر بن عبدالعزيز:

كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته، حتى إذا صار إلى ذكر عليّ و سبّه تقطع لسانه، و اصفر وجهه و تغيرت حاله. فقتل له في ذلك فقال: أو قد فطنت لذلك؟

إن هولاء لو يعلمون مِنْ علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل)(٥.(

و في هذا الكتاب حاولت أن القى الضوء على دور الزهرا عليهاالسلام في المسيرة الاسلامية و هل انّ ما صدر عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشأنها كان

**ضمن المنهج الرباني في تكريس واقع الامامة في الحياة، بالنحو الذي يكون دورها في مرحلة ما بعد الرسول كدور الانبياء في أداء مهمة محددّة، و انها- ضمن هذا المخطط- هي التي ستتحمل مهام ذلك الدور و تلك المسؤولية، لتكون حجةاللَّه البالغة في تثبيت خط الخلافة الصحيح بعد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و ان ما صدر بحقها يفوق التكريم و التبجيل، ليرقى إلى اعلى و اسمى الوان القداسة الدينية، اذ لو كان دور الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم البلاغ، فان دورها كان تطبيقه على واقع الحياة، و هذا يقتضي جهداً مضاعفاً تحملته الصديقة الكبرى.**

**و كان بالامكان دراسة حياة الزهرا عليهاالسلام على عدة اصعدة و بمستويات مختلفة و زوايا متنوعة، و قد نصل إلى نتائج اكثر اهميتة عن حياتها و دورها و موقعها في المسيرة الاسلامية، إلّا اني وجدت ان البحث عن اكتشاف حلقات الترابط بين ما صدر بشأنها من نصوص من جانب، و بين مواقفها و دورها في تثبيت خط الامامة بعد وفاة الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم تفرضه اكثر من ضرورة، لاننا في الوقت الذي نؤمن بان حبّ أهل البيت و مودتهم فريضة واجبة و أحد الثوابت الاسلامية القطعية بنص القرآن الكريم، نؤمن كذلك بضرورة فهم ادوارهم و مواقفهم في خدمة الاسلام و تضحياتهم من اجله، فما قام الاسلام في حياة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الا بسيف علي عليه السلام و اموال خديجة عليهاالسلام و ما استمرّ بعده صلى اللَّه عليه و آله و سلم الا بتضحيات أهل بيته عليهم السلام و كانت صلوات اللَّه عليها اول المجاهدين و المضحين، فيجب ان نفهم هذا الدور على اساس الوفاء لهم و الاقتداء بهم.**

**فقررت المضي على هذا المنهج في دراستي لحياة الزهراء عليهاالسلام و تركت الاجابة إلى ما سينتهي إليه هذا البحث المتواضع. ولكن بنفس الوقت أوكد على ان دور الزهرا عليهاالسلام في المسيرة النبوية و جهادها و تضحيتها و مواقفها، و الهدفية في كل تلك المواقف غابت أو غُيبت ما عمداً من قبل المغرضين الحاقدين، أو نُسيت من قبل المحبين، و لم يبقّ منها غير الضلامة و تاريخ القهر و الاضطهاد و المائب التي صُبت عليها. اما لماذا ظُلمت، و لماذا ثارت؟ فامور قد غابت الاجابة عنها في معظم ما يكتب عن الزهراء عليهاالسلام رغم اهميتها. و قد بذلت جهدي في ابراز هذا الدور وفاءً لأم الأئمة التي حبها دين، و بغضها كفر، و من اجدر منها بذلك و هي التي باهل بها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بأمر اللَّه عز و جل نصارى نجران فقال:**

)فَمَن حَآجّكَ فِيهِ من بَعدِ مَا جَآءَكَ مِنَ العِلم فَقُل تَعَالَوا نَدعوا أَبنَاءَنا و أَبنآءَكُم وَ نِسآءَنا وَ نِسآئَكُم وَ أَنفُسَنا وَ أنفسكم ثمّ نَبتَهل فَنجَعَل اللَّهِ لَعنةَ اللَّهِ على الكَاذِبينَ)(٦).(

و قال عز و جل فيها و في ذريتها: (قل لاَ أَسئلَكم عليه اجراً الّا المودة في القُربى.(

ثم وجدت من الصعب ان اكتب بحثاً تحليلاً متواضعاً عن أهمية دور الزهراء في مسيرة الاسلام و تاريخه من دون ان اتعرض إلى حياتها الكريمة التي لا زالت بكراً رغم الكثير الذي كتب عنها فالزهراء عليها السلام ليست تاريخاً نقف عنده كنصوص جامدة رويت لنا من مصادر مختلفة، بل الزهراء قضية دين و أمة، و سيرة و قدوة، لقد سارت فاطمة على خطى ابيها فكانت نموذجه الثاني في معظم اقواله و اعماله و خصائصه.

و علينا و نحن في القرن الحادي و العشرين الميلادي و قد توسعت آفاق المعرفة البشرية، و تطورت في المدارك العقلية، و اصبح الناس اكثر ميلاً إلى ثقافة تنسجم- في اسلوب عطائها- مع اساليب العصر حتى في الدراسات و الابحاث التي هي من هذا القبيل، و التي تتصف بالمحدودية، انها بحاجة إلى تقديم جديد ينسجم مع ثوابت الاسلام و سيرة أهل البيت عليهم السلام، و مع ثقافة العصر و تطور مسيرة المعرفة الانسانية.

بهذه الروح و على هذا الضوء أحببت ان اقف عند شخصية الزهراء عليهاالسلام، الشخصية الرائدة الشجاعة، المستبسلة في ذات اللَّه عز و جل المصممة على اداء مهمة تثبيت خط الامامة و الخلافة راجباً المولى تعالى ان يكتب لي التوفيق في ذلك، اداءً لحق بضعة المصطفى و روحه التي بين جنبيه، و الحمد للَّه ربّ العالمين.

## موجز السيرة الذاتية للزهراء

### ولادتها و نشأتها و سجاياها

اختلفت الروايات في تاريخ ولادتها عليهاالسلام و بما ان منهجنا يقوم على الاختصار، فسوف اقتصر على بعض تلك الروايات.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد في كتاب حدائق الرياض انه يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد السيدة الزهرا عليهاالسلام سنة اثنين من المبعث)(٧).(

و منها: ما قاله ابوالفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين من ان مولدها كان قبل النبوة و قريش حينئذٍ تبني الكعبة)(٨) و يذكر ابوالفرج انّ علياً تزوجها: في صفر بعد

مقدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم المدينة، و بنى بها بعد رجوعه من غزوة بدر، ولها يومئذٍ ثماني عشرة سنة.

و منها: ما رواه الكليني عن عبداللَّه بن جعفر و سعد بن عبداللَّه جميعاً، عن ابراهيم بن مهزيار عن اخيه على بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني: قال: سمعت ابا جعفر يقول:

»ولدت فاطمة بنت محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعد مبعث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بخمس سنين،

و توفيت و لها ثماني عشره سنة و خمسة و سبعون يوماً.»(٩.(

و منها: ما في مصباح الكفعمي قال:

»ولدت فاطمة عليهاالسلام في العشرين من جمادى الآخرة يوم الجعة سنة اثنين من المبعث و قيل: سنة خمس من المبعث »(١٠.(

و منها: ما في كتاب دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي، عن ابي المفضّل الشيباني، عن محمد بن همام، عن احمد بن محمد البرقي، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمن بن ابي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن ابي عبداللَّه عليه السلام:

قال: ولدت فاطمة في جمادى الاخرة اليوم العشرين منها سنة خمس و اربعين من مولد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فاقامت بمكه ثمان سنين، و بالمدينة عشر سنين، و بعد وفاه ابيها خمسا و سبعين يوما، و قبضت في جمادى الاخره يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة احدى عشره من الهجره.

هذا و قد ذكر المجلسى روايات اخرى عديده تذكر انها و لدت بعد النبوه بخمس سنوات من روايات أهل البيت و روايات أهل السنة.

و هناك روايات كثيره توكد على ان الزهراء عاشت ثمانيه عشر عاما و بضعه اشهر،و ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم توفي عن ثلاث و ستين عاماً على الاكثر.

قال ان الاثير: و اختلفوا في عمره يوم مات. فقال ابن عباس، و عائشة، و معاوية، و ابن المسيب: كان عمرة ثلاثاً و ستين سنة.

و قال ابن عباس أيضاً و ذغفل بن حنظله: كان عمره خمساً و ستين سنة، و قال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة)(١١.(

و ان اخذنا بالروايات التي تقول انها ولدت في السنة الثانية من البعثة فيجب ان نلتزم ان النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم توفي عن ستين عاماً و هو خلافت المروي و المعروف عند المسلمين. و إن جاءت فيه اقوال شاذة.

و على هذا يمكن ان يكون الاقرب للصحة ان الزهراء عليهاالسلام ولدت في العشرين من جمادى الاخرة في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم.

نشأت الزهراء صلوات اللّٰه و سلامه عليها في بيت الوحي و النبوة، و تربّت على يد خاتم المرسلين صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فتعلمت مكارم الاخلاق، و جميل الصفات فكانت كما كناها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم (ام ابيها.(

وقفت عليهاالسلام مع ابيها المصطفى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في كل مراحل حياته و جهاده من أجل الاسلام تذب عنه، و تدافع عن رسالته، تداوي جروحه في مكة، و في شعب ابي طالب حيث عاشت معه الحصار و الفاقه، ثم هاجرت معه إلى المدينة.

تقول ام سلمة: «تزوجني النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بعد ما دخل المدينة و فوض أمر ابنته إليَّ فكنت أودبها و كانت و اللّٰه اَأدب مني، و أعرف بالاشياء كلها»(١٢.(

تزوجت بأمر اللّٰه تعالى من على بن ابي طالب عليه السلام فكانت نموذجاً اسمى للزوجة في كل تفاصيل الحياة الزوجية سواءً في ادارة بيتها، أو تربية اولادها،أو علاقتها بزوجها. يقول علي عليه السلام:

)فواللّٰه ما أغضبتها، و لا اكرهتها على أمر حتى قبضها اللّٰه عز و جل، و لا اغضبتني، و لا عصت ليّ أمراً، و لقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم و الاحزان(

و سوف نتعرض إلى جوانب من حياتها و خصائصها و سجاياها فيا يأتي ان شاء اللّٰه.

## خصائص الزهراء و سجاياها

للزهراء الطاهرة سلام اللّٰه عليها خصائص كثيرة ضمتها كتب السيره و التاريخ، و يمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الاول: و الذي يمكن ان نسميه بالاجتباء و الاكرام الرباني لها و ذلك بمنحها جملة من الصفات و المقامات الرفعية السامية التي عربت عنها بعض تسمياتها و القابها كفاطمة و البتول و السيدة، و العذراء، و الزهراء و، و الحوراء، و المباركة، و الطاهرة و الزكية، و المحدّثة، و مريم الكبرى، و الصديقه الكبرى و غير ذلك.

**و لكل من هذه الاسماء معنى عقائدياً كبيراً و ليس مجرّد تسمية يراد بها التكريم و التعظيم فقد ورد مثلاً كما في عيون اخبار الرضا بالاسناد إلى دارم قال: «حدثنا علي بن موسى الرضا و محمد بن علي عليهماالسلام قالا: سمعنا المأمون يحدّث عن الرشيد عن المهدي، عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عباس لمعاوية:**

**أتدري لِمَ سميت فاطمةٌ فاطمةَ؟**

**قال: لا.**

**قال: لأنّها فُطمت هي و شيعتها من النار، سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقوله»(١٣.(**

**و روى كذلك عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:**

**»قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اني سميت ابنتي فاطمة لأن اللَّه عز و جل فطمها و فطم من احبها من النار»(١٤.(**

**وهذا يشير إلى جذور عقائدية عميقة لمعنى الحب الذي يعصم من دخول النار، و يجب ان نبحث بدقة عن تلك المبررات، و نحاول الربط الصحيح بين اطراف**

**القضية. أي معنى و مفهوم حب الزهراء الذي يفطم من دخول النار، و بين ما وعد اللَّه عز و جل من دخول العاصين النار، و كيف يحول حبها من دخول النار للعاصين و المذنبين.**

**و كذلك القول في اسمها الزهراء، و هو اسم يحمل معنى عقائدياً كبيرا، و قد جاء في تفسيره انها عليهاالسلام كانت إذا قامت إلى الصلاة يزهر نورها لاهل المساء كما تزهر الكواكب لاهل الأرض.**

**ورى الطالقاني عن الجلودي عن الجوهري، عن ابن عمارة عن أبيه قال:**

**سألت ابا عبداللَّه عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُميت زهراء؟.**

**فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زَهَرَ نورها لاهل السماء»(١٥.(**

**فما هو النور الذي يزهر لاهل السماء، هل هو نور انقطاعها الكامل إلى اللَّه عز و جل، أو نور اخلاصها العظيم في عبادتها للَّه ربّ العالمين أو كما يقول الامام الصادق عليه السلام:**

**سُميت الزهراء، لأنّ نورها اشتق من نور عظمة اللَّه سبحانه، و لمّا اشرق نورها غشي ابصار الملائكة فخروا إلى اللَّه سجداً و قالوا: إلهنا و سيدنا ما هذا النور؟ فاوحى إليهم هذا نوري اسكنته في سمائي، و أخرجه من صلب نبي من انبيائي، افضله على**

جميع الانبياء، و اخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري و يهدون إلى حقي، اجعلهم خلفائي في ارضى بعد انقضاء و حيى»(١٦).

فهل هو نور النبوة، و نور الامامة اجتمعا فيها دون غيرها من الخلق اجمعين، فهي بنت سيد المرسلين و ام الأئمة الطاهرين، و بها امتد النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نسباً و نبوة.

كل هذه الامور بحاجة إلى بحث و تحقيق لأنّها تتضمن معاني عميقه و دقيقة، و تكشف عن رؤية عقائدية رفيعة، لا ينبغي ان نمرّ عليها مرور الكرام.

و قد احسست ان من التقصير- غير المغفور- بحق الصديقة الكبرى أن أهمل تلك المعاني دون أن أدوي و لو نزراً يسيراً من حقها فقررت أن اعيش في رحاب تلك السيرة العطرة، و أمرُّ عليها لاشم عبقها و اريجها، مكتفياً بالاشارة و الاختصار، راجياً المولى تعالى ان يوفقني للكتابة عنها بما يجب و تستحق.

النوع الثاني: الصفات و الخصائص الذاتية المكتسبه، و التي تعبرّ عن حجم ايمانها العميق بالاسلام، عقيدة و شريعة و اخلاقاً، و الذي وصلت به إلى ذروة الكمال لا لأنّها المختارة المجتباة من رب العالمين فقط، بل و باعتبارها امرأة من سائرِ المسلمين اصبحت قدوه و مناراً، و عَلَماً للحق و نوراً يستضاء به سبب حجم ايمانها باللّٰه و تكمسها بدينها.

و إذا كانت مسيره الانسانية الصالحة بحاجة إلى القدوة (فبهداهم اقتده)(١٧).

خطاب للرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم (و لقد كان لكم في رسول اللّٰه اسوة حنسة)(١٨).

خطاب للانسانية المؤمنة، فان المسيرة الايمانية طفحت بزخم هائل من المقتدين الصالحين و سجلت لهم ذاكره التاريخ أجمل الصور واسماها فملئت صفحاتة زهواً و فخراً.

و برز من بين هؤلاء نماذج اصبحوا- بحق- قدوة القدوة و نموذجاً رائعاً لا يسع الانسان الّا ان يقف امامة اجلالاً و احتراماً.

و تأتي الزهراء في طليعة هولاء، بل سيدتهم جميعاً فكانت المثل الاروع في حبها لربها و لرسوله صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و في سلوكها الاخلاقي مع زوجها و اولادها و خادمتها، و في عبادتها و تقواها، و زهدها و تعففها، و جهادها في سبيل اللّٰه من اجل الامة والاسلام، و في شجاعتها و تنمرها في ذات اللّٰه عز و جل.

و رغم الظلم الفادح الذي نال الزهراء، بتعمد المؤرخين و كتّاب السيرة على طمس كل تلك المعالم و قد نجحوا- للأسف الشديد- في اخفاء الكثير تحت ضغط السياسات المعادية لاهل البيت عليهم السلام إلّا أن النزر اليسير الذي استعصى على اولئك اخفائه يصلح ان يكون مؤشراً على ما تمعت به الصديقه الكبرى من كمال جعلها في الذورة دنياً و اخلاقاً و ورعاً و زهداً. و بكلمة مختصرة: نموذجاً و تجسيداً حياً و صادقاً للاسلام بكل ما فيه من قيم.

و لنقف مع بعض الجوانب، و قفه اقتداء و وفاء و اداء لحق بضعة المصطفى و سيدة نساء العالمين، من خلال عرضٍ لبعض جوانب حياتها الشخصية.

أدبها مع أبيها محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم سيد الانبياء و المرسلين، و سيد ولد أدم أجمعين فكيف لا يحق للزهراء عليها السلام ان تعتز و تفتخر به فَمَن مثلُ محمد، و مَنْ يَعدِل محمداً، و من وصل إلى ما وصل إليه محمد من كمال و سمو و هو الذي قال عنه رب العالمين: (و انك لعلى خُلق عظيم)(١٩).

و مع ذلك نرى الزهرا عليهاالسلام تنظر إلى ابيها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نظرة المؤمن المتعبّد، السامع المطيع.

لم تقع عليهاالسلام تحت تأثير البُنوة له، فتتصرف معه كما يتصرف الابناء مع الآباء، رغم علمها بحجم حبه و مودته لها، و هي التي كانت تسمعه يقول: فاطمة بضعة مني، فاطمة روحي التي بين جنبي.

نظرت إليه كرسول لرب العالمين، قبل ان تنظر إليه كوالد، و تعاملت معه كما يتعامل المؤمنون مع الرُسل، و لم تسمح لروابط البُنوه بتجاوز آداب النبوة.

و كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم يحب ان يرى وحيدته الصديقة تتعامل معه كأب، يسمع منها ما يسمع الآباء من ابنائهم، و تتصرف معه كما يتصرفون، خاصة و هو يعلم انها استكملت الايمان، فلا يمكن ان يصدر منها ما لا يليق و شأن الانبياء.

و مع ذلك بقيت محتفظة بقدسية النبوة و آدابها، تنظر إلى ابيها كنبي، قبل ان تنظر إليه كأب، فلم تقل له يا ابه و انما يا رسول اللّٰه، مما دعاه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم إلى ان يقول لها: «قولي: يا أبه فإنّها احيى للقلب». فقد روى القاضي ابومحمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة:

لما نزلت (و لا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بضعاً)(٢٠).

هبتُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان اقول له: يا أبه فكنت اقول: يا رسول اللَّه فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليَّ فقال:

يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، و لا في اهلك و لا في نسلك، أنت مني و أنا منك إنما نزلت في أهل الجَفاء و الغِلظة من قريش اصحاب البذخ و الكبر قولي: يا أبه فإنّها احيى للقلب و ارضى للرب»(٢١).

و بهذا تعطي الزهراء عليهاالسلام درساً بليغاً في مستوى و طبيعة العلاقة بين القائد و ابنائه، فهي كما شهدنا لم تغلّب عاطفتها كبنت، على ما لمقام النبوة من جلال و احترام، و قدّمت ايمانها بابيها كرسول لربّ العالمين على كونها بنتاله خوفاً من ان يكون ندائها له بيا أبتي مشمول بقوله تعالى (و لا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)، و جاء الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم ليؤكد حقيقة تحمل من المعاني الكثير، و تدلل على ما للزهراء من مكانة سامية عنداللَّه و رسوله فيقول لها: يا فاطمة انها لم تنزل فيك و لا في اهلك و لا في نسلك، لانك جزء من الشخصية النبوية «أنت مني و أنا منك»، فلا يشملك الخطاب «فقولى يا أبه فإنّها احيى للقلب و ارضى للرب.«

لقد علمتنا كيف يجب ان نقف عند الحدود، و كيف نحترم القيم، و كيف نتعامل مع انفسنا و مع الناس، و كيف نجعل الايمان كابحاً للغرور و الطيش، فها هي فاطمة بنت محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم سيد الانبياء و المرسلين و الناس اجمعين، لم تتخذ من مكانتها و مقامها وسيلة للاستعلاء على الناس، أو التكبر عليهم، و بقيت كما هي في سيرتها تنظر إلى نفسها كواحدة من المسلمين، من دون امتيازات خاصة، أو استثناءات فردية تميزها عن الآخرين، رغم انها صلوات اللَّه و سلامه عليها تستحق اعظم الوان التكريم و التقدير.

## حُبها لأبيها

لقد أمر اللَّه عز و جل المؤمنين بحب رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم و مودته و أهل بيته علهيم السلام فقد روي عن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم انه قال:

»فو الذي نفسي بيده لا يؤمنُ احدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وَ وَلَده»(٢٢).

و عن أنس قال: قال النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدِهِ وَ وَلَدِه و الناس اجمعين»(٢٣).

و روى انس أيضاً عن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم انه قال:

ثلاث من كُنَّ فيه وجدَ حلاوة الايمان أن يكون اللَّه و رسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهُما»(٢٤.(

و مما لا ريب فيه ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ليس بحاجه إلى حب الناس، فهو حبيب رب لعالمين و نجيبه و صفيه، الذي كرّمه بما لم يكرّم به احد فقال عزوجل (ان اللَّه و ملائكته يصلون على النبي يا أيهاالذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما)(٢٥.(

الا ان الحكمة الربانية اقتضت اضافة إلى اعتبار حبه صلى اللَّه عليه و آله و سلم عبادة من اعظم العبادات، و طاعة من أوجب الطاعات، ان تكون العلاقة بين الرسول و امته من خلال قنوات الحب و المودة الخالصة، و توظيف هذه العلاقة إلى حب للمابدى ء و القيم الربانية التي جاء بها من عنداللَّه تعالى. فما اكبر الفرق بين من يُؤمن و هو لا يحب، و بين من يؤمن و يحب:

)محمد رسول اللَّه و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)(٢٦.(

و أكد القرآن للمؤمنين و المسلمين ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الذي امرنا اللَّه بحبه يحمل لهم في قلبه، و بين جوانحه من الحب اعظم مما يحمله المسلمون له من حب فقال عز و جل:

)ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)(٢٧.(

و جاء في روايات عديدة انه إذا كان يوم القيامة فان جميع الانبياء و الرسل يقولون: ربي نفسي الا نبينا محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم فانه ينادي: ربي امتي.

و في هذا المجال كانت الزهراء نموذجاً من اروع النماذج في حبها لابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقد امتلأت روحها الطاهرة بحبه ومودته و لم تكن تفارقة في سراء و لا ضراء.

و قد روى المؤرخون و الرواة بعضاً من تلك الصور نذكر بعضها:

يقول ابوثعلبة الخشني كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم إذا قدم من سفره يدخل على فاطمة، فدخل عليها فقامت إليه و اعتنقته و قبلت بين عينيه(٢٨.(

و تروي ام المؤمنين عائشة أن فاطمة كانت إذا دخلت على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قام لها من مجلسه، و قبّل رأسها و أجلسها مجلسه، و إذا جاء إليها لقيته و قبّل كل واحد منهما صاحبه و جلسا معاً(٢٩.(

و عن أبي علي الصولي قال عبداللَّه بن الحسن دخل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم على

**فاطمة فقدّمت له كسرة يابسة من خبز شعير فأفطر عليها ثم قال:**

**يا بنية هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثه ايام. فجعلت فاطمة تبكي و رسول اللَّه يمسح وجهها بيده(٣٠.(**

**و يروى عن ابي ايوب الانصاري قال:**

**انَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم مرض مرضه فاتته فاطمة عليهاالسلام تعوده و هو ناقه من مرضه- أي قد برى ء من علته و لكنه ضعيف- فلما رأت ما برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من الجهد و الضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها(٣١.(**

**و روي عن ابي ثعلبة الخشني يقول:**

**قدم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من غزاة له فدخل المجسد فصلى فيه ركعتين، و كان يعجبه إذا قدم ان يدخل المجس فيصلي فيه ركعتين، ثم خرج فأتى فاطمة عليهاالسلام فبدأ بها قبل بيوت ازواجه فاستقبلته فاطمة عليهاالسلام و جعلت تقبّل وجهه و عينيه وتبكي.**

**فقال لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: ما يبكيك؟**

**قالت: أراكَ قد شحب لونك.**

**فقال لها: يا فاطمة إنّ اللَّه عز و جل بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ و لا شَعرٍ إلّا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل»(٣٢.(**

**و عن عبداللَّه بن عابس قال:**

**لما حضرت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول اللَّه ما يبكيك؟**

**قال: ابكي لذريتي و ما تصنع بهم شرار امتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي و قد ظُلمت و هي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي.**

**فسمعت ذلك فاطمة عليهاالسلام فبكت.**

**فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: لا تبكي يا بنية.**

**فقالت: لست ابكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول اللَّه.**

**فقال لها: ابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فانك أول من يلحق بي من أهل بيتي(٣٣.(**

**و لم يحدثنا التاريخ عن احدٍ يفرح و يستبشر بالموت لانه يسلتحق بحبيبه غير الزهراء عليهاالسلام، تقول عائشة:**

**ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم دعا ابنته فاطمة عليهاالسلام فاسارّها فبكت، ثم سارّها فضحكت.**

**فقلت: ما هذا الذي سارّك به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فبكيت ثم سارّك فضحكت؟**

**فقالت: أخبرني بموته فبكيت ثم سارّني فأخبرني اني اول من يتبعه من أهله فحضكت»(٣٤.(**

---

1- البحار ج ٤٣ ص ٤٣.

2- الانعام ٨٥.

3- آل عمران ١٨٧.

4- بحار الانوار ج ٤٣:٢٢٨.

5- شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج ١٣:١٢٢.

6- آل عمران: ٦٠.

7- بحارالانوار، ج ٤٣:٨ ط دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

8- مقاتل الطالبيين: ص ٥٩: شرح و تحقيق السيد احمد الصقر.

9- البحار ج ٤٣:٩.

10- بحارالانوار ج ٤٣:٩.

11- الكامل في التاريخ ج ٢: ص ١٩٦.

12- بحارالانوار ج ٤٣ نقلاً عن دلائل الامامة.

13- بحارالانوار ج ٤٣: ص ١٢ و ذخائر العقبى ص ٢٦ ط عام ١٣٥٦ ه اصدار مكتبه القدسي، كنزالعمال ج ٦ ص ٢١٩.

14- بحارالانوار ج ٤٣:١٢.

15- بحارالانوار ج ٤٣:١٢.

16- وفاه الصديقه الزهراء للمقرم نقلا عن المختصر للحسن بن سليمان ط النجف.

17- الانعام.90:

18- الاحزاب:٢١.

19- القلم:٤.

20- النور:٦٣.

21- بحارالانوار ج ٤٣:٣٢.

22- صحيح البخاري ج ١:٧٠.

23- صحيح البخاري ج ١:٧٠.

24- صحيح البخاري ج ١:٧٠.

25- الاحزاب:٥٦.

26- الفتح:٢٩.

27- الاحراب :٤٣.

28- بحارالانوار ج ٤٣:٤٠.

29- راجع صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣١٩ ط مبعة بولا ق عام ١٢٩٢ ه- و مستدرك الصحيح ج ٣ ص ١٥٤ ط دائرة المعارف النظامية بحيدر آبادكن عام ١٣٢٤ ه.-

30- بحارالانوار ج ٤٣:٤٠.

31- بحارالانوار ج ٤٣:٩٧.

32- حلية الاولياء لابى نعيم ج ٢ ص ٣٠٠ مطبعة السعادة بمصر.

33- بحارالانوار ج ٤٣:٤٠، كنزالعمال ج ٧ ص ١١١ طبع دائرة المعارف النظامية.

34- صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢ باب فضائل فاطمة مطبعة بولاق.

## أدبها مع زوجها

سجلّ التاريخ للزهراء صلوات اللّه و سلامه عليها أجمل الصور التي جسدت أسمى نماذج العلاقة بين المرأة و زوجها في كل تفاصيل الحياة الأسرية، ابتداءً من علاقتها بزوجها إلى تربية اولادها و ادارة شوون بيتها، و انتهاءاً بموافقها التضحوية الباسلة في قضية الخلافة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و تعتبر حياة الزهراء، بما طفحت به من صور رائعة، القدوة لحياة المرأة والاسرة المسلمة و ما يجب ان يكونا عليه.

تبدأ مسيرة حياتها الزوجية بما استفاض في كتب الفريقين من ان اللّه عز و جل هو الذي أمر بتزويج فاطمة من علي عليه السلام.

فعن مسروق و عن ابن مسعود كلاهما عن النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم قال:

إن اللّه تعالى أمرني أن ازوج فاطمة من علي(١).

و في كتاب ابن مردويه، قال ابن سيرين: قال عبيدة: انّ عمر بن الخطاب ذكر علياً فقال: ذاك صهر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم نزل جبرئيل على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم فقال:

إنّ اللّه يأمرك ان تزوج فاطمة من علي(٢).

و عن انس قال: كنت عند النبي صلى اللّه عليه و آله و سلم فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي:

يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟

قال قالت: اللّه و رسوله أعلم.

قال: أمرني أن ازوج فاطمة من على...»(٣).

و لم تتميز الزهراء بما تتميز به بنات الملوك و السلاطين في مثل هذه المناسبات. لقد تزوجت من دون امتيازات أو استثناءات مادية. زواج سمته البساطة و التقشف في الوقت الذي كان بامكان ابيها صلى اللّه عليه و آله و سلم ان يقيم لها حفلاً يناسب شأنها و مكانتها من دون تجاوز حتى لحكم المكروه و ذلك بالانفاق عليها من أموال امها الطاهرة خديجة بنت خويلد عليهاالسلام التي ورثتها الزهراء عليهاالسلام، و كما هو معروف فان خديجة كانت من اثرياء العرب و المسلمين، و مع ذلك فان واقع النصوص الواردة عكست لنا صورة تتسم بابسط انواع الزهد و التقشف لزواج الزهراء عليهاالسلام قال:

كان فراش علي و فاطمة حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه.

قال: و كانت و سادتهما أداماً حشوها ليف.

قال: و كان صداقها درعاً من حديد(٤).

و يروي جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لمّا تزوج عليٌّ فاطمة بسط البيت كثيباً، و كان فراشهما إهاب كبش، و مرفقهما محشوة ليفاً، و نصبوا عوداً يوضع عليها السقاء فستره بكساء(٥).

و كانت سلام اللَّه عليها و هي بنت النبوة الخاتمة نقوم بكل شؤون بيتها حتى قال علي عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا احدثك عني و عن فاطمة إنها كانت عندي و كانت من أحب اهله إليه- أي إلى النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم- و انها استقت بالقربة حتى اثّر في صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها(٦)، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، و اوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فاصابها و من ذلك ضرر شديد(٧).

و استمرت وحيدة في ادارة شؤون بيتها، فتره طويلة من الزمن، يرهقها الاستقاء بالقربة، و الطحن بالرحى و غير ذلك من شؤون البيت.

و في يوم من الايام: رأى النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم فاطمة و عليها كساء من أجله الابل و هي تطحن بيديها و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقال:

يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

قالت: يا رسول اللَّه الحمدللَّه على نعمائه، و الشكر على آلائه.

فانزل اللَّه (و لسوف يعطيك ربك فترضى)(٨).

و كما يروي ابوهريرة فان النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم عند ذلك وهبها خادمة سماها فضة بعد نزول قوله تعالى (فقل لهم قولاً ميسورا) بعد أن كان يمتنع عن ذلك كما تشر النصوص(٩).

و كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد علّم علياً و فاطمة ما على كل واحد منهما من واجبات تجاه الآخر: فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه»(١٠).

و عن أبي جعفر عليه السلام قال:

ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت و العجين وقمّ البيت، و ضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، و ان يجيى ء بالطعام.

فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: والذي عظّم حقّك، ما كان عندنا منذ ثلاثه ايام شيء نقريك به.

قال: أفلا أخبرتني؟

قالت: كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء و الّا فلا تسأليه»(١١.(

يمكن مراجعة مصادر ذلك في: صحيح ابن ماجة في ابواب النكاح ص ١٣٩ و ابواب الزهد ص ٣١٦، و مستدرك الصحيحين ج ٢ ص ١٨٥، و مسند احمد ج ١ ص ٨٤، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥، و حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٢٩.

و يصف لنا علي عليه السلام حياته مع الزهراء الزكية فيقول:

فواللّٰه ما اغضبتها، و لا اكرهتها على أمر حتى قبضها اللّٰه عز و جل، و لا اغضبتني، و لا عصت لي أمراً، و لقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم و الاحزان»(١٢.(

و نحن لا نشك في ان العلاقه بين علي و الزهراء كانت كذلك، بل و اعظم و اسمى مما يرويه كتّاب السيرة و التاريخ، و ان الكثير من تلك الصور قد ضاعت مع السنين، أو غُيّبت عمداً و استبدلت بصور مشوهة و تافهة أساءت لبضعة المصطفى و وصيه المرتضى في محاولة لتهديم بيت النبوة و تشويه صورته الناصعة.

و قد يذهل المتتبع، لسيرة أهل بيت النبوة، و موضع الرسالة، من تلك التفاهات، التي تشم منها رائحة العداء الاموي و العباسي للزهراء و علي، فمن تلك الدسائس تمنّع الزهراء من الزواج بعلي:

اولاً: لسوء خِلقَتِهِ و عدم جماله!! فيروي أُبي عن بعض اصحابه رفعه قال:

كانت فاطمة عليهاالسلام لا يذكرها أحد لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم إلّا أعرض عنه حتى آيس الناس منها، فلما اراد ان يزوجها من علي أسرَّ إليها فقالت:

يا رسول اللّٰه أنت أولى بما ترى غير أنَّ نساء قريش تحدثني عنه انه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين و الكسنة ضاحك السن لا مال له)(١٣.(

و ثانياً: لفقره و قلة ما في يده فعن أبي هريره قال:

قالت فاطمة: يا رسول اللّٰه زوجتني علي بن ابي طالب و هو فقير لا مال له.

**فقال: يا فاطمة أما ترضين أن اللّٰه اطلّع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها رجلين:احدهما ابوك و الآخر بعلك)(١٤.(**

**و لا يعدمنا هؤلاء صوراً للخلافات الزوجية المفتعلة في داخل البيت الطاهر، و غضب الزهراء على اميرالمؤمنين تارة بسبب جارية أدخلها البيت دون إذنها فرأتها الزهراء وراس علي في حجرها كما يروون ذلك عن أبي ذر رحمةاللّٰه فيقولون على لسانه انه قال:**

**كنت انا و جعفر بن أبي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة فأُهديت لجعفر جارية قيمتها أربعه آلاف درهم فلما قدمنا المدينة أهداها لعلي عليه السلام تخدمه فجعلها علي في منزل فاطمة.**

**فدخلت فاطمة عليهاالسلام يوماً فنظرت إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت: يا أباالحسن فعلتها. فقال: لا واللّٰه يا بنت محمد ما فعلت شيئاً فما الذي تريدين؟ قالت: تأذن لي في المصير إلى منزل أبي رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم. فقال لها: قد اذنت لك...)(١٥.(**

**و غاب عن هؤلاء ان اباذر لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة.**

**و تارة لأن علياً عليه السلام خطب بنت أبي جهل على ما يروى البخاري في باب اصهار النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم باسناده عن المسور قال: ان علياً خطب نبت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك و هذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فسمعته حين تشهد يقول: اما بعد انكحت اباالعاص بن الربيع فحدثني و صدقني و ان فاطمة بضعة مني و اني اكره ان يسوئها، واللّٰه لا تجمتع بنت رسول اللّٰه و بنت عدو اللّٰه عند رجل واحد. فترك علي الخطبة.**

**و اخرى لخلافات غير معروفة كما يروي ذلك ابوهريرة فيقول: صلى بنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم الفجر ثم قام بوجهه كئيب وقمنا معه حتى صار إلى منزل فاطمة عليهاالسلام فابصر علياً نائماً بين يدي الباب على الدّفعاء، فجلس النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فجعل يمسح التراب، ثم أخذ بيده و دخلا منزل فاطمة فمكثنا هنيئه، ثم سمعنا ضحكاً عالياً؟! ثم خرج علينا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول اللّٰه دخلت بوجه كئيب**

**و خرجت بخلافه، فقال: كيف لا افرح و قد أصلحت بين اثنين أحب أهل الأرض إلى أهل السماء)(١٦.(**

**و الذي يروه الهيثمي في مجمعه غير ذلك اذ يروي عن ابن عباس أنه قال: لمّا آخى النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بين اصحابه من المهاجرين و الانصار فلم يواخ بين على بن أبي طالب عليه السلام و بين احدٍ منهم خرج مغضباً حتى اتى جدولاً فتوسد ذراعيه- إلى أن قال- فقال له: ما صلحت أن تكون الّا ابا تراب، اغضبت عليَّ حين آخيت بين المهاجرين و الانصار، و لم اواخ بينك و بين احد منهم؟ أما ترضى أن تكن مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدى نبي؟ ألا من احبك حف بالأمن و الايمان، و من ابغضك أماته اللّٰه ميته جاهليه و حوسب بعمله في الاسلام)(١٧.(**

**ثم أن هناك ظاهرة غريبة تتسم بها الروايات و النصوص التي تتحدث عن شؤون البيت العلوي و ما فيه من خلافات!! و هي ان الرواي المباشر رجل يروي مباشرة عن فاطمة الزهراء، و لم يبين لنا ابوهريرة أو غيره كيف تسنى لهم الحصول على أدق التفاصيل عن الخلافات بين علي و الزهراء.**

**و مهما يكن من امر فان هذه النصوص يجب انتخضع في عمليه التقييم إلى امرين:**

**الامر الاول: أن علياً و الزهراء معصومان فلا يمكن ان يصدر منهما ما يمس هذا المقام الرفيع المقدس.**

**و الامر الثاني: انهما يجسدان اعلى متسويات القيم و الاخلاق الاسلاميه، فهما القدوه و الحجه في قولهما و فعلهما، و لا يمكن أن يخالفا ما يدعوان الناس اليه.**

**فكل نص من هذه النصوص خالف روح التقييم المنطقي و الصحيح لخط مدرسة أهل البيت الاخلاقية يجب أن نتحفظ تجاهه.**

**قال ابن بابويه رحمه اللّٰه و هو يتحدث عن هذه النصوص:**

**هذا غير معتمد لانهما منزهان أن يحتاجا أن يصلح بنيهما رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم(١٨.(**

**و يقول الامام الصادق عليه السلام مندا بمحاولات التشويه و التضليل:**

**»أن رضا الناس لا يملك، و السنتهم لا تضبط، و كيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياءاللّٰه و رسله و حجج اللّٰه.**

**الم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنّه هم بالزنا...**

**الم ينسبوا سيد الاوصاء إلى أنّه اراد أن يتزوج ابنه أبي جهل على فاطمة عليهاالسلام، و أن رسول اللّٰه شكاه على المنبر على المسلمين فقال: أنّ علياً يريد أن يتزوج ابنه عدواللّٰه على ابنة نبي اللّٰه، الا أن فاطمة بعضة مني فمن آذاها فقد آذاني، و من سرها فقد سرني، و من غاضها فقد غاظني»(١٩.(**

## الزهراء في عبادتها

و اكبت الزهرا عليهاالسلام مسيرة الرسالة، و عاشت أجواء الوحي و النبوة، و رات النبي الاكرم صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و هو يجسّد أروع صور الانقطاع إلى اللّٰه عز و جل، لا في محرابه فقط، بل و في كل شؤون حياته، الصغيرة منها و الخطيرة.

و كان حظ الزهرا عليهاالسلام في مدرسه النبوة الا وفر، كيف لا و هي العارفه باللّٰه تعالى، المحدّثه المختارة التي جعل اللّٰه رضاها من رضاه، و سخطها من سخطه.

و مهما قلنا في عبادتها و طاعتها للّٰه و اخلاصها له فلن نفي لها ببعض حقها فهي كما وصفها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم:

»كانت اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الأرض.«

و ما ذلك إلّا بسبب انقطاعها و للّٰه و اخلاصها له.

و وصفها لنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال:

»يا سلمان إنّ ابنتي فاطمة ملأ اللّٰه قلبها و جوارحها إيماناً إلى مشاشها(٢٠) تفرغت لطاعه اللّٰه.« ...

و ما أجمل تعبير الحسن البصري حيث يقول:

»ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليهاالسلام كانت تقوم حتى تورم قدماها»(٢١).

و مع ذلك فان ما يميز تلك العبادة، الطابع الاجتماعي لها بالرغم من كونها فردية و خاصة، فلما اعظم الفرق بين عابد يريد بعبادته نفسه فقط، و بين عابد يريد بعبادته نفع الآخرين قبل نفسه، مؤثراً اخوانه المومنين على نفسه في الدعاء و التضرع إلى اللّٰه عز و جل. و هذه هي سيرة أهل البيت عليهم السلام العطاء العام و ايثار الناس على انفسهم حتى في هذه المجالات.

يروي ابن أبي عمير عن زيد النرسي قال:

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف و هو يدعو، فتفقدت دعائه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف، و رايته يدعو لرجل رجل من الآفاق، و يسميهم و يسمي آبائهم حتى فاض الناس.

فقلت له: يا عم لقد رايت منك عجباً.

قال: و ما الذي أعجبك مما رأيت؟

قلت: إيثارك اخوانك على نفسك في مثل هذا الموضع، و تفقدكَ رجلاً رجلاً.

فقال لي: لا تعجب من هذا يا ابن أخي فاني سمعت مولاي و مولاك و مولى كل مؤمن و مؤمنة، و كان واللَّه سيد من مضى و سيد من بقى بعد آبائه عليهم الصلاة و السلام، و الّا صُمتا أُذنا معاوية و عميتا عيناه، و لا نالته شفاعة محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم أن لم اكن سمعته منه و هو يقول:

من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا يا عبداللَّه و لكَ مائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الثانيه يا عبداللَّه و لك مائتا الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الثالثة يا عبداللَّه و لك ثلاثمائة ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الرابعة يا عبداللَّه و لك اربعمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الخامسة يا عبداللَّه و لك خمسمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السادسة يا عبداللَّه و لك ستمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السابعة يا عبداللَّه و لك سبعمائة الف ضعف مما سألت، ثم يناديه اللَّه تبارك و تعالى انا الغني الذي لا افتقر يا عبداللَّه لك الف الف ضعف مما دعوت.

فأي الخطرين كبر يا ابن اخي ما اخترته انا لنفسي أو ما تأمرني به»(٢٢.(

هذه هي الروح الحقيقية التي أراد اللَّه عز و جل أنّ تتسم بها العبادة النموذجية في اسمى صورها.

و كانت الزهراء و هي ام الأئمة قد جسدت هذا النموذج في اجلى صوره، فكانت تقوم الليل في محرابها، راكعه ساجده تدعو للمؤمنين و المؤمنات.

فعن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال:

»رأيت أمي فاطمة عليهاالسلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، و سمعتها تدعو للمؤمنين و المؤمنات و تسميهم و تكثر الدعاء لهم، و لا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: يا اماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بُني الجار ثم الدار »(٢٣.(

و عن الامام موسى بن جعفر عن ابيه عن آبائه علهيم السلام قال:

كانت فاطمة عليهاالسلام إذا دعت تدعو للمؤمنين و المؤمنات و لا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول اللَّه انك تدعين للناس و لا تدعين لنفسك؟

فقالت: الجار ثم الدار»(٢٤.(

و كانت سلام اللَّه عليها، و هي شجنة ممن وصفه ربه بأنه كان بالمؤمنين رحيماً، قد جسدت هذه الرحمة ليس للاحياء من المؤمنن فقط، بل و لمن قضوا نحبهم من

المؤمنين و المسلمين و الشهداء و الصالحين، و من هؤلاء سيد الشهداء و بطل الاسلام حمزة بن عبدالمطلب الذي كانت تذهب لزيارته غداة كل سبت كما جاء عن الامام الصادق صلى اللّٰه عليه و آله أنه قال:

»إنّ فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في لكلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة و تترحم عليه و تسغفر له»(٢٥.(

وفي ختام هذا الموضوع اقول أن ما يؤسف له، أن التاريخ حَرَم الأمة، من تسجيل ما كان يجب ان نعرفه عن عبادة الزهراء، فلا يجد الباحث الّا مقاطع قليلة، و هي و ان كانت عظيمة و معبّرة و كاشفة عما كانت عليه البتول، من تبحر في ذات اللّٰه و أخلاص له ولكنها لا تعكس الحقيقة بشمولية تامه، فلقد كانت اعظم من كل ما ذكر، كيف لا وهي التي اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما تزهر الكواكب لأهل الأرض كما يقول المصطفي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم.

## صدق لهجتها

قالت أم المؤمنين عائشة و قد ذكرت فاطمة:

»ما رأيتُ أصدق منها إلّا أباها.«

و كيف لا تكون كذلك و هي بنت المصطفى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و ربيبة النبوة، و حليلة أمام الصادقين علي بن أبي طالب عليه السلام.

و من المؤكد ان الزهراء عليهاالسلام ليست بحاجة إلى شهادةِ أحدٍ عن (صدق لهجتها أو عبادتها أو غير ذلك) بعدأن قَرَنَ اللّٰه عز و جل رضاه برضاها و سخطه بسخطها، و ما كان سبحانه ليفعل ذلك لولا ما وصلت إليه الزهراء من كمال تام في اخلاص العبادة و الطاعة للّٰه تعالى.

فقد سال بزل الهروي الحسين بن روح رحمه اللّٰه فقال:

كم بنات رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم؟

فقال: اربع.

قال: ايتهنّ افضل؟

فقال: فاطمة.

قال: و لم صارت أفضل و كانت أصغرهن سناً و أقلّهن صحبة لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم؟

**قال: لخصلتين خصهما اللَّه بها، إنها ورثت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و نسل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم منها، و لم يخصها بذلك إلّا بفضل إخلاص عرفه من نيتها)(٢٦.(**

**و ما يهمنا في هذا المجال هو ما تكشف عنه شهادة عائشة إذ انها توكد على مبدأ عظيم جاءت به الاديان السماوية جميعاً، و هو مصداقية الصادقين و تأثيرهم الكبير على القلوب و العقول في عملية التغيير الفردي و الاجتماعي. فبالرغم مما هو معروف تاريخياً من عدم انسجام عائشة أم المؤمنين مع سيدة نساء العالمين من ناحية، و بينها و بين سيد المتقين علي عليه السلام من ناحية اخرى، نجد عائشة سواء في زمن النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم أو بعد وفاته و وفاة الزهراء تشهد بما كان لهما من فضل و ايمان يفوق المستويات المعروفة للصحابة فعن كتاب أبي اسحاق الثعلبي عن جُميع بن عمير عن عمته قالت:**

**»سألتُ عائشة من كان احبَّ الناس إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم؟**

**فقالت: فاطمة.**

**قلت: انما اسألك عن الرجال؟**

**قالت: زوجها، و ما يمنعه فواللَّه أن كان ما علمت صوأماً قواماً»(٢٧.(**

**و في جامع الترمذي، و إبانة العكبري، و أخبار فاطمة عن أبي علي الصولي، و تاريخ خراسان عن السلامي مسنداً: أن جُميعاً التيمي قال:**

**دخلت مع عمتي على عائشة فقالت لها عمتي:**

**ما حملك على الخروج على علي؟**

**فقالت عائشة: دَعينا، و فواللَّه ما كان أحد من الرجال أحبَّ إلى رسول اللَّه من علي، و لا من النساء أحبَّ إليه من فاطمة»(٢٨.(**

**و لم تمنع حاله عدم الانسجام الروحي من أن تشهد عائشة مراراً و تكراراً انها لم ترَّا صدق لهجة من الزهراء.**

**يروي عبداللَّه بن الزبير عن ابيه عن عاشئة انها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم قالت:**

**ما رايت احدا كان اصدق لهجه منها الا أن يكون الذي ولدها)(٢٩.(**

**و تقول عائشة كما في الحلية لابي نعيم، و مسند أبي يعلي:**

**)ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير ابيها)(٣٠.(**

**و وقع خلاف بين فاطمة و عائشة فلم تلجأ عائشة إلى شهود أو يمين و إنما لجأت**

الى فاطمة نفهسا لاثبات دعواها عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقالت له:

)يا رسول اللَّه سلها فاهنا لا تكذب(

و قالت عنها كذلك:

)ما رأيت أحداً كان اشبه سمتا برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من فاطمة)(٣١)

و تقول عائشه كذلك:

)ما رايت من الناس أحداً اشبه كلاماً و حديثاً برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من فاطمة...)(٣٢.(

## الصبر و المواساة

عاشت الزهراء عليهاالسلام الحقبة الزمنية القاسية من تاريخ الاسلام، حقبة الفقر و العسر و المعانات و الشدة. و لم تكن هذه الحالة خاصة باحد بل عمّت جميع المسلمين فلم يكن من اليسير أن يتوفر لكل بيت أو فرد طعام يوم من زادٍ بسيط يسدّر مقهم. و سجل التاريخ صوراً لا تكاد تصدق لما كان يعانيه المسلمون من ضنك العيش و قله ما في اليد.

و الذي يظهر من النصوص المختلفه أن معانات البيت النبوي كانت مضاعفة، اولاً: للوضع الاقتصادي العام الذي كان يعيشه المسلمون و هم جزء منه. و ثانياً: للموضع القيادي الذي كان يمثله، فالنبي القدوة صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يؤثر غيره حتى بلقمة العيش البسيطة (و يوثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة)(٣٣.(

و يشهد لذلكَ أيضاً ما روي عن سبب نزول سوره الدهر، و التي عكست صورة عن الوضع الاقتصادي الصعب، و معانات أهل بيت النبوة الطاهر الشديدة من ذلك،

و ايثارهم لغيرهم من المسلمين، مما جعلهم بلا طعا يسد رمقهم ثلاثة ايام نذروا صومها للَّه تعالى في القصة المعروفة التي بسببها نزلت سورة الدهر.

و قد نالت الزهراء قسطاً وافراً من تلك المعانات، يروي جابر بن عبداللَّه الانصاري قال:

خرج رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يريد فاطمة عليهاالسلام و انا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده فدفعه ثم قال:

السلام عليكم.

فقالت فاطمة: عليكَ السلام يا رسول اللَّه.

قال: ادخل؟

قالت: ادخل يا رسول اللَّه.

**قال: أدخل انا و من معي؟**

**فقالت: يا رسول اللَّه ليس على قناع.**

**فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنّعي به رأسك. ففعلت ثم قال: السلام عليكم.**

**فقالت: و عليك السلام يا رسول اللَّه.**

**قال: أدخل؟**

**قالت: نعم أدخل يا رسول اللَّه.**

**قال: انا و من معي؟**

**قالت: أنت و من معك.**

**قال جابر: فدخل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و دخلت انا و اذا وجه فاطمة أصفر كأنه بطن جرادة.**

**فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم مالي ارى وجهك أصفر؟**

**قالت: يا رسول اللَّه الجوع)(٣٤.(**

**و كيف لا يكون وجهها كذلك و هي التي تقول: يا بني الجار قبل الدار، موثرة الناس بدعائها و طعامها على نفسها.**

**لقد ربى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ابنته الطاهرة على ابسط الوان العيش، و الاقتصار على الحد الادنى من ضروريات الحياة، و الابتعاد عن كل الوان الترف- إذا صح التعبير- و مواساة الطبقة الفقيرة من المسلمين. يروي ابن شاهين في مناقب فاطمة، و احمد في مسند الانصار باسنادهما عن أبي هريره و ثوبان انهما قالا:**

**كان النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم يبدأ في سفره بفاطمة و يختم بها، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم أبيها و زوجها فلما رآه النبي صلى اللَّه عليه و آله و سلم تجاوز عنها و قد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها و قرطيها و مسكتيها و نزعت الستر فبعثت به إلى ابيها و قالت: اجعل هذا في سبيل اللَّه، فلما أتاه قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم:**

**قد فعلت فداها ابوها- ثلاث مرات- مالآل محمد و للدنيا فانهم خلقوا للآخره و خلقت الدنيا لهم) (٣٥(**

**و عن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال:**

**حدثتني اسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة عليهاالسلام إذ دخل عليها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و في عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن أبي طالب عليه السلام من في ء فقال لها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم:**

**يا فاطمة لا يقول- الناس- إنّ فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة.**
**فقطعتها و باعتها و اشترت بها رقبة فاعتقتها. فسرّ بذلك رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم)(٣٦.)**
**أنّ الزهراء لم تفعل مكروها، فالقلادة اشتراها علي من مالٍ له كان نصيبه من في ء، و له أن يتصرف به كيف شاء. و ما أحلّ اللّٰه الذهب إلّا للنساء و لكن**
**فزينها باجمل زينه على مدى الزمن حين قال: فدها ابوها صلى اللّٰه و سلم عليه و عليها.**

## الزهراء في علمها

**و تميزت شخصية الزهراء عليهاالسلام بالعلم و المعرفة الشاملة، و الاحاطة بكل صنوفهما، و تبحرت في علوم الاسلام تبحراً دقيقاً، و شكل لها ذلك شخصية علمية استثنائية.**
**و يبدو انها تلقت المعرفة عن اكثر من طريق نذكر منها:**
**الطريق الاول: عُرفت الزهراء عليهاالسلام بانها (المُحَدَّثَةً) اذ كانت الملائكة تحدثُها، و لم تذكر النصوص حدود ذلك، و انواع العلوم التي تصلها عن هذا الطريق، و لعلّ السبب هو عدم قدرة الناس على استيعاب و فهم هذا الاسلوب من التلقي المعرفي المستند إلى الغيب.**
**الطريق الثاني: التلقي العام فيما تسمعه من أبيها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم أو بعلها عليه السلام، و هي تشترك في ذلك مع بقية المسلمين، و تختلف عنهم في قدرتها على الاستيعاب الشامل الدقيق لما يقولون و يقصدون.**
**الطريق الثالث: و هو التلقي الخاص المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فعن الامام الصادق عليه السلام كما في كتاب بصائر الدرجات قال عليه السلام: و خلفت فاطمة مصحفاً، ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام اللّٰه انزله عليها، املاءَ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و خط علي عليه السلام.**
**و عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبداللّٰه عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد أن اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبداللّٰه عليه السلام ستر بينه و بين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عمّا بدالك قال: قلت جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب.**

**فقال: يا ابا محمد علّم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.**

**و عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبداللَّه عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد أن اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابوعبداللَّه عليه السلام سرت بينه و بين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عمّا بدا لك قال: قلت جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب.**

**فقال: يا ابا محمد علّم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.**

**فقلت: هذا واللَّه العلم. فنكت ساعه في الأرض ثم قال: أنه لعلم و ما هو بذلك.**

**ثم قال: يا ابا محمد و أن عندنا الجامعة و ما يدريهم ما الجامعة!**

**قلت: جعلت فداك و ما الجامعة؟**

**قال: صحيفة طلوها سبعون ذراعاً بذراع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ملائه من فلق فيه، و خط علي عليه السلام بيمينه، فيها كل حلال و حرام، و كل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش، و ضرب بيده إليَّ و قال: تأذن لي يا أبا محمد؟ فقلت: جعلت فداك إنما أنا لكَ فاصنع ما شئت. فغمزني بيده و قال:حتى ارش هذا، كأنه مغضب.**

**قلت: هذا واللَّه العلم.**

**قال: أنه لعلم و ليس بذلك.**

**ثم قال: و أن عندنا الجفر، و ما يدريهم ما الجفر؟**

**فقلت: و ما الجفر؟**

**قال: و عاء من آدم، فيه علم النبيين و الوصيين، و العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل.**

**فقلت: أن هذا هو العلم.**

**قال عليه السلام: أنه لعلم و ليس بذلك. ثم سكت ساعه ثم قال: و أن عندنا لمصحف فاطمة عليهاالسلام و ما يدريهم ما مصحف فاطمة عليهاالسلام؟**

**قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللَّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد.**

**فقلت: هذا واللَّه العلم.**

**قال: أنه لعلم و ما هو بذلك.**

**ثم سكت ساعه ثم قال:**

**ان عندنا علم ما كان و علم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.**

**فقلت: جعلت فداك هذا واللّٰه هو العلم.**

**قال: أنه لعلم و ليس بذاك.**

**قلت: جعلت فداك فأي شيء هو العلم؟**

**قال: ما يحدث بالليل و النهار الامر بعد الامر، و الشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة)(٣٧.(**

**وعلى ضوء رؤيتنا العقائدية لمنزلة أهل البيت عليهم السلام، و مكانتهم في الاسلام، التي تتمثل بمهمة القيام بأمور الامامة و الخلافة لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، و ترسيخ قواعد الاسلام إلى يوم القيامة، كان من الضروري امتلاكهم معرفه شاملة للاسلام بكل ابعاده، و احاطة تامة بكل امور الحياة الحاضره و المستقبلية. فليس عجيباً أن تكون تفاصيل جميع تلك الامور معروفة لهم، و مسجلة عندهم، فيما يسمى بمصحف فاطمة عليهاالسلام، أو الجفر، أو الجامعة، خاصة بعد التأكيد على انها ليست قرآناً، و إنما هي كلام للّٰه عز و جل باملاء رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و كتابة علي عليه السلام.**

**و عن هذا الطريق و غيره تلقت الزهراء عليهاالسلام معارف اسلامية غير محدودة في جميع مجالات المعرفة و منها الدينية، فكات العارفة باللّٰه عز و جل،العبادة له حقّ عبادتة، الخاشعة له في كل حالاتها (إنما يخشى اللّٰه من عباده العلماء.(**

**أما من يخالفنا في بعض رؤيتنا العقائدية من اخواننا أهل السنة فعلهيم في هذا المورد على الاقل أن يوافقونا، بناءً على ما رواه ابوبكر من أن النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً و لا فضة و لا ارضاً و لا عقاراً و لا داراً و لكنا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنة) و في بعض الروايات (و النبوة) إذ لا بدّ من أن نفترض**

**أن يكون الرسول قد ترك للزهراء علماً و حكمة و ايماناً و سنة تختلف عما هو موجود و معروف لدى المسلمين لترثه منه بدلاً عن الدار و العقار و امثالهما ليتحقق معنى الارث و لو بادنى مراتبه من الأب إلى ولده، و ليكون في الوقت نفسه معنىً معقولاً لرواية انا معاشر الانبياء لا نورث.**

**و لا معنى للقول بانها ترث ما تركه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من ايمان و حكمةٍ و معارف عامة معروفة لها و للمسلمين، اذ لا يكون ذلك عوضاً أو خصوصية لها عن**

**الأرث المادي، و سيكون حال المسلمين أفضل منها، لانهم سيرثون آباءهم زائداً العلم و الحكمة التي تركها صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لعامتهم، و هي عليهاالسلام ترث فقط الامور المعنوية العامة المشتركة معهم، فهل كان صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بصدد معاقبتها، أو توريثها ما هو أعظم و اكرم من المال؟**

**هذه المامات سريعة عن خصال وسجايا الصديقة الكبرى و كان الواجب أن نقف عندها بشكل تفصيلي و واسع- لولا خوف الاطالة- لنتعرف على سيرتها و سجاياها، و نستمد منها الدروس الاخلاقية و الروحية فهي القدوة التي يجب أن يُقتدى بها.**

---

1- بحارالانوار ج ٤٣:١١١.

2- بحارالانوار ج ٤٣:١١١.

3- بحارالانوار ج ٤٣:١١٩.

4- بحارالانوار ج ٤٣:١٠٤.

5- بحارالانوار ج ٤٣:١١٧.

6- مجلت يداها، أي ثخن جلدها في العمل بالاشياء الصلبة.

7- بحارالانوار ج ٤٣:٨٢، صحيح أبي داوود ج ٣٣ في باب التسبيح عند النوم طبع المطبعة الكسلتية.

8- بحارالانوار ج ٤٣:٨٦، و كنزالعمال ج ٦ ص ٢٩٥.

9- البحار ج ٤٣:٨٥.

10- بحارالانوار ج ٤٣:٨١.

11- بحارالانوار ج ٤٣:٣١.

12- بحارالانوار ج ٤٣:١٣٤.

13- بحارالانوار ج ٤٣:٩٩.

14- بحارالانوار ج ٤٣:١٣٩.

15- بحارالانوار ج ٤٣:١٤٧.

16- بحارالانوار ج ٤٣:١٤٦.

17- مجمع الهيثمى ج ٩:١١١، كنزالعمال ج ٦:١٥٤.

18- بحارالانوار ج ٤٣:٤٢.

19- آمالي الصدوق، المجلس ٢٢.

20- المشاش هي رؤوس العظام اللينة.

21- عن بيت الاحزان، لقمى:٢٢ و بحارالانوار ج ٤٣:٨٤.

22- عده الداعي لابن فهد الحلي:١٧١.

23- بحارالانوار ج ٤٣:٨١.

24- بحارالانوار ج ٤٣:٨٢.

25- بحارالانوار ج ٤٣:٩٠.

26- بحارالانوار ج ٤٣:٣٧.

27- بحارالانوار ج ٤٣:٥٣.

28- بحارالانوار ج ٤٣:٣٨.

29- بحارالانوار ج ٤٣:٦٨.

30- بحارالانوار ج ٤٣:٨٤.

31- صحيح الترمذي ج ٥ ص ٧٠٠ باب فضل فاطمة.

32- بحارالانوار ج ٤٣:٢٥.

33- سورةالحشر:٩.

34- بحارالانوار ج ٤٣:٦٢، و قريب منه في حليةالاولياء ج ٢ ص ٤٢.

35- بحارالانوار ج ٤٣:٨٦.

36- بحارالانوار ج ٤٣:٨١.

37- بيت الاحزان للقمي:١٧.

## مكانة الزهراء في الاسلام

استفاضت الروايات التي تتحدث عن موقع الزهراء في الاسلام، و مكانتها و منزلتها عندالله و رسوله.

و ليس من اليسير احصاء كل تلك الروايات و النصوص لكثرتها و تعدد مصادرها، بل نجد مولفات مستقلة و فصول كثيرة من كتب الرواية و المناقب خصصت للزهراء و تحدثت عن مناقبها و فضائلها و مكانتها عندالله تعالى، و عن حب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لها، و و صفها بانها سيدة من سادات نساء الجنّة، أو انها سيدة نساء الدنيا و الاخرة و امثال ذلك.

و لا ينكر احد ما لاهل البيت من مكانه عندالله تعالى بعد أن نصّ القرآن الكريم على ذلك، فهذه آية المباهله (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين)(١.(

فقد اجمع المفسرون انها نزلت في النبي و على و فاطمة و الحسن و الحسين. فقد اخرج الدار قطنى أن علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال:

انشدكم الله هل فيكم احد جعله الله نفس النبي، و ابناءه ابناءه، و نساءه نساءه غيرى؟

قالوا: اللهم لا.

و هذه آية التطهير:

)إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهرا)(٢.(

التي نزلت في أهل الكساء و التي منهم الزهراء.

و هذه آية الموده:

)قل لا اسالكم عليه اجرا الا الموده في القربى)(٣) التي نزلت في على و فاطمة و الحسن و الحسين.

الى غير ذلك من الايات الكريمه التي نزلت بحقهم و التي كانت تتلى في كل بيت و مكان من المدينه.

و كان للزهراء عليهاالسلام بالذات اهتمام خاص من قبل ابيها صلى الله عليه و آله و سلم جسدته تعبيرات خاصه، كشفت عن اهميتها عليهاالسلام و مكانتها الكبرى عندالله و رسوله، و هذه النصوص في الوقت الذي توكد فيه على مكانه الزهراء الكبرى في الدنيا و الاخره، ترسم لنا الخطوط العامه لدورها في مسير الاسلام الخالده.

و لنقف على نماذج من تلك النصوص، تلتى رجحنا أن تكون من مصادر ابناء السنه مهما امكن، لأن مدرسه أهل البيت تومن بمضمون تلك الروايات إما نصا في بعض الاحيان، و أما مضمونا في احيان اخرى. هذا بغض النظر عن اسانيدها و طرق روايتها لانها متواتره معنى. و يمكن تقسيمها إلى طوائف ثلاثه حسب مضمونها و موضوعها.

الطائفه الاولى

و هي مجموعه من الروايات التي توكد على أنّ الزهراء عليهاالسلام من افاضل نساء الجنة، أو انها خير نساء العالمين، أو انها خير نساء الدنيا و الحنه مطلقا، فمن تلك الروايات:

اولا- انها عليهاالسلام من افضل نساء أهل الجنّة، يروى احمد في مسنده قال:

قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم:

افضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسيا بنت مزاحم امراه فرعون، و مريم بنت عمران)(٤.(

ثانيا- انها خير نساء العالمين على ما اخرج ابو داود بالاسناد إلى انس قال:

قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم:

خير نساء العالمين اربع، مريم بنت عمرأن، و آسيا بنت مزاحم، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد.(

ثالثا- قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم:

حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمرأن، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسيا امراه فرعون)(٥. (

رابعا- ما اخرجه ابن عبدالبر في ترجمتها من الاستيعاب أن النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم عادها و هي مريضه فقال:

كيف تجدينك يا بنيه؟

قالت: انى لوجعه و أنّه ليزيدنى انى مالي طعام اكله.

قال: يا بنيه أما ترضين انك سيده نساء العالمين؟

قالت: يا ابه فاين مريم بنت عمرأن؟

قال: تلك سيده نساء عالمها، و انت سيده نساء عالمك، أمّا واللّٰه لقد زوجتك سيدا في الدنيا و الاخره.(

خامسا- ما اخرجه الترمذى و النسائى و ابن حبان كما في الفصل الثالث من الباب (١١) من الصواعق المحرقه لابن حجر عن حذيفة أن النبي صلى اللّٰه عليه و آله و سلم قال له: أما

رايت العارض الذي عرض لى قبل ذلك، هو ملك لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليله، استاذن ربه عزوجل ان يسلم على و يبشرنى ان الحسن و الحسن سيدا شباب أهل الجنه، و ان فاطمة سيده نساء أهل الجنه.(

لا حظ روايات (ان فاطمة عليهاالسلام سيده النساء و افضلهن) في صحيح البخارى في كتاب الخلق، و مسند احمد ج ٦ ص ٢٨٢، و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٠ ، و اسد الغابه ج ٥ ص ٥٢٢، و صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣٠٦، و مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥١. و غير ذلك كثير.

و نلاحظ ان هذه النصوص توكد على مكانه دينيه خاصه لسيدتنا فاطمة الزهراء فهب بحسب هذه النصوص- سيده من سيدات الدنيا، و سيده من سيدات أهل الجنه، و هن اربعه كما جاء في النصوص المتقدمه، خديجه بنت خويلد، و مريم بنت عمران، و اسيا بنت مزاحم، و فاطمة بنت رسول اللّٰه.

و يذهب اتباع مدرسه أهل البيت انها انها افضل نساء العالمين، و نساء أهل الحنه مستندين إلى ادله شرعيه قطعيه، و قد شاركهم هذا الاعتقاد بعض علماء السنه كالعلامه النبهانى في كتابه- الشرف الموبد- حيث قال:

و صحرح بافضليتها على سائر النساء حتى على السيده مريم كثير من العلماء و المحققين منهم التقى السبكى و الجلال السيوطى، و الدر الزركشى، و التقى المقريزى.

قال: و عباره السبكى حين سئل عن ذلك:

الذي نختاره و ندين به ان فاطمة بنت محمد افضل.

قال: و سئل عن مثل ذلك ابن ابى داود فقال:

ان رسول اللّٰه قال: فاطمة بضعه منى. و لا اعدل ببضعه رسول اللّٰه احد.(

الطائفه الثانيه

و هى نماذج من الاحاديث التي تصعد الاهتمام بالزهراء من مرحله الاشاده و التبجيل إلى اعتبارها معلما خطيرا من معالم الايمان و الاسلام و ذلك لان هذه

النصوص ساوت بينها و بين الرسول في بعض الخصائص بحيث يكون ايذائها ايذاء له،و اغضابها اغضاب له. فمن تلك الروايات:

اولا- ما اخرجه البخارى و مسلم في صحيحيهما عن المسور قال:

**سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول على المنبر:**
**فاطمه بضعه منى يوذينى ما آذاها و يريبنى ما رابها.(**
**ثانيا- البخارى بسنده إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال: فاطمة بعضه منى يغضبنى ما يغضبها.(**
**ثالثا- ما اخرجه الامام احمد بن حنبل عن ابى هريره قال:**
**نظر النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم إلى على و الحسن و الحسين و فاطمة فقال:**
**انا حربّ لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم.(**
**رابعا- البخارى عن المسور بن مخزمه ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال:**
**فاطمه بضعه منى فمن اغضبها اغضبنى.(**
**و بالامكان مراجعه مصادر الروايات التي تضمنت هذا المعنى في صحيح البخارى في كتاب بدا الخلق، كنزالعمال ج ٦ ص ٢٢٠، فيض القدير ج ٤ ص ٤٢١، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابه، و صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣١٩، و مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥٩، و مسند احمد ج ٤ ص ٥، و حليه الاولياء ص ١٤٩، و مسند احمد ج ٤ ص ٥، و حليه الاولياء ج ٢ ص ٤٠، و الصواعق المحرقه ص ١٠٧، و غيرها كثير.**
**فالزهراء- بحسب هذه النصوص- تمثل حاله تخص الرسول نفسه، و قد نص القرآن على حرمه ايذاء الرسول أو اغضابه فقال عز من قائل:**
**)و الذين يوذون رسول اللَّه لهم عذاب اليم)(٦. (**
**)ان الذين يوذون اللَّه و رسوله لعنهم اللَّه في الدنيا و الاخره)(٧.(**
**وما ينبغى الالتفات إليه هنا هو تعبير النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم عن الزهراء بانه بضعه منه، و هو امر معلوم لا يشك فيه احد، و لا يحتاج إلى تاكيد، فكل بنت هى بضعه من ابيها من ناحيه الخلقه و التكوين و لكن هل كان مراد الرسول من قوله (فاطمه بضعه منى)(٨) الجانب التكوينى، أو اراد ان يقول انها بضعه من الشخصيه النبويه لابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم؟ لا نفهم من ذلك الا الثاني لان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان بصدد بيان اهميه الزهراء من ناحيه ترتب الاثار، في حاله رضاها و سخطها، و انه ايذاء أو ارضاء للرسول النبى لا الاب فقط، ليدخل ذلك في نطاق قوله تعالى (ان الذين يوذون اللَّه و رسوله لعنهم اللَّه في الدنيا و الاخره) و غيرها من الايات. و لا يوجد نص في الكتاب و السنه يعتبر ايذاء ابناء و بنات الانبياء**

ايذاء لابائهم بسمتوى اكثر من الحكم الشرعى العام الا بخصوص الزهراء و حسينها فانه يدخل في نطاق الاحكام الخاصه المشدده.

**الطائفه الثالثه**

و هى الطائفه التي تصعد من قضيه الاهتمام بالزهراء إلى درجه خطيره جدا اذ تعتبر ان ايذاء الزهراء أو اغضابها، ايذاء و اغضاب لذات اللّٰه عز و جل من دون واسطه، فمن تلك الروايات:

اولا- عن علي عليه السلام قال: رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لفاطمه:

ان اللّٰه يغضب لغضبك و يرضى لرضاك)(٩.(

ثانيا- عن علي عليه السلام قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لفاطمه سلام اللّٰه عليها:

ان الرب يغضب لضغبك و يرضى لرضاك)(١٠.(

ثالثا: عن على بن ابى طالب ان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم قال:

يا فاطمة ان اللّٰه عز و جل يغضب لغضبك و يرضى لرضاك)(١١.(

هذا بعض ما رواه علماء السنه في كتبهم الروائيه و صحاحهم المعتبره بشان سيدتنا الزهراء.

اما ما رواه علماء الشيعه عن النبى و ائمه أهل البيت عليهم السلام فهو كثير جدا يتطابق- كما قلنا- في احيان كثيره نصا أو روحا مع ما جاء في صحاح أهل السنه، و ما اثبتناه منها تقتضيه طبيعه البحث و هو جزء يسير مما جاء بشان الصديقه الكبرى.

و نحن هنا ليس بصدد البرهنه على مكانه الزهراء بلسان روائى أو مناقبى، فان ذلك من البديهيات المعروفه لدى جميع المسلمين، و انما بصدد ايجاد تفسير منطقى لتلك الروايات ينسجم مع ما نعرف من هدفيه المشرع الحكيم.

التفسيرات المحتمله:

هناك احتمالات ثلاثه تفسر لنا اهتمام النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بابنته الطاهره فاطمة الزهراء و الاحتمالات هى:

الاحتمال الاول:

ان هذا الاهتمام مجرد لهو و عبث، و عمليه غير هادفه، و لا مقصوده، و انما هو لهو و عبث لمجرد اللهو و العبث.

و هذا الاحتمال لا يستحق البحث، لاننا لو احتملناه فانه سيرد على كل نص دينى صدر من النبى في امور الاسلام التشريعيه و العقائديه الاخرى، باعتباره صلى اللَّه عليه و آله و سلم المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

و قد اجمع المسلمون على ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم معصوم من الخطاء و العبث و اللهو بنص القرآن قال عز و جل:

)و ما ينطق عن لهوى ان هو الا وحى يوحى)(١٢.(

)و ما اتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا)(١٣.(

و على هذا الاساس يكون من المستحيل ان يصدر ذلك منه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بهذا المعنى.

الاحتمال الثاني:

ان يكون ذلك بهدف عاطفى بحت، لمجرد ان فاطمة ابنته و بضعه منه، و المحببه اليه. أو لما امتازت به من صفات و كمالات روحيه استحقت بسببها التكريم و التبجيل. و لم يصدر ما صدر بحقها استنادا إلى نفس الاسس و الملاكات الشرعيه التي يستند إليها المشرع الحكيم في تشريعاته الاخرى.

و هذا التفسير كذلك ليس منطقيا، و لا ينسجم مع طبيعه المشرع الحكيم. فلو اراد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يشبع عاطفته كاب تجاه ابنته، أو لما امتازت به من كمالات نفسيه، أو خصال اخلاقيه عظيمه، فان الاكثر منطقيه و فائده ان يحقق لها ذلك من خلال اعطاءها امتيازات ماديه و معنويه تحقق لها مكاسب شخصيه دنيويه، من دون الحاجه إلى ربط ذلك بسخط اللَّه و رضاه. فماذا يمكن ان تستفيد الزهراء شخصيا من مثل (ان اللَّه يغضب لغضبها، أو يرضى لرضاها)و امثال ذلك من النصوص، هل كان الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يرى ان ذلك يحقق لها مكسبا ماديا أو دنيويا و هو يعلم انها اول أهل بيته لحوقا به؟

لقد كان بامكان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يكرم ابنته بمركز قيادى كبير، أو مسووليه دينيه تشريعيه و امثال ذلك. و هذا ما لم يحدث على الصعيد العملى، فالزهراء حتى

على ضوء اعتقاد الشيعه لم يمنحها ابوها مركزا قياديا.

و بقيت في حياتها زوجه لعلي عليه السلام و ربه لبيته، و لم تمارس دورا قياديا و لا تشريعيا.

كما كان بامكانه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يمنحها امتيازات ماديه كبيره كما يفعل الملوك و السلاطين مع ابناءهم استجابه لرغبه عاطفيه و غريزيه، من دون حاجه إلى تلك النصوص التي ليس لها مردودات ماديه، و من دون الحاجه إلى ربط ذلك بالسماء.

نعم منح النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ابنته الزهراء فدكا، و مهما قالوا عن فدك فاننا لم نجد نصا حتى بانى مراتب الوثاقه و الاعتبار اشار إلى انعكاس المردود المادى على حياه الزهراء من فدك، التي كانت تعتبر من اخصب الاراضى الزراعيه ذات المردود المادى الكبير. فالزهراء كانت بزهدها و تقشفها و عزوفها عن الدنيا تمثل حاله واحده قبل فدك و بعدها.

و هذا يدل ايضا على ان منح النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فدكا للزهراء كان ضمن التخطيط النبوى الحكيم، اذ اراد بها ان تكون حلقه في عمليه تثبيت خط الإمامة التي ستقودها الزهراء بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم،و سلاحا لابعاد اشخاص، أو تكتلات سياسيه عن الحكم. و ظهر ذلك بوضوح بعد اقصاء الإمام علي عليه السلام عن الخلافة فقامت الزهراء تحتج بفدك منتهجه اسلوبا خاصا يثبت عدم اهتمام (القياده) بتعاليم النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و تشريعاته، و سياتى تفصيل ذلك ان شاء اللَّه.

و قد تجلى ذلك بوضوح من تذبذب القاده في امر فدك بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فتاره توخذ منها على اساس ان النبى قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و هو ما وقع من ابى بكر، و تاره تعطى لورثتها كما فعل عمر بن الخطاب، ثم توخذ في زمن عثمان مره اخرى و هكذا، و هذا يكشف عن عمق ما تعنيه فدك في تلك المرحله من الصراع فحاولوا باسلوب- اجتهادى- ابطال ورقه فدك التي كانت الزهراء تقارع بها الخلافة التي رفعت شعاران النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لا يورث، يقول ابن أبي الحديد:

)سالت على بن الفارقى مدرس المدرسه الغريبه ببغداد فقلت له:

اكانت فاطمة صادقه؟

قال: نعم.

قلت: فلِمَ لم يدفع إليها ابوبكر فدك و هى عنده صادقه؟ فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمته و قله دعابته قال: لو اعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا و ادعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقه على شيء، لانه يكون قد اسجل على نفسه انها صادقه فيما تدعى

**كائنا ما كان من غير حاجه إلى بينه و لا شهود. و هذا كلا صحيح و ان كان اخرجه مخرج الدعابه و الهزل)(١٤.(**

**و على كل حال فقد كان بوسع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لو كان هدفه عاطفيا ان يهى ء لابنته الأرضيه المناسبه لتوفير حياه ماديه هائنه من خلال الوسائل المتعدده التي اختصه اللَّه تعالى بها من مختلف مصادر الدوله الماديه و الاقتصاديه.**

**الاحتمال الثالث:**

**ان يكون هذا الاهتمام بامر من اللَّه عز و جل لحكمه الاهيه، و مصلحه دينيه، فاختار عز و جل الزهراء لتقوم بخطوه تكمل بها المسيره الميدانيه للنبوه بعد ابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم و تودى مهمه كبيره لا يستطيع احد غيرها ادائها بما في ذلك النص الشرعى (الكتاب و السنه) فكان التخطيط الربانى ان يجعل موشرا ماديا واضح لا يقبل التاويل و لا التشابه يشير إلى الجهه الصحيحه التي تستحق وراثه النبى في قياده الامه و مسيره الدعوه الاسلاميه، و بناء نظام الحكم و السياسه في الاسلام، فكان هذا الموشر هو الصديق الكبرى فاطمة الزهرا عليهاالسلام.**

**هذا الاحتمال هو الذي ينسجم مع طبيعه الامور و الواقع من جانب، و مع النظره العقائديه للرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم بنص القرآن الكريم.**

**يقول عز و جل عن رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم:**

**)انه لقول رسول كريم ذى قوه عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين و ما صاحبكم بمجنون)(١٥.(**

**و يقول:**

**)انه لقول رسول كريم و ما بقول شاعر قليلا ما تومنون و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين)(١٦.(**

**و يقول كذلك:**

**)و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى)(١٧.(**

**و قال:**

**)لو تقول علينا بعض الاقاويل الخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين)(١٨.(**

**و على اساس هذا المنطق القرآنى لا يمكن ان نفترض ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اهتم بالزهراء- عبثا- أو ان دافعه كان عاطفيا لمجرد العاطفه الغريزيه البحته،**

**ليتجاوز وظيفه النبوه، و يتقول على ربه بشانها، فجعل رضا اللّٰه من رضاها و سخطه من سخطها. لا يقول ذلك مسلم ابذا.**

**و اذا كان لابد من هدف اسمى و اعلى و هذا الهدف هو: الاعداء الربانى لدور كبير للزهراء تقوم به في مرحله ما بعد النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم.**

---

1- آل عمران:٦١.

2- الاحزاب:٣٣.

3- بيت الاحزأن للقمى:١٧.

4- مسند احمد ج ١ ص ٢٩٣.

5- اخرجه الترمذى كما في الاربعين للنبهانى ص ٢٢٠.

6- التوبه:٦١.

7- الاحزاب:٧٥.

8- البضعه بالفتح القطعه من اللحم، و قد تكسر، اى انها جزء منى كما ان القطعه من اللحم جزء من اللحم. قاله الجزرى.

9- مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥٣.

10- كنزالعمال ج ٦:٢١٩.

11- ذخائر العقبى ص ٣٩.

12- النجم:٢- ٦.

13- الحشر:٧.

14- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٦:٨٤.

15- التكوير آيه ١٩- ٢٢.

16- سوره الحاقه الايه ٤٠- ٤٣.

17- النجم الايه ٢- ٦.

18- الحاقه الايه ٤٤- ٤٧.

## خطوات في طريق الاعداد

و قد اتخذ النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم خطوات عديده- اضافه إلى ما تقدم- تمهيدا لتكريس دور الزهراء، و الاعداد لما كان يجب ان تقوم به بعده، في مرحله من اخطر مراحل المسيره الاسلاميه. و لعل اهم تلك الخطوات مايلى:

اولا: استعمل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر، المتمثل بالمنبر، للتاكيد على اهميه موقع الزهراء، فقد جاءت تعبيرات بعض الرواه في هذا الصدد على هذا النحو: سمعت رسول اللَّه يقول على المنبر.

فمن ذلك ما رواه النسائى عن السمور بن مخرمه قال:

سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يخطب على منبره هذا و انا يومئذ محتلم- اى قد بلغ الحلم- فقال:

ان فاطمة بضعه منى)(١.(

و هذا يعنى ان الاعلان كان عاما لجميع المسلمين، لم يقتصر على محافل نسائيه مثلا، كان يكون في بيته، أو بين ازواجه، أو بين نساء المهاجرين و الانصار.

و نجده صلى اللَّه عليه و آله و سلم ياخذ بيد فاطمة عليهاالسلام امام الملا فيشيد و يوصى الامه بها، يروى مجاهد فيقول:

)خرج النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو آخذ بيد فاطمة عليهاالسلام فقال:من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، و هى بضعه منى، و هى قلبى و روحى التي بين جنبى. فمن آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى اللَّه)(٢.(

ثانيا: جاء في بعض الروايات تعبيرات خاصه تدل على اهميته موقع الزهرا عليهاالسلام منها مثلا قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم: (فاطمه ام ابيها.(

و كلمه الام في اللغه تعنى (الاصل) نظير قوله تعالى عن مكه المعظمه بانها (ام القرى) اى اصل القرى. و المعلوم ان الوالد اصل الولد لا العكس، و الموكد انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يقصد العكس قطعا لبداهه الامر و وضوحه، و اذا ما الذي يقصده صلى اللَّه عليه و آله و سلم من ذلك؟

هل اراد ان يقول انها معها النبوه و حضن الإمامة فمنها و بها يمتد الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشخصيته النبويه، فهى عليهاالسلام اصله في الامتداد لا في الايجاد و يضفى عليها بذلك مسحه من نور النبوه يمكنها من اداء الدور المرتقب لها.

ام انه اراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان ينزل الزهراء منزله الام من حيث وجوب طاعتها على كل المسلمين من باب الاولويه؟

**و لماذا نستعبد ذلك و القرآن شاهد على نظيره بالنسبه لازواج الرسول حيث نزلهن المولى منزله الامهات في قوله تعالى (النبى اولى بالمومنين من انفسهم و ازواجه امهاتهم)(٣) و رتب على ذلك بعض الاثار الشرعيه.**

**و لا معنى للقول بان تفسير (فاطمه ام ابيها) ان الزهراء ملات فراغا عاطفيا عانى منه الرسول ايام طفولته بسبب فقده لامه- رضوان اللّٰه عليها- و هو صغير و ذلك لان المولى كفل له كل ما من شانه بناء شخصيته القياديه فقال عز من قائل (الم يجدك يتميا فاوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عائلا فاغنى)(٤) و رغم ان الرسول بشر (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى)(٥) يحمل كل ما في البشر من فطره، و لكن بنفس الوقت نعتقد ان الرسول الذي احتضنته السماء منذ نعومه اظفاره اكبر من ان يشعر بهذه الحاجات و قد قاربّ الخمسين.**

**ثالثا: و جاء في لسان بعض الروايات تعبير (فداها ابوها) الذي يدل دلاله واضحه على استعداد الرسول الاكرم للتضحيه من اجلها و هو سيد المرسلين اجمعين.**

**فهل هى نزعه عاطفيه غلبته، و تاثر بموقفها حين نزعت القلاده و تصدقت بها على فقراء المسلمين، أو انها عتقت رقبه في سبل اللّٰه بمثنها؟ هل يستوجب ذلك ان يفديها ابوها بنفسه؟**

**ان هذه العباره و ان جاءت في سياق القصه المعرفه عن القلاده، الا اننا نقطع ان القضيه اكبر منان تكون علتها هذه القضيه فقط، ذلك ان حجم العباره اكبر من ان تحصر بهذا المورد.**

**لقد اراد الرسول ان يقرر للمسلمين- و كان جالسا في المسجد- ان الزهراء التى- فداها ابوها- و الذي هو اطهر روح، و ازكى نفس، و اغلى دم، و هو سيد المرسلين استعد لان يفيدها بروحه، فمن باب الاولى ان تقتدى الامه به في هذه القضيه التي نص عليها بنفسه امامهم، و في مكان من اطهر اماكن الأرض، في المسجد النبوى الريف، و يوكد للامه: ان التي افديها بروحى تستحق منكم ارواحكم، لان هذا هو معنى الاقتداء بى.**

**رابعا: نجد في بعض الروايات ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم كان يقبل يد الزهراء عليهاالسلام كما رواه ابن شهر آشوب عن الصادقين، و البحار للمجلسى ج ٤٣، و هذا امر غير مالوف و لا متعارف عند العرب و غيرهم، بل المعروف خلافه تماما. و هذا يجعلنا نتسائل عن السر الذي جعل النبوه الخاتمه بكل ما تحمل من عظمه و جلال تنحنى لتقبل يد الزهراء الطاهره.**

هل هى عطافه بحته، ام ظاهره تحمل هدفا عظيما، و سرا مقدسا، قد يكون مستقبل الاسلام مرهونا به.

هل اراد الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يقول لامته: ان هذه اليد التي اقبلها مقدسه و طاهره و لا يمكن ان تمتد أو تطلب ما ليس لها بحق في حياتى و بعد حياتى؟

او انه اراد لهذه القبلات ان تكون شاهد النبوه و السماء على ان هذه اليد اذا وضعتها صاحبتها على شيء، كانت القبلات شاهدها على ان هذا الحق لها.

خامسا: ورد في نصوص اخرى ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يقوم اجلالا لها، و احتراما لمقامها.

و لم نعهد في نص اور روايه ان النبى كان يقوم لازواجه أو اصحابه.

ان هذه الواقعه تجعلنا نومن بان التفسير المنطقى لاهتمام النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالزهراء يبتعد في هدفه إلى ما هو اكبر من قضيه عاطفيه، اذ جرت العاده ان القيام تعبير عن اهتمام كبير بتلك الشخصيه يتناسب مع عظمه مقامها.

و في البحار بالاسناد عن عكرمه عن ابن عباس، و عن ابى ثعلبه الخشنى، و عن نافع، عن ابن عمر قالوا:

كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اذا اراد سفرا كان آخر الناس عهدا بفاطمه، و اذا قدم كان اول الناس عهدا بفاطمه. و لو لم يكن لها عنداللَّه تعالى فضل عظيم لم يكن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يفعل معها ذلك، اذ كانت ولده و قد امر اللَّه بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز ان يفعل معها ذلك، و هو بضد ما امر به امته عن اللَّه تعالى)(٦.(

فما معنى ان يقوم لا بنته غير التاكيد على ان قيام النبوه العظمى لها انما هو قيام لما تمثله الزهراء من دور في مسيره النبوه الكبرى بالاضافه إلى استحقاقها الذاتى للاحترام و التقديس باعتبارها معلما من معالم الاسلام صلوات اللَّه عليها.

سادسا: نرى كذلك ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان لا يدخل دار الزهراء الا مستاذنا ففى روايه عن الامام الصادق عليه السلام قال:

طرق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم باب فاطمة عليهاالسلام ذات يوم.

فقالت: من الطارق؟

فقال: يا بنيتى رسول اللَّه.

فقالت: اليس البيت بيتك، و البنت بنتك فما المانع من الدخول؟

فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: ان اللَّه امرنى ان لا ادخل الا باذنك)(٧.(

**و عن عبدالرحمن بن عوف قال:**

**سالت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ذات يونم: اراك بابى و امى تطيل النظر لباب فاطمه؟**

**فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اعلم و كن عاقلا لما اقول: اطيل النظر للباب لما احتوى عى كنوز و اسرار ايسرها الاستاذان، و اعسرها تطيش له العقول)(٨.(**

**و يروى كذلك عن النبى انه قال لعلي عليه السلام:**

**لولا اك بعلها لامرتك بما امرنى اللَّه ان لا تدخل خجرتها الا باذن منها، فانها نورانيه السماوات، ملكوتيه الأرض، متظللَّه النور)(٩.(**

**و لا ندرى هل ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان مضطرا للاستئذان- من الناحيه الشرعيه- لدخول بيت ابنته لتجنب الوقوع في محذور شرعى، و هل الزهراء احنبيه عنه، ام ان عليا عليه السلام لا يتشرف بهذه المثاره الكبى في دخول النبى بيته؟**

**و مهما حاولنا ان نبحث عن مبرر فقهى لقضيه استاذان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لدخول بيت فاطم فلن نصل إلى نتيجه و ذلك لانه (اولى بالمومنين من انفسهم)(١٠) أولا، و انه ابوالزهراء و بيتها بيته و هم اهله من دون ريب، فقد روى الترمذى في صحيحه انه: لما نزلت هذه الايه (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناء كم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه اللَّه على الكاذبين)(١١) دعا رسول اللَّه عليا و فاطمة و حسنا و حسينا و قال: (اللهم هولاء اهلى)(١٢.(**

**فهل اراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يعلم الامه ان بيت الزهرا عليهاالسلام هو بيت النبوه الذي عناه الحق بقوله (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن لكم)(١٣) إضافة إلى الحكم العام في قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا و تلموا على اهلها)(١٤.(**

**اضف إلى ذلك ان بيت الزهراء لا ينطبق عليه حكم (غير بيتكم) بالنسبه إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فهو اولى بالمومنين من انفسهم، و الزهراء بنته و هو اولى بها، فلماذا يستاذن في دخول بيتها؟ اليس هذا يدل على ان هناك حكمه بالغه وراء تصرف النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و استاذانه.**

**و من الممكن ايضا ان نقول في تفسير ذلك: ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اراد ان يعلم الامه، بما فيذلك مجتمع الصحابه، ان هذا البيت لا يجوز دخوله دون استاذان حتى للانبياء فضلا عن غيرهم.**

و من هذا نستكشف انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعلم ان بيتها سوف تهتك حرمته في يوم ما، فاراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يصونه و يحميه فوقف عند بابه يستاذن اهله المره تلو المره، ليجعله معلما من معالم الايمان و لتعرف الامه من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

و كان من جمله الامور التي ندم عليها ابوبكر قبل موته كشفه لبيت فاطمة عليهاالسلام مما يدل على ارتكاز هذا المفهوم في ذهنه، و سياتى الحديث عن ذلك فيما بعد.

هذه بعض الخطوات التي خطاها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في طريق الاعداد لدور الزهرا عليهاالسلام المرتقب في مهمه تثبيت اركان و اسس الإمامة بصيغتها العمليه التنفيذيه.

ان هذا الموضوع يستحق بحثا اعمق و اشمل مما تقدم لاستكشاف الحكمه النبويه في جميع خطوات اعداد الأرضيه لتثبيت خط الإمامة من بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و التي قادتها الزهراء صلوات اللَّه و سلامه عليها، اذ هناك الثير ما يجب ان يبحث و هو يستحق قدرا اكبر من الاستقصاء و الدقه.

## طبيعه الموضوع و خصوصيه الزهراء «الخلافة و نظام الحكم»

من الموكد ان اى رساله أو نظام يعتما في مساله استمراره و بقاءه على جمله مقومات اساسيه و ما من شك ان موضوع (الحاكم و طبيعه نظام الحكم و شكله) من اهم تلك المقومات.

و السوال هنا: هل حدد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم نظام الحكم و شكله و طبيعته؟

و هل هذا النظام هو نظام الشورى. و اذا كان كذلك فما هى اسس هذا النظام؟ و كيف يطبق و من المسوول عن تطبيقه؟ و هل يقصد بالشورى تحكيم راى الاكثريه على الاقليه، ام ان الشورى يراد بها مدارسه الامور و القضايا الاساسيه و يكون البت فيها لجهه اخرى؟ ام هى شورى أهل العقد لا شورى الامه؟

ام ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اختار نظام الإمامة فنصب عليا عليه السلام وليا على الامه بعده و اوكل إليه تنظيم تفاصيل ذلك، و ترسيخ نظام الحكم الذي هو بطبيعته يحتاج إلى فتره زمينه طويله من الممارسته العمليه الصحيحه، و تربيه الامه على تفهم تلك الممارسه و استيعابها، و تحديد اتجاه صحيح لها في مجال ممارستها لها؟

**و نحن من البدايه نقول و على ضوء طبيعه هذا البحث، و قناعتنا العقائديه، ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نصب عليا عليه السلام خليفه بعده، و سخر لاجل تحقيق هذا الهدف كل**

**الوسائل الممكنه، سواء كانت على مستوى النص، أو الممارسه العمليه القريبه من الممارسه الفعليه للحكم في زمن النبى و في حياته(١٥).**

**و لا يعنى ذلك اننا نرفض مبدا الشورى من الاساس و انما الكلام في ان الشورى هل هى نظام الحكم في الاسلام، ام هى مفرده من مفردات النظام، و على اساس الفرض الثاني يقوم هذا البحث بعد ان ثبت بالنوص القطعيه ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نظريا- على الاقل- نص على أميرالمؤمنين علي عليه السلام خليفه بعده، و هى في الوقت نفسه الصديقه الزهراء لتمارس دورا خاصا لا يستطيع غيرها اداءه، بعد ان استنفذ الوسائل الاخرى المالوفه في مجال التشريع، و اهمها النص- الكتاب و السنه- الذي قد يفرغ من محتواه من خلال التاويل أو التفسير أو التخصيص بالخبر كما حصل في آيه الارث التبى خصصت ب(نحن معاشر الانبياء لا نورث)، و التي على اساسها حرمت الزهراء من ارثها، و امثال ذلك كثير. فاراد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم ان يجعل موشرا ماديا محسوسا لا يخضع لتلك الموثرات، و المتمثل بابنته فاطمة الزهراء، ليحدد الاتجاه الصحيح لمسيره الخلافة، و تحديد شخصيه الخلفيه و تعيينها.**

**و هذه المهمه من اصعب المهام على الاطلاق لسعه الفارق بين النظريه و التطبيق، و البون الشاسع بينهما، و صعوبه تحدى الواقع الاجتماعى المخالف للنظريه، و الذي عبر عنه القرآن الكريم في قول الحق (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته واللّٰه يعصمك من الناس)(١٦).**

**فان الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم على صعيد الواقع قد ابلغ الرساله بكل جوانبها العقائديه و التشريعيه، و الايه الكريمه نزلت في اواخر حياته- في حجه الوداع- فما هو الامر الذي لم يبلغ غير تعيين الخليفه، و الذي ثم الابلاغ به في قضيه الغدير المعروفه التي اعقبها نزول قوله تعالى(اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(١٧).**

**اما على الصعيد العملى فان تطبيق ذلك- اى استخلاف النبى لعلى- ليس بالامر الهين اليسير، و لا يكفى مجرد الابلاغ لالتزام الامه به، و لا يمكن من الناحيه العمليه ان يترك النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم هذا لامر من دون اتخاذ احتياطات عمليه في طريق اعداد الأرضيه المناسبه للخليفه المرتقب.**

و قبل ان ندخل في التفاصيل لندع هذه الرويه جنانبا و نبحث بموضوعيه و تجرد، و بعيدا عن النصوص الشرعيه، و واقع المسيره الاسلاميه بعد وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مباشره و ما اكتنف ذلك من احداث، و نتعرف من خلال رويه موضوعيه و منطقيه على ما يمكن ان يكون عليه موقف الرسول القائد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الاسلام من بعده هل تركه لمهب الرياح لتبدد تلك الجهود الجباره و لتضحيات الهائله التي بذلها هو والثله الطاهره من اصحابه في سبيل ارساء صرح الاسلام و تثبيت قواعده، ام انه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم خطط لمستقبل الاسلام و حدد معالم المسيره من بعده و بذل كل ما عنده لتكريس الرويه الربانيه لما يجب ان يكون عليه الوضع من بعده، و لم يرحل الا بعد ان انجز تلك المهمه (اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(١٨.(

منطلقين من ذلك إلى التعرف على دور الزهرا عليهاالسلام و طبيعه مهمتها.

لقد ناقش هذه القضيه الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضى اللّٰه عنه نقاضا عقليا موضوعيا في كتابه القيم (بحث حول الولايه) و حصر الاحتمالات الممكنه لما كان يمكن ان يقول به الرسول لمعاجله هذه القضيه و بحثها على ضوء العقل و الواقع و استخلص من ذلك النتجيه المنطقيه التي تنسجم مع عظمه الدين و قائد الاسلام العظيم محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم الذي كان احرص البشر جميعا على مستقبل الاسلام و الامه الاسلاميه.

ان من اهم فقرات هذا الكتاب هو البحث عن موقف النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الدعوه الاسلاميه بعد وفاته صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، هل حدد طبيعه نظام الحكم و شكله السياسى؟ و هل اوصى لاحد من بعده ام لا؟

و لم اجد اروع مما كتبه الامام الشهيد الصدر رضى اللّٰه عنه في كتابه اليم (بحث حول الولايه) فاحببت ان استفيد من بحثه مومنا ان احدا لا يستطيع ان ياتى بمثل ما اتى به، فعليه رضوان اللّٰه و جعل روحه مع اجداده الكرام في الجنان.

لخص الامام الشهيد الصدر الرق التي كان بامكان الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نهجها بثلاثه:

## الطريق السلبى

اولها: الطريق السلبى، و ذلك بان يقف صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الدعوه موقفا سلبيا، و يكتفى بممارسه دوره قياده الدعوه و توجيهها فتره حياته و يترك مستقبلها للظروف و الصدف.

**و يرى رضى اللَّه عنه ان هذه السلبيه لا يمكن افتراضها في النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لانها انا تنشا**

**من احد امرين كلاهما لا ينطبق عليها.**

**الامر الاول: هو ان نفترض انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعتقد ان الاهمال و السلبيه لا توثر على مستقبل الدعوه الاسلاميه.**

**و الامر الثاني هو ان نفترض انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان ينظر إلى الدعوه نظره مصلحيه فلا يهمه الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.**

**اما الامر الاول فناقشه بان هذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقا، بل ان طبيعه الاشياء كانت تدل على خلافه، لان الدعوه- بحكم كونها عملا تغيير انقلابيا في بدايته، يستهدف بناء امه، و استئصال كل جذور الجاهليه منها- تتعرض لاكبر الاخطار اذا خلت الساحه من قائدها دون اى تخطيط فهنالك:**

**اولا- الاخطار التي تنبع عن طبيعه مواجهه الفراغ دون اى تخطيط مسبق، و عن الضروره الانيه لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمه العظيمه بفقد النبى فان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اذا ترك الساحه دون تخطيط لمصير الدعوه فسوف تواجه الامه و لاول مره مسووليه التصرف بدون قائدها تجاه اخطر مشاكل الدعوه، و هى لا تمتلك اى مفهوم سابق بهذا الصدد. و سوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا انيا على رغم خطوره المشكله، لان الفراغ لا يمكن ان يستمر، و سوف يكون هذا التصرف السريع في لحظه الصدمه التي تمنى بها الامه و هى تشعر بفقدها لقائدها الكبير، هذه الصدمه التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، و تبعث على الاضطراب حتى انها جعلت صحابيا معروفا يعلن- بفعل الصدمه- ان النبى لم يمت و لن يموت فقد قال عمر بن الخطاب:**

**من قال ان محمدا مات قتلته بسيفى هذا و انا رفع إلى السماء(١٩.(**

**نعم سيكون مثل هذا التصرف محفوفا بالخطر غير محمود العواقب.**

**ثانيا: و هناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالى بدرجه تضمن للنبى- سلفا- موضوعيه التصرف الذي سوف يقع، و انسجامه مع الاطار الرسالى للدعوه، و تغلبه على التناقضات الكامنه التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على اساس الانقسام إلى مهاجرين و انصار، أو قريش و سائر العرب، أو مكه و المدينه.**

**ثالثا: هناك الاخطار التي تنشا لوجود القطاع المتستر بالاسلام، والذى كان يكيد له في حياه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم باستمرار، و هو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين. و اذا اضفنا إليهم عددا كبيرا ممن اسلم بعد الفتح استسلاما للامر الواقع لا انفتاحا على الحقيقه، نستطيع حينئذ ان نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولده، و هى تجد فرصه لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحه من رعايه القائد.**

**فلم تكن اذا خطوره الموقف بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم شيئا يمكن ان يخفى على اى قائد مارس العمل العقائدى فضلا عن خاتم الانبياء.**

**و اذا كان ابوبكر لم يشا ان يترك الساحه دون ان يتدخل تدخلا ايجابيا في ضمان متسقبل الحكم بحجه الاحتياط للامر، و اذا كان الناس قد هرعوا إلى عمر حين ضرب قائلين: يا اميرالمومنين لو عهدت عهدا. و كل ذلك خوفا من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفه بالرغم من التركيز السياسى و الاجتماعى الذي كانت الدعوه قد بلغته بعد عقد من وفاه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و اذا كان عمر قد اوصى إلى سته تجاوبا مع شعور الاخرين بالخطر. و اذا كان عمر يدرك- بعمق- خطوره الموقف في يوم السقيفه، و ما كان بالامكان ان تودى إليه خلافه ابى بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول: «ان بيعه ابى بكر كانت فلته غير ان اللَّه وقى شرها.«**

**و اذا كان ابوبكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم، و تحمل المسوولیات الكبيره، بانه شعر بخطوره الموقف و ضرروه الاقدام السريع على حل ما اذ يقول-**

**و قد عوتب على قبول السلطه- ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قبض و الناس حديثو عهد بالجاهليه فخشيت ان يفتتنوا و ان اصحابى حملونيها.«**

**و اذا كان كل ذلك صحيحا فمن البديهى اذن ان يكون رائد الدعوه و نبيها اكثر شعورا بخطر السلبيه، و اكبر ادراكا و اعمق فهما لطبيعه الموقف و متطلبات العمل التغييرى الذي يمارسه في امه حديثه عهد بالجاهليه على حد تعبير ابى بكر.«**

**الامر الثاني:**

**ان الامر الثاني الذي يمكن ان يفسر سلبيه القائد تجاه مستقبل الدعوه و مصيرها بعد وفاته، انه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف لا يحاول تحصين الدعوه ضد ذلك الخطر، لانه ينظر إلى الدعوه نظره مصلحيه فلا يهمه الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.**

**و هذا التفسير لا يمكن ان يصدق على النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبيا و متربطا باللَّه سبحانه و تعالى في كل ما يرتبط بالساله، و**

افترضناه قائدا رساليا كقاده الرسالات الاخرى، لان تاريخ القاده الرساليين لا يملك نظيرا للقائد الرسول محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في اخلاصه لدعوته و تفانيه فيها، و تضحيته من اجلها إلى آخر لحظه من حياته. و كل تاريخه يبرهن على ذلك، فقد كان صلى اللّٰه عليه و آله و سلم على فراش الموت و قد ثقل مرضه، و هو يحمل هم معركه كان قد خططا لها، و جهز جيش اسامه لخوضها، فكان يقول: (جهزوا جيش اسامه، انفذوا جيش اسامه، اسلوا بعث اسامه) يكرر ذلك و يغمى عليه بين الحين و الحين.

فاذا كان اهتمام الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بقضيه من قضايا الدعوه يبلغ إلى هذه الدرجه و هو يجود بنفسه على فراش الموت، و لا يمنعه علمه بانه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركه عن تبنيه لها، و ان تكون همه الشاغل و هو يلفظ انفاسه الاخيره فكيف يمكن ان نتصور ان النبى لا يعيش هموم مستقبل الدعوه، و لا يخطط لسلامتها بعد وفاته صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من الاخطار المرتقبه؟

و اخيرا فان في سلوك الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في مرضه الاخير رقما واحدا يكفى لنفى الطريق الاول، و للتدليل على ان القائد الاعظم نبينا محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم كان ابعد ما يكون من فرضيه الموقف السلبى تجاه مستقبل الدعوه لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشانه، و هذا الرقم اجمعت صحاح المسلمين جميعا- سنه و شيعه- على نقله: و هو ان الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لما حضرته الوفاه، و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال صلى اللّٰه عليه و آله و سلم: ائتونى بالكتف و الدواه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا) فان هذه المحاوله من القائد الكريم المتفق على نقلها و صحتها تدل بكل وضوح على انه كان يفكر في اخطار المستقبل، و يدرك بعمق ضروره التخطيط لتحصين الامه من الانحراف، و حمايه الدعوه من التميع و الانهيار.

فليس اذا من الممكن افتراض الموقف السلبى من النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم بحال من الاحوال.«

## الطريق الايجابى

و ناقش الامام الشهيد الصدر رضى اللّٰه عنه الريق الثاني الذي اسماه بالطريق الايجابى الممثل بالشورى فقال:

ان الطريق الثاني هو ان يخطط الرسول القائد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لمستقبل الدعوه بعد وفاته، و يتخذ موقفا ايجابيا، فيجعل القيمومه على الدعوه و قياده التجربه

**للامه ممثله- على اساس نظم الشورى- في جيلها العقائدى الاول الذي يضم مجموع المهاجرين و الانصار. فهذا الجيل للامه هو الذي سيكون قاعده للحكم، و محورا لقياده الدعوه في خط نموها.**

**بالنسبه لهذا الافتراض يلاحظ هنا: ان طبيعه الاشياء، و الواضع العام الثابت عن الرسول الاكرم و الدعوه و الدعاه يرفض هذه الفرضيه، و ينفى ان يكون النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد انتهج هذا الطريق، و اتجه إلى ربط قياده الدعوه بعده مباشره بالامه ممثله في جيلها الطليعى من المهاجرين و الانصار إلى اساس نظام الشورى.**

**و فيما يلى بعض النقاط التي توضح ذلك:**

**النقطه الاولى: لو كان النبى قد اتخذ من مستقبل الدعوه بعده موقفا ايجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشره، و اسناد زعامه الدعوه إلى القياده التي تنبثق عن هذا النظام لكان من ابده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابى ان يقوم الرسول القائد بعمليه توعيه للامه و الدعاه على نظام الشورى و حدوده و تفاصيله، و اعطائه طابعا دينيا مقدسا، و اعداد المجتمع الاسلامى اعداد فكريا و روحيا لتقبل هذا النظام، و هو مجتمع نشا من مجموعه من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعا سياسيا على اساس الشورى، و انما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبليه و عشائريه تتحكم فيها القوه و الثروه و عامل الوراثه إلى حد كبير.**

**و نستطيع بسهوله ان ندرك ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يمارس عمليه التوعيه على نظام الشورى و تفاصيله التشريعيه و مفاهيمه الفكريه، لان هذه العمليه لو كانت قد انجزت لكن من الطبيعى ان تنعكس و تنجسد في الاحاديث الماثوره عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و في ذهنيه الامه، أو على الاقل في ذهنيه الجيل الطليعى منها الذي يضم المهاجرين و الاصنار بوصفه هو المكلف بتطبق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الاحاديث عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اى صوره تشريعيه محدده لنظام الشورى.**

**و اما ذهنيه الامه، أو ذهنيه الجيل الطليعى منها فلا نجد فها اى ملامح أو انعكاسات محدده لتوعيه من ذلك القبيل. فان هذا الجيل كان يحتوى على اتجاهين:**

**احدهما- الاتجاه الذي يتزعمه أهل البيت.**

**و الاخر- الاتجاه الذي تمثله السقيفه و الخلافة التي قامت فعلا بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**فاما الاتجاه الاول: فمن الواضح انه كان يومن بالوصايه و الإمامة، و يوكد على القرابه، و لم ينعكس منه الايمان بفكره الشورى.**

**و اما الا تجاه الثاني: فكل الارقام و الشواهد في حياته و تطبيقه العملى تدل بصوره لا تقبل الشك على انه لم يكن يومن بالشورى، و لم يبن ممارسته الفعليه على اساسها، و الشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصر وفاه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم من المسلمين.**

**و نلاحظ بهذا الصدد للتاكد من ذلك ان ابابكر حينما اشتدت به العله عهد إلى عمر بن الخطاب، فامر عثمان ان يكتب عهده و كتب:**

**)بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابوبكر خليفه رسول اللَّه إلى المومنين والمسلمين.**

**سلام عليكم، فانى احمد اللَّه اليكم اما بعد: فانى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا و اطيعوا.(**

**و دخل على عبد الرحمن فقال:**

**كيف اصبحت يا خليفه رسول اللَّه؟**

**فقال: اصبحت موليا، و قد زدتمونى على ما بى اذ رايتمونى استعملت رجلا منكم، فكلكم قد اصبح ورما انفه، و كل يطلبها لنفسه.(**

**و واضح من هذا الاستخلاف و هذا الاستنكار للمعارضه ان الخليفه لم يكن يفكر بعقليه نظام الشورى، و انه كان يرى من حقه تعيين الخليفه، و ان هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعه، و لهذا امرهم بالسمع والطاعه. فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو الزام و نصب.**

**و نلاحظ ايضا ان عمر راى هو الاخر ايضا ان من حقه فرض الخليفه على المسلمين،ففرضه في نطاق سته اشخاص، و أو كل امر التعيين إلى السنه انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين اى دور حقيقى في الانتخاب(٢٠) و هذا يعنى ان عقليه نظام الشورى لم تتمثل في طريقه الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل في الطريقه التي سلكها الخلفيه الاول.**

**و قد قال عمر- حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو ادركنى احد رجلين فجعلت هذا الامر إليه لوثقت به، سالم مولى ابى حذيفه، و ابى عبيده بن الجراح، و لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى.(**

**و قد قال ابوبكر لعبد الرحمن بن عوف و هو يناجيه على فراش الموت: (وددت ان سالت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لمن هذا الامر فلا ينازعه احد.(**

**و حينما تجمع الانصار في السقيفه لتامير سعد بن عباه قال منهم قائل:**

**ان ابت مهاجره قريش فقالوا نحن المهاجرون و نحن عشيرته و اولياوه، فقالت طائفه منهم اذن نقول منا امر و منكم امير و لن نرضى بدون هذا منهم ابدا.(**

**و حينما خطب ابوبكر فيهم قال:**

**)كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس اسلاما، و الناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيره رسول اللَّه، و اوسط العرب انسابا.(**

**و حينما اقترح الانصار ان تكون الخلافة دوريه بين المهاجرين و الانصار رد ابوبكر قائلا:**

**)ان رسول اللَّه لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخالفوه و شاقوه، و خص اللَّه المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... هم اول من عبداللَّه في الأرض، و هم اولياوه و عترته، و احق الناس بالامر بعده، لا ينازعهم فيه الا ظالم.(**

**و قال الحباب بن المنذر و هو يشجع الانصار على التماسك:**

**)املكوا عليكم ايديكم انما الناس في فيئكم و ظلكم فان ابى هولاء فمنا امير و منهم امير.(**

**و قد رد عليه عمر قائلا:**

**)هيهات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمان في سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياوه و عشيرته الا مدل بباطل، و أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكه(٢١) ان الطريقه التي مارسها الخليفه الاول و الخليفه الثاني للاستخلاف، و عدم استنكار عامه المسلمين لتلك الطريقه، و الروح التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعى، المهاجرين و الانصار يوم السقيفه، و الاتجاه الواضح اليذ بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدا انصحار السلطه بهم، و عدم مشاركه الانصار في الحكم، و التاكيد على المبررات الوراثيه التي تجعل من عشيرته اولى العرب بميراثه. و استعداد كثير من الانصار لتقبل فكره اميرين، احدهما من الانصار و الاخر من المهاجرين، و اعلان ابى بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن اسفه لعدم السوال من النبى عن**

**صاحب الامر. كل ذلك يوضح بدرجه لا تقبل الشك ان هذا لجيل الطليعى من الامه الاسلاميه بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاه النبى لم يكن يفكر بذهنيه الشورى، و لم يكن يملك فكره محدده عن هذا النظام، فكيف يمكن ان نتصور ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد مارس عمليه توعيه على نظام الشورى تشريعيا و فكريا، و اعد جيل المهاجرين و الانصار لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددا عنه؟**

**كما اننا لايمكن ان نتصور- من ناحيه اخرى- ان الرسول القائد يضع هذا النظام، و يحدده تشريعيا و مفهوميا ثم لا يقوم بتوعيه المسلمين عليه و تثقيفهم به.**

**و هكذا يبرهن ما تقدم على ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يكن طرح الشورى كنظام بديل على الامه، اذ ليس من الممكن عاده ان تطرح بالدرجه التي تتناسب مع اهميتها ثم تختفى اختفاء كاملا عن الجميع و عن كل الاتجاهات.**

**و مما يوضح هذه الحقيقه بدرجه اكبر ان نلاحظ:**

**اولا: ان نظام الشورى كان نظاما جديدا بطبيعته على تلك البيئه التي لم تكن قد مارست قبل النبوه اى نظام مكتمل للحكم، فكان لابد من توعيه مكثفه و مركزه عليه كما اوضحنا ذلك.**

**ثانيا: ان الشورى كفكره مفهوم غائم لا يكفى طرحه هكذا لامكان وضعه موضع التنفيذ ما لم تشرح تفاصيله و موازينه و مقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى، و هل تقوم هذه المقاييس على اساس العدد و الكم، أو على اساس الكيف و الخبره؟الى غير ذلك مما يحدد للفكره معالمها و يجعلها صالحه للتطبيق فور وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**ثالثا: ان الشورى تعبر في الحقيقه عن ممارسه للامه- بشكل أو آخر- للسلطه عن طريق التشاور و تقرير مصير الحكم. فهى مسووليه تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى، و هذا يعنى انها لو كانت حكما شرعيا يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لكان لابد من طرحه على اكبر عدد من اولئك الناس لان موقفهم من الشورى ايجابى، وكل منهم يتحمل قسطا من المسووليه.**

**و كل هذه النقاط تبرهن على ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حال تبنيه لنظام الشورى كبديل له بعد وفاته يتحتم عليه ان يطرح فكره الشورى على نطاق واسع و**

بعمق و باعداد نفسى عام، و مل ء لكل الثغرات، و ابراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكره عمليه، و طرح للفكره على هذا المستوى كما و كيفا و عمقا، لا يمكن ان يمارسه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم ثم تنطمس معالمه لدى جميع المسلمين الذين عاصروه إلى حين
وفاته صلوات اللَّه عليه.

و قد يفترض ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان قد طرح فكره الشوره بالصوره اللازمه، و بالحجم الذي يتطلبه الموقف كما و كيفا و استوعبها المسلمون، غير ان الدوافع السياسيه استيقظت فجاه و حجبت الحقيقه و فرضت على الناس كتمان ما سمعوه من النبى فيما يتصل بالشورى و احكامها و تفاصيلها.

غير ان هذا الافتراض ليس عمليا، لان تلك الدوافع مهما قيل عنها فهى لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابه الذين لم يساهموا في الاحداث السياسيه عقب وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لا في بناء هرم السقيفه، و كان موقفهم موقف المترسل، و هولاء يمثلون في كل مجتمع جزاء كبيرا من الناحيه العدديه مهما طغى الجانب السياسى عليه.

فلو كانت الشورى مطروحه من قبل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع إلى نصوصها باصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، و لا نعكست بصوره طبيعيه عن طريق الاعتياديين من الصحابه كما انعكست فعلا النصوص النبويه على فضل الإمام علي عليه السلام و وصايته عن طرق الصحابه انفهسم، فيكف لم تحل الدوافع السياسيه دون ان تصل الينا مئات الاحاديث- عن طريق الصحابه- عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في فضل علي عليه السلام و وصايته و مرجعيته على الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد و قتئذ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكره الشورى؟ بل حتى اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الاحيان يختلفون في المواقف السياسيه و تكون من مصلحه هذا الفريق أو ذاك ان يرفع شعار الشورى ضد الفريق الاخر. و مع ذلك لم نعهد ان فريقا منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلا حظوا على سبيل المثال موقف طلحه من تعيين ابى بكر لعمر و استنكاره لذلك و اعلانه السخط على هذا التعيين، فانه لم يفكر- على رغم ذلك- ان يلعب ضد هذا التعيين بورقه الشورى، و يشجب موقف ابى بكر

**بانه يخالف ما هو المسموع من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم عن الشورى و الانتخاب(**

**ثم تطرق السيد الشهيد الصدر رضى اللَّه عنه إلى قضيه اساسيه هى قيمومه الصحابه على الدعوه الاسلاميه فهل جعل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم القيمومه لهم، و هل عبئهم لتحمل هذه المسووليه الكبيره، و اذا كان الامر كذلك فهل هناك نصوص تدعم هذه الاتجاه؟ فاجاب رضى اللَّه عنه.**

**النقطه الثانيه:**

**ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لو كان قد قرر ان يجعل من الجيل الاسلامى الرائد، الذي يضم المهاجرين و الانصار من صحابته قيما على الدعوه بعده و مسوولا عن مواصله عمليه التغيير، فهذا يحتم على الرسول القائد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يعبى ء هذا الجيل تعبئه رساليه و فكريه واسعه، يستطيع ان يمسك بالنظريه بعمق و يمارس التطبيق في ضونها بوعى، و يضع للمشاكل التي تواجهها الدعوه باستمرار حلولها النابعه من الرساله خصوصا اذا لاحظنا ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان- و هو الذي بشر بسقوط كسرى و قيصر- يعلم بان الدعوه مقبله على فتوح عظيمه، و ان الامه الاسلاميه سوف تضم إليها في غد قريب شعوبا جديده و مساحه كبيره، و تواجه مسووليه توعيه تلك الشعوب على الاسلام، و تحصين الامه من اخطار هذا الانفتاح، و تطبيق احكام الشريعه على الراض المفتوحه و على أهل الأرض، بالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان انظف الاجيال التي توارثت الدعوه و اكثرها استعدادا للتضحيه. و بالرغم من كل ذلك لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيومه على الدعوه، و الثقيف الواسع العميق على مفاهيمها، و الارقام التي تبرر هذا النفى كثيره لايمكن استيعابها في هذا المجال.**

**و يمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد ان مجموع ما نقله الصحابه من نصوص عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث،بينما كان عدد الصحابه يناهز اثنى عشر الفا على ما احصته كتب التاريخ. و كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يعيش مع الاف من هولاء في بلد واحد و مسجد واحد صباحا و مساء، فهل يمكن ان نجد فى هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص؟**

**و المعروف عن الصحابه انهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالسوال حتى ان احدهم كان ينتظر فرصه مجى ء اعرابى من خارج المدينه يسال**

**ليسمع الجواب، و كانوا يرون ان من الترف الذي يجب الترفع عنه السوال عن حكم قضايا لم تقع بعد و من اجل ذلك قال عمر على المنبر:**

**)احرج باللَّه على رجل سال عما لم يكن فان اللَّه قد بين ما هو كائن.(**

**و قال: (لا يحل لاحد ان يسال عما لم يكن ان اللَّه قد قضى فيما هو كائن)(٢٢) و جاء رجل يوما إلى ابن عمر يساله عن شيء فقال له ابن عمر: (لا تسال عما لم يكن فانى سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سال عما لم يكن)(٢٣. (**

**و سأل رجل ابى بن كعب عن مساله قال:**

**يا بنى اكان الذي سالتنى؟**

**قال: لا.**

**قال: اما لا فاجلنى حتى يكون)(٢٤(**

**و قرا عمر يوما القران فانتهى إلى قوله تعالى (فانبتنا فيها حبا و عبنا و قضبا و زيتونا و نخلا و حدائق غلبا و فاكهه و ابا)(٢٥. (**

**قال: كل هذا عرفناه فما الاب؟ ثم قال: هذا لعمر اللَّه هو التكلف فما عليك ان لا تدرى ما الاب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه.(**

**و هكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابه إلى العزوف عن السوال الا في حدود المشاكل المحدوده الواقعه.**

**و هذا الاتجاه هو الذي ادى إلى ضئاله عدد النصوص التشريعه التي نقلوها عن الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو الذي ادى بعد ذلك إلى الاحتياج إلى مصادر اخرى غير الكتاب و السنه كالاستحسان و القياس و غيرهما من الوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتى للمجتهد، الامر الذي ادى إلى تسرب شخصيه الانسان بذوقه و تصوراته الخاصه إلى التشريع، و هذا الاتجاه ابعد ما يكون عن عمليه الاعداد الرسالى الخاص التي كانت تتطلب تثقيفا واسعا لذلك الجيل و توعيه له على حلول الشريعه للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته.**

**و كما امسك الصحابه عن مبادره النبى بالسوال كذلك امسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم و سنته على رغم انها المصدر الثاني من مصادر الاسلام، و ان التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحافظ عليها و صيانتها من الضياع و التحريف، فقد اخرج الهروى في ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبداللَّه بن دينار قال:**

)لم يكن الصحابه و لا التابعون يكتبون الاحاديث و انما كانوا يودونها لفظا و ياخذونها حفظا.(

بل ان الخليفه الثاني- على ما في طبقات ابن سعد- ظل يفكر في الموقف الافضل تجاه سنه الرسول، و استمر به التفكير شهرا ثم اعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك و بقيت سنه الرسول الاعظم التي هى اهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم في ذمه القدر يتحكم فيها النسيان تاره، و التحريف اخرى، و موت الحفاظ ثالثه طيله مائه و خمسين سنه تقريبا.

و يستثنى من ذلك اتجاه أهل البيت فانهم دابوا على التسجيل و التدوين منذ العصر الاول، و قد استفاضت رواياتنا عن ائمه أهل البيت بان عندهم كتابا ضخما مدونا باملاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و خط على بن ابى طالب عليه السلام فيه جميع سنن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

فهل ترى بربك ان ذلك الاتجاه الساذج- ان كانت المساله مساله سذاجه- الذي ينفر من السوال عن واقعه قبل حدوثها و يرفض تسجيل سن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعد صدورها كفوا لزعامه الرساله الجديده و قيادتها في اهم واصعب مراحل مسرتها الطويله؟.

او هل ترى بربك ان الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يترك سنته مبعثره بدون ضبط و تسجيل مع انه يامر بالتمسل بها؟. أو لم يكن من الضرورى اذا كان يمهد لفكره الشورى حقا ان يحدد للشروى دستورها و يضبط سنته لكى تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء؟

اليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبى انه كان قد اعد الامام عليا للمرجعيه و زعامه التجربه بعده، و اودعه سنته كامله، و علمه الف باب من العلم.

و قد اثبتت الاحدات بعد و فاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان جيل المهاجرين و الانصار لم يكن اى تعليمات محدده عن كثير من المشاكل الكبيره التي كان من المفروض ان تواجهها الدعوه بعد النبى، حتى ان المساحه الهائله من الأرض التي امتد إليها الفتح الاسلامى، لم يكن لدى الخليفه و الوسط الذي يسنده، اى تصور محدد عن حكمها الشرعى، و عما اذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وقفا على المسلمين عموما. فهل يمكننا ان نتصور ان النبى يوكد للمسلمين انهم سوف يفتحون ارض كسرى و قيصر، و يجعل من جيل المهاجرين و الانصار القيم على الدعوه، و المسوول

عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعى الذي يجب ان يطبقه على تلك المساحه الهائله من الدنيا التي سوف يمتد إليها الاسلام؟.

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك: ان الجيل المعاصر للرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يكن يملك تصورات واضحه محدده حتى في مجال القضايا الدينيه التي كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يمارسها مئات المرات و على مراى و مسمع من الصحابه. و نذكر على سبيل المثال لذلك الصلاه على الميت فانها عباده كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد مارسها علانيه مئات المرات،

و اداها في مشهد عام من المشيعين و المصلين و بالرغم من ذلك يبدون ان الحصابه كانوا لا يجدون ضروره معرفه هذه العباده ما دام النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يوديها، و ما داموا يتابعون فيها النبى فصلا بعد فصل. و لهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في عدد التكبيرات في صلاه الميت فقد اخرج الطحاوى عن ابراهيم قال: قبض رسول اللَّه و الناس مختلفون في التكبير على الجنازه، لا تشاء ان تسمع رجلا يقول سمعت رسول اللَّه يكبر خمسا، و آخر يقول سمعت رسول اللَّه يكبر اربعا، فاختلفوا في ذلك حتى قبض ابوبكر، فلما ولى عمر و راى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جدا، فارسل إلى رجال من اصحاب رسول اللَّه فقال: انكم معاشر اصحاب رسول اللَّه متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم، و متى تجتمعون على امر يجتمع الناس عليه فانظروا ما تجتمعون عليه، فكانا ايقظهم فقالوا: نعم ما رايت يا اميرالمومنين.

و هكذا نجد ان الصحابه كانوا في حياه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يتكلون غالبا على شخص النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لا يشعرون بضروره الاستيعاب المباشر للاحكام و المفاهيم ما داموا في كنف النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و قد تقول ان هذه الصوره التي عرضت عن الصحابه و ما فيها من ارقام على عدم كفائتهم للقياده يتعارض مع ما نومن به جميعا من ان التربيه النبويه احرزت درجه هائله من النجاح و حققت جيلا رساليا رائعا.

و الجواب: انا بما قدمناه قد حددنا الصوره الواقعيه لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم دون ان نجد في ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابى بدرجه عاليه للتربيبه النبويه التي مارسها الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حياته الشريفه، لاننا في نفس الوقت الذي نومن فيه بان التربيه النبويه كانت مثلا ربانيا رائعا و بعثا رساليا متميزا في تاريخ العمل النبوى على مر الزمن نجد ان

**الايمان بذلك و الوصول إلى تقييم حقيقى لمحصول هذه التربيه و نتائجها لا يقوم على اساس ملاحظه النتائج بصوره منفصله عن ظروف التربيه و ملابساتها، و لا على اساس، ملاحظه الكم بصوره منفصله عن الكيف.**

**ففى مجال تقييم التربيه النبويه يجب ان ناخذ بعين الاعتبار:**

**اولا: قصر الفتره الزمنيه التي مارس النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فيها تربيته، لانها لا تتجاوز تقريبا عقدين من الزمن بالنسبه إلى اقدم صحبه، و لا تتجاوز عقدا واحدا من الزمن بالنسبه إلى الكثره الكاثره من الانصار، و لا تتجاوز ثلاث سنوات أو اربع بالنسبه إلى الاعداء الهائله التي دخلت الاسلام ابتداء منذ صلح الحديبيه، و استمرارا إلى حين فتح مكه.**

**ثانيا: الوضع المسبق الذي كان هولاء يعيشونه من الناحيه الفكريه و الروحيه و الدينيه و السلوكيه قبل ان يبدا النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بممارسه دوره، و ما كانوا عليه من سذاجه و فراغ و عفويه في مختلف مجالات حياتهم.**

**ثالثا: ما زخرت به تلك الفتره من احداث و الوان الصراع السياسى و العسكرى على جبهات متعدده، الامر الذي ميز طبيعه العلاقه بين الرسول الاعظم و صحابته من نوع العلاقه بين شخص كالسيد المسيح و تلامذته فلم تكن علاقه مدرس و مرب متفرغ لاعداد تلامذته، و انما هى العلاقه التي تتناسب مع موقع الرسول كمرب و قائد حرب و رئيس دوله.**

**رابعا: ما واجهته الجماعه السلمه نتيجه احتكاكها باهل الكتاب، و بثقافات دينيه متنوعه من خلال صراعها العقائدى الاجتماعى فقد كان هذا الاحتكاك و ما يطرحه على الساحه خصوم الدعوه الجديده المثقفين بثقافات دينيه سابقه، مصدر قلق و اثاره مستمره. و كلنا نعرف انه شكل بعد ذلك تيارا فكريا اسرائيليا تسرب بصوره عفويه، أو بسوء نيه إلى كثير من مجالات التفكير. و نظره فاحصه في القرآن الكريم تكفى لا كتشاف حجم المحتوى لفكر الثوره المضاده، و مدى اهتمام الوحى برصدها و مناقشه افكارها.**

**خامسا: ان الهدف الذي كان يسعى المربى الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم لتحقيقه على المستوى العام، و في تلك المرحله هو ايجاد القاعده الشعبيه الصالحه التي يمكن لزعامه الرساله الجديده- في حياته أو بعد وفاته- ان تتفاعل معها و تواصل عن طريقها التجربه، و لم يكن الهدف المرحلى و قتئذ تصعيد الامه إلى مستوى هذه الزعامه نفسها بما تتطلبه من فهم كامل للرساله، و تفقه شامل على احكامها، و**

**التحام مطلق مع مفاهيمها و تحديد الهدف في تلك المرحله بالدرجه التي ذكرناها كان امرا منطقيا تفرضه طبيعه العمل التغييرى، اذ ليس من المعقول ان يرسم الهدف الا وفقا لممكنات عمليه، و لا مكان عملى في حاله كالحاله التي واجهها الاسلام الا ضمن الحدود التي ذكرناها، لان الفاصل المعنوى و الروحى و الفكرى و الاجتماعى بين الرساله الجديده و بين الواقع الفاسد القائم و قتئذ كان لا يسمح بالارتفاع بالناس إلى مستوى زعامه هذه الرساله مباشره.**

**سادسا: ان جزءا كبيرا من الامه التي تركها النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بوفاته كان يمثل مسلمه الفتح، اى المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكه و بعد ان اصحبت الرساله الجديده سيده الموقف في الجزيره العربيه سياسا و عسكريا، و هولاء لم يتح للرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يتفاعل معهم في الفتره القصيره التي اعقبت الفتح الا بقدر ضئيل، و كان جل تفاعله معهم بوصفه حاكما بحكم المرحله التي كانت الدوله الاسلاميه تمر بها.**

**ففى اطار هذه الامور الستته نجد ان التربيه النبويه انتجبت انتاجا عظيما، و حققت تحولا فريدا، و انشات جيلا صالحا موهلا لما استهدفه النبى من تكوين قاعده شعبيه صالحه للالتفات حول الزعامه القائده للتجربه الجديده و اسنادها،و لذلك نجد ان ذلك الجيل كان يودى دوره كقاعده شعبيه صالحه مادامت الزعامه القائده الرشيده كانت قائمه في شخص النبى. و لو قدر لهذه الزعامه ان تاخذ مسارها الربانى لظلت القاعده تودى دورها الصالح، غير ان هذا لا يعنى بحال من الاحوال انها مهياه فعلا لكى تتسلم هذه الزعامه، و تقود بنفسها التجربه الجديده، لان هذه لاتهيئه تتطلب درجه اكبر من الانصهار الروحى و الايمانى بالرساله، و احاطه اوسع كثيرا باحكامها و مفاهيمها و وجهات نظرها المختلفه عن الحياه، و تطهيرا اشمل لصفوفها من المنافقين و المندسين و المولفه قلوبهم الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزاء من ذلك الجيل له اهميته العدديه و مواقعه التاريخيه، كما ان له آثاره السلبيه، بدليل حجم ما تحدث به القران الكريم عن المنافقين و مكائدهم و مواقفهم مع تواجد افراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربه ان تبنيهم بناء رساليا رفيعا و تصهرهم في بوتقتها كسلمان و ابى ذر و عمار و غيرهم.**

**اوقل: ان تواجد هولاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن على ان ذلك الجيل ككل بلغ إلى الدرجه تبرر اسناد مهام التجربه إليه على اساس الشورى، و حتى اولئك الافراد الذين مثلوا النمط الرفيع رساليا من ذلك الجيل لا يوجد في اكثرهم ما يبرر**

**افتراض كفايتهم الرساليه لزعامه التجربه من الناحيه الفكريه و الثقافيه على رغم شده اخلاصهم، و عمق ولائهم، لان الاسلام ليس نظريه بشريه لكى يتحدد فكريا من خلال الممارسه و التطبيق و تتبلور مفاهيمه عبر التجربه المخلصه، و انما هو رساله اللَّه التي حددت فيها الاحكام و المفاهيم و زودت ربانيا بكل التشريعات العامه التي تتطلبها التجربه فلابد لزعامه هذه التجربه من استيعاب الرساله بحدودها و تفاصيلها، و من وعى بكل احكامها و مفاهيمها، و الا اضطرت إلى استلهام مسبقاتها الذهنيه و مرتكزاتها القبليه، وادى ذلك إلى نكسه في مسيره التجربه، و بخاصه اذا لا حظنا ان الاسام كان هو الرساله الخاتمه من رسالات السماء التي يجب ان تمتد مع الزمن،و تتعدى كل الحدود الوقتيه و الا قليميه و القوميه الامر الذي لا يسمح بان تمارس زعامته التي تشكل الاساس لكل ذلك الامتداد تجارب الخطا و الصواب التي تتراكم فيها الاخطاء عبر فتره من الزمن حتى تشكل ثغره تهدد التجربه بالسقوط و الانهيار.**

**و كل ما تقدم يدل على ان التوعيه التي مارسها النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم على المستوى العام للمهاجرين و الانصار لم تكن بالدرجه التي يتطلبها اعداد القياده الواعيه الفكريه**

**و السياسيه لمستقبل الدعوه و عمليه التغيير، و انما كانت توعيه بالدرجه التي تبنى القاعده الشعبيه الواعيه التي تلتف حول قياده الدعوه في الحاضر و المستقبل.**

**و اى افتراض يتجه إلى القول بان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يخطط لاسناد قياده التجريه و القيمومه على الدعوه بعده مباشره إلى جيل المهاجرين و الانصار، يحتوى ضمنا اتهام اذكى و ابصر قائد رسالى في تاريخ العمليات التغييريه بعدم القدره على التمييز بين الوعى المطلوب على مستوى القاعده الشعبيه للدعوه و الوعى المطلوب على مستوى قياده الدعوه و امامتها الفكريه و السياسيه.**

**النقطه الثالثه:**

**ان الدعوه عمليه تغيير، و منهاج حياه جديده و هى تستهدف بناء امه من جديد و اقتلاع كل جذور الجاهليه و رواسبها من وجودها.**

**و الامه الاسلاميه ككل لم تكن قد عاشت في ظل عمليه التغيير هذه الا عقدا واحدا من الزمن على اكثر تقدير، و هذا الزمن القصير لا يكفى عاده في منطقى الرسالات العقائديه و الدعوات التغييريه لا رتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوه عشر سنوات فقط إلى درجه من الوعى و الموضوعيه و التحرر من رواسب الماضى، و الاستيعاب لمعطيات الدعوه الجديده توهله للقيمومه على الرساله و تحمل مسوولیات الدعوه و**

**مواصله عمليه التغيير بدون قائد، بل ان منطق الرسالات العقايديه يفرض ان تمر الامه بوصايه عقائديه فتره اطول من الزمن تهيوها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومه.**

**و ليس هذا شيئا نستنتجه استنتاجا فحسب و انما يعبر ايضا عن الحقيقه التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاه القائد الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و تجلت عبر نصف قرن أو اقل من خلال ممارسه جيل المهاجرين و الانصار لامامه الدعوه و القيمومه عليها، اذ لم يمض على هذه القيمومه ربع قرن حتى بدات الخلافة الراشده و التجربه الاسلاميه التي تولى جيل المهاجرين و الانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديده**

**التى وجهها اعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل اطار التجربه الاسلاميه لا من خارجها، اذ استطاعوا ان يستللوا إلى مراكز النفوذ في التجربه بالتدريج، و استغلوا القياده غير الواعيه ثم صاروا بكل وقاحه و عنف تلك القياده، و اجبروا الامه و جيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيته و قيادته، و تحولت الزعامه إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الابرياء و يبعثر الاموال و يعطل الحدود و يجمد الاحكام و يتلاعب بمقدرات الناس، و اصبح الفى ء و السواد بستانا لقريش، و الخلاقه كره يتلاعب بها صبيان بنى اميه.**

**فواقع التجربه بعد النبى، و ما تخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يوكد ان اسناد القياده و الإمامة الفكريه و السياسيه لجيل المهاجرين أو الانصار عقيب وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مباشره احراء مبكر و قبل وقته الطبيعى، و لهذا ليس من المعقول ان يكون النبى قد اتخذا اجراء من هذا القبيل.**

---

1- خصائص النسائى، ص ٣٦. طبع مطبعه التقدم العلميه بمصر.

2- بحارالانوار ج ٤٣:٥٤.

3- الاحزاب:٦.

4- الضحى:٦- ٨.

5- الكهف:١١٠.

6- بحارالانوار ج ٤٣:٤٠.

7- اصل العلل للعمرى ج ٤:٣٢٨.

8- الادله الواضحه للترمذى، ص ١٦ الطبعه الحجريه.

9- النجم الثاقف للراوندى ص ٩٥ ط مصر.

10- الاحزاب:٦.

11- آل عمران:٦١.

12- صحيح الترمذى ج ٥:٥٩٦، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣.

13- الاحزاب:٥٣.

14- النور:٢٧.

15- في الصواعق المحرقه قال: ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان جالسا مع جماعه من اصحابه فجاءه خصمان فقال احدهما يا رسول اللَّه ان لى حمارا و ان لهذا بقره، و ان بقرته قتلت حمارى. فبدا رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اقض بينهما يا على.

فقال علي عليه السلام لهما: اكانا مرسلين ام مشدودين، ام احدهما مشدودا و الاخر مرسلا؟

قالا: كان الحمار مشدودا و البقره مرسله و صاحبها معها.

فقال عليه السلام: على صاحب البقره ضمان الحمار.

فاقر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم حكمه و امضى قضاءه(

و يجب ان يبحث هذا الموضوع- و اعنى ممارسه علي عليه السلام للحكم في زمن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و بامر منه- من قبل المختصين: لان ذلك يكشف عن اوضح مستويات اعداده للخلافه، ان لم نقل هو التنصيب بذاته.

الصواعق المحرقه ص ٧٣ طبع المطبعه الميمنيه بمصر، و نور الابصار للشبلنجى ص ٧١.

16- المائده:٦٧.

17- المائده:٣.

18- المائده:٣.

19- الملل و النحل ج ١ ص ١٥.

20- جاء في تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٨١ ما يلى:

»قال عمر لصهيب: صل بالناس ثلاثه ايام، و ادخل عليا و عثمان و الزبير و سعدا و عبدالرحمن بن عوف و طلحه- ان قدم- و احضر عبداللّٰه بن عمر و لا شی له من الامر، و قم علی رووسهم فان اجتمع خمسه و رضوا رجلا و ابی واحد فاشدخ راسه، أو اضرب راسه بالسیف.

و ان اتفق اربعه فرضوا رجلا منهم و ابی اثنان فاضرب رووسهما، فان رضی ثلاثه رجلا منهم، و ثلاثه رجلا منهم، فحکموا عبداللّٰه بن عمر، فای الفریقین حکم له فلیختاروا رجلا منهم، فان لم یرضوا بحکم عبداللّٰه بن عمر فکونوا مع الذین فیهم عبدالرحمن بن عوف و اقتلوا الباقین ان رغبوا عما اجتمع علیه الناس.(...

21- تاریخ الطبری ج ۲ ص ۲٤۳، و شرح نهج البلاغه لابن أبي الحدید ج ٦ ص ۹٦.

22- سنن الدارمی ج ۱:۵۰ طبع مطبعه الاعتدال دمشق.

23- سنن الدارمی ج ۱:۵۰ طبع مطبعه الاعتدال دمشق.

24- سنن الدارمی ج ۱:٥٦.

25- سوره عبس آیه ۲۷- ۳۱.-

## خطوات في طريق الاعداد

**و قد اتخذ النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم خطوات عديده- اضافه إلى ما تقدم- تمهيدا لتكريس دور الزهراء، و الاعداد لما كان يجب ان تقوم به بعده، في مرحله من اخطر مراحل المسيره الاسلاميه. و لعل اهم تلك الخطوات مايلى:**

**اولا: استعمل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر، المتمثل بالمنبر، للتاكيد على اهميه موقع الزهراء، فقد جاءت تعبيرات بعض الرواه في هذا الصدد على هذا النحو: سمعت رسول اللَّه يقول على المنبر.**

**فمن ذلك ما رواه النسائى عن السمور بن مخرمه قال:**

**سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يخطب على منبره هذا و انا يومئذ محتلم- اى قد بلغ الحلم- فقال:**

**ان فاطمة بضعه منى)(١.(**

**و هذا يعنى ان الاعلان كان عاما لجميع المسلمين، لم يقتصر على محافل نسائيه مثلا، كان يكون في بيته، أو بين ازواجه، أو بين نساء المهاجرين و الانصار.**

**و نجده صلى اللَّه عليه و آله و سلم ياخذ بيد فاطمة عليهاالسلام امام الملا فيشيد و يوصى الامه بها، يروى مجاهد فيقول:**

**)خرج النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو آخذ بيد فاطمة عليهاالسلام فقال:من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، و هى بضعه منى، و هى قلبى و روحى التي بين جنبى. فمن آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى اللَّه)(٢.(**

**ثانيا: جاء في بعض الروايات تعبيرات خاصه تدل على اهميته موقع الزهرا عليهاالسلام منها مثلا قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم: (فاطمه ام ابيها.(**

**و كلمه الام في اللغه تعنى (الاصل) نظير قوله تعالى عن مكه المعظمه بانها (ام القرى) اى اصل القرى. و المعلوم ان الوالد اصل الولد لا العكس، و الموكد انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يقصد العكس قطعا لبداهه الامر و وضوحه، و اذا ما الذي يقصده صلى اللَّه عليه و آله و سلم من ذلك؟**

**هل اراد ان يقول انها معها النبوه و حضن الإمامة فمنها و بها يمتد الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشخصيته النبويه، فهى عليهاالسلام اصله في الامتداد لا في الايجاد و يضفى عليها بذلك مسحه من نور النبوه يمكنها من اداء الدور المرتقب لها.**

**ام انه اراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان ينزل الزهراء منزله الام من حيث وجوب طاعتها على كل المسلمين من باب الاولويه؟**

**و لماذا نستعبد ذلك و القرآن شاهد على نظيره بالنسبه لازواج الرسول حيث نزلهن المولى منزله الامهات في قوله تعالى (النبى اولى بالمومنين من انفسهم و ازواجه امهاتهم)(٣) و رتب على ذلك بعض الاثار الشرعيه.**

**و لا معنى للقول بان تفسير (فاطمه ام ابيها) ان الزهراء ملات فراغا عاطفيا عانى منه الرسول ايام طفولته بسبب فقده لامه- رضوان اللّٰه عليها- و هو صغير و ذلك لان المولى كفل له كل ما من شانه بناء شخصيته القياديه فقال عز من قائل (الم يجدك يتميا فاوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عائلا فاغنى)(٤) و رغم ان الرسول بشر (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى)(٥) يحمل كل ما في البشر من فطره، و لكن بنفس الوقت نعتقد ان الرسول الذي احتضنته السماء منذ نعومه اظفاره اكبر من ان يشعر بهذه الحاجات و قد قاربّ الخمسين.**

**ثالثا: و جاء في لسان بعض الروايات تعبير (فداها ابوها) الذي يدل دلاله واضحه على استعداد الرسول الاكرم للتضحيه من اجلها و هو سيد المرسلين اجمعين.**

**فهل هى نزعه عاطفيه غلبته، و تاثر بموقفها حين نزعت القلاده و تصدقت بها على فقراء المسلمين، أو انها عتقت رقبه في سبل اللّٰه بمثنها؟ هل يستوجب ذلك ان يفديها ابوها بنفسه؟**

**ان هذه العباره و ان جاءت في سياق القصه المعرفه عن القلاده، الا اننا نقطع ان القضيه اكبر منان تكون علتها هذه القضيه فقط، ذلك ان حجم العباره اكبر من ان تحصر بهذا المورد.**

**لقد اراد الرسول ان يقرر للمسلمين- و كان جالسا في المسجد- ان الزهراء التى- فداها ابوها- و الذي هو اطهر روح، و ازكى نفس، و اغلى دم، و هو سيد المرسلين استعد لان يفيدها بروحه، فمن باب الاولى ان تقتدى الامه به في هذه القضيه التي نص عليها بنفسه امامهم، و في مكان من اطهر اماكن الأرض، في المسجد النبوى الريف، و يوكد للامه: ان التي افديها بروحى تستحق منكم ارواحكم، لان هذا هو معنى الاقتداء بى.**

**رابعا: نجد في بعض الروايات ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم كان يقبل يد الزهراء عليهاالسلام كما رواه ابن شهر آشوب عن الصادقين، و البحار للمجلسى ج ٤٣، و هذا امر غير مالوف و لا متعارف عند العرب و غيرهم، بل المعروف خلافه تماما. و هذا يجعلنا نتسائل عن السر الذي جعل النبوه الخاتمه بكل ما تحمل من عظمه و جلال تنحنى لتقبل يد الزهراء الطاهره.**

هل هى عطافه بحته، ام ظاهره تحمل هدفا عظيما، و سرا مقدسا، قد يكون مستقبل الاسلام مرهونا به.

هل اراد الرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يقول لامته: ان هذه اليد التي اقبلها مقدسه و طاهره و لا يمكن ان تمتد أو تطلب ما ليس لها بحق في حياتى و بعد حياتى؟

او انه اراد لهذه القبلات ان تكون شاهد النبوه و السماء على ان هذه اليد اذا وضعتها صاحبتها على شيء، كانت القبلات شاهدها على ان هذا الحق لها.

خامسا: ورد في نصوص اخرى ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يقوم اجلالا لها، و احتراما لمقامها.

و لم نعهد في نص اور روايه ان النبى كان يقوم لازواجه أو اصحابه.

ان هذه الواقعه تجعلنا نومن بان التفسير المنطقى لاهتمام النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالزهراء يبتعد في هدفه إلى ما هو اكبر من قضيه عاطفيه، اذ جرت العاده ان القيام تعبير عن اهتمام كبير بتلك الشخصيه يتناسب مع عظمه مقامها.

و في البحار بالاسناد عن عكرمه عن ابن عباس، و عن ابى ثعلبه الخشنى، و عن نافع، عن ابن عمر قالوا:

كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اذا اراد سفرا كان آخر الناس عهدا بفاطمه، و اذا قدم كان اول الناس عهدا بفاطمه. و لو لم يكن لها عنداللَّه تعالى فضل عظيم لم يكن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يفعل معها ذلك، اذ كانت ولده و قد امر اللَّه بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز ان يفعل معها ذلك، و هو بضد ما امر به امته عن اللَّه تعالى)(٦.(

فما معنى ان يقوم لا بنته غير التاكيد على ان قيام النبوه العظمى لها انما هو قيام لما تمثله الزهراء من دور في مسيره النبوه الكبرى بالاضافه إلى استحقاقها الذاتى للاحترام و التقديس باعتبارها معلما من معالم الاسلام صلوات اللَّه عليها.

سادسا: نرى كذلك ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان لا يدخل دار الزهراء الا مستاذنا ففى روايه عن الامام الصادق عليه السلام قال:

طرق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم باب فاطمة عليهاالسلام ذات يوم.

فقالت: من الطارق؟

فقال: يا بنيتى رسول اللَّه.

فقالت: اليس البيت بيتك، و البنت بنتك فما المانع من الدخول؟

فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: ان اللَّه امرنى ان لا ادخل الا باذنك)(٧.(

**و عن عبدالرحمن بن عوف قال:**

**سالت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ذات يونم: اراك بابى و امى تطيل النظر لباب فاطمه؟**

**فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اعلم و كن عاقلا لما اقول: اطيل النظر للباب لما احتوى عى كنوز و اسرار ايسرها الاستاذان، و اعسرها تطيش له العقول)(٨.(**

**و يروى كذلك عن النبى انه قال لعلي عليه السلام:**

**لولا اك بعلها لامرتك بما امرنى اللَّه ان لا تدخل خجرتها الا باذن منها، فانها نورانيه السماوات، ملكوتيه الأرض، متظللَّه النور)(٩.(**

**و لا ندرى هل ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان مضطرا للاستئذان- من الناحيه الشرعيه- لدخول بيت ابنته لتجنب الوقوع في محذور شرعى، و هل الزهراء احنبيه عنه، ام ان عليا عليه السلام لا يتشرف بهذه المثاره الكبى في دخول النبى بيته؟**

**و مهما حاولنا ان نبحث عن مبرر فقهى لقضيه استاذان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لدخول بيت فاطم فلن نصل إلى نتيجه و ذلك لانه (اولى بالمومنين من انفسهم)(١٠) أولا، و انه ابوالزهراء و بيتها بيته و هم اهله من دون ريب، فقد روى الترمذى في صحيحه انه: لما نزلت هذه الايه (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناء كم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه اللَّه على الكاذبين)(١١) دعا رسول اللَّه عليا و فاطمة و حسنا و حسينا و قال: (اللهم هولاء اهلى)(١٢.(**

**فهل اراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يعلم الامه ان بيت الزهرا عليهاالسلام هو بيت النبوه الذي عناه الحق بقوله (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن لكم)(١٣) إضافة إلى الحكم العام في قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا و تلموا على اهلها)(١٤.(**

**اضف إلى ذلك ان بيت الزهراء لا ينطبق عليه حكم (غير بيتكم) بالنسبه إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فهو اولى بالمومنين من انفسهم، و الزهراء بنته و هو اولى بها، فلماذا يستاذن في دخول بيتها؟ اليس هذا يدل على ان هناك حكمه بالغه وراء تصرف النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و استاذانه.**

**و من الممكن ايضا ان نقول في تفسير ذلك: ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اراد ان يعلم الامه، بما فيذلك مجتمع الصحابه، ان هذا البيت لا يجوز دخوله دون استاذان حتى للانبياء فضلا عن غيرهم.**

و من هذا نستكشف انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعلم ان بيتها سوف تهتك حرمته في يوم ما، فاراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يصونه و يحميه فوقف عند بابه يستاذن اهله المره تلو المره، ليجعله معلما من معالم الايمان و لتعرف الامه من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

و كان من جمله الامور التي ندم عليها ابوبكر قبل موته كشفه لبيت فاطمة عليهاالسلام مما يدل على ارتكاز هذا المفهوم في ذهنه، و سياتى الحديث عن ذلك فيما بعد.

هذه بعض الخطوات التي خطاها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في طريق الاعداد لدور الزهرا عليهاالسلام المرتقب في مهمه تثبيت اركان و اسس الإمامة بصيغتها العمليه التنفيذيه.

ان هذا الموضوع يستحق بحثا اعمق و اشمل مما تقدم لاستكشاف الحكمه النبويه في جميع خطوات اعداد الأرضيه لتثبيت خط الإمامة من بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و التي قادتها الزهراء صلوات اللَّه و سلامه عليها، اذ هناك الثير ما يجب ان يبحث و هو يستحق قدرا اكبر من الاستقصاء و الدقه.

## طبيعه الموضوع و خصوصيه الزهراء «الخلافة و نظام الحكم»

من الموكد ان اى رساله أو نظام يعتما في مساله استمراره و بقاءه على جمله مقومات اساسيه و ما من شك ان موضوع (الحاكم و طبيعه نظام الحكم و شكله) من اهم تلك المقومات.

و السوال هنا: هل حدد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم نظام الحكم و شكله و طبيعته؟

و هل هذا النظام هو نظام الشورى. و اذا كان كذلك فما هى اسس هذا النظام؟ و كيف يطبق و من المسوول عن تطبيقه؟ و هل يقصد بالشورى تحكيم راى الاكثريه على الاقليه، ام ان الشورى يراد بها مدارسه الامور و القضايا الاساسيه و يكون البت فيها لجهه اخرى؟ ام هى شورى أهل العقد لا شورى الامه؟

ام ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اختار نظام الإمامة فنصب عليا عليه السلام وليا على الامه بعده و اوكل إليه تنظيم تفاصيل ذلك، و ترسيخ نظام الحكم الذي هو بطبيعته يحتاج إلى فتره زمينه طويله من الممارسته العمليه الصحيحه، و تربيه الامه على تفهم تلك الممارسه و استيعابها، و تحديد اتجاه صحيح لها في مجال ممارستها لها؟

**و نحن من البدايه نقول و على ضوء طبيعه هذا البحث، و قناعتنا العقائديه، ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم نصب عليا عليه السلام خليفه بعده، و سخر لاجل تحقيق هذا الهدف كل**

**الوسائل الممكنه، سواء كانت على مستوى النص، أو الممارسه العمليه القريبه من الممارسه الفعليه للحكم في زمن النبى و في حياته(١٥.(**

**و لا يعنى ذلك اننا نرفض مبدا الشورى من الاساس و انما الكلام في ان الشورى هل هى نظام الحكم في الاسلام، ام هى مفرده من مفردات النظام، و على اساس الفرض الثاني يقوم هذا البحث بعد ان ثبت بالنوص القطعيه ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم نظريا- على الاقل- نص على أميرالمؤمنين علي عليه السلام خليفه بعده، و هى في الوقت نفسه الصديقه الزهراء لتمارس دورا خاصا لا يستطيع غيرها اداءه، بعد ان استنفذ الوسائل الاخرى المالوفه في مجال التشريع، و اهمها النص- الكتاب و السنه- الذي قد يفرغ من محتواه من خلال التاويل أو التفسير أو التخصيص بالخبر كما حصل في آيه الارث التبى خصصت ب(نحن معاشر الانبياء لا نورث)، و التي على اساسها حرمت الزهراء من ارثها، و امثال ذلك كثير. فاراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يجعل موشرا ماديا محسوسا لا يخضع لتلك الموثرات، و المتمثل بابنته فاطمة الزهراء، ليحدد الاتجاه الصحيح لمسيره الخلافة، و تحديد شخصيه الخلفيه و تعيينها.**

**و هذه المهمه من اصعب المهام على الاطلاق لسعه الفارق بين النظريه و التطبيق، و البون الشاسع بينهما، و صعوبه تحدى الواقع الاجتماعى المخالف للنظريه، و الذي عبر عنه القرآن الكريم في قول الحق (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته واللَّه يعصمك من الناس)(١٦.(**

**فان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم على صعيد الواقع قد ابلغ الرساله بكل جوانبها العقائديه و التشريعيه، و الايه الكريمه نزلت في اواخر حياته- في حجه الوداع- فما هو الامر الذي لم يبلغ غير تعيين الخليفه، و الذي ثم الابلاغ به في قضيه الغدير المعروفه التي اعقبها نزول قوله تعالى(اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(١٧.(**

**اما على الصعيد العملى فان تطبيق ذلك- اى استخلاف النبى لعلى- ليس بالامر الهين اليسير، و لا يكفى مجرد الابلاغ لالتزام الامه به، و لا يمكن من الناحيه العمليه ان يترك النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم هذا لامر من دون اتخاذ احتياطات عمليه في طريق اعداد الأرضيه المناسبه للخليفه المرتقب.**

و قبل ان ندخل في التفاصيل لندع هذه الرويه جنانبا و نبحث بموضوعيه و تجرد، و بعيدا عن النصوص الشرعيه، و واقع المسيره الاسلاميه بعد وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مباشره و ما اكتنف ذلك من احداث، و نتعرف من خلال رويه موضوعيه و منطقيه على ما يمكن ان يكون عليه موقف الرسول القائد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الاسلام من بعده هل تركه لمهب الرياح لتبدد تلك الجهود الجباره و لتضحيات الهائله التي بذلها هو والثله الطاهره من اصحابه في سبيل ارساء صرح الاسلام و تثبيت قواعده، ام انه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم خطط لمستقبل الاسلام و حدد معالم المسيره من بعده و بذل كل ما عنده لتكريس الرويه الربانيه لما يجب ان يكون عليه الوضع من بعده، و لم يرحل الا بعد ان انجز تلك المهمه (اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(١٨.(

منطلقين من ذلك إلى التعرف على دور الزهرا عليهاالسلام و طبيعه مهمتها.

لقد ناقش هذه القضيه الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضى اللّٰه عنه نقاضا عقليا موضوعيا في كتابه القيم (بحث حول الولايه) و حصر الاحتمالات الممكنه لما كان يمكن ان يقول به الرسول لمعاجله هذه القضيه و بحثها على ضوء العقل و الواقع و استخلص من ذلك النتجيه المنطقيه التي تنسجم مع عظمه الدين و قائد الاسلام العظيم محمد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم الذي كان احرص البشر جميعا على مستقبل الاسلام و الامه الاسلاميه.

ان من اهم فقرات هذا الكتاب هو البحث عن موقف النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الدعوه الاسلاميه بعد وفاته صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، هل حدد طبيعه نظام الحكم و شكله السياسى؟ و هل اوصى لاحد من بعده ام لا؟

و لم اجد اروع مما كتبه الامام الشهيد الصدر رضى اللّٰه عنه في كتابه اليم (بحث حول الولايه) فاحببت ان استفيد من بحثه مومنا ان احدا لا يستطيع ان ياتى بمثل ما اتى به، فعليه رضوان اللّٰه و جعل روحه مع اجداده الكرام في الجنان.

لخص الامام الشهيد الصدر الرق التي كان بامكان الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نهجها بثلاثه:

## الطريق السلبى

اولها: الطريق السلبى، و ذلك بان يقف صلى اللّٰه عليه و آله و سلم من مستقبل الدعوه موقفا سلبيا، و يكتفى بممارسه دوره قياده الدعوه و توجيهها فتره حياته و يترك مستقبلها للظروف و الصدف.

**و يرى رضى اللَّه عنه ان هذه السلبيه لا يمكن افتراضها في النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لانها انا تنشا**

**من احد امرين كلاهما لا ينطبق عليها.**

**الامر الاول: هو ان نفترض انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعتقد ان الاهمال و السلبيه لا توثر على مستقبل الدعوه الاسلاميه.**

**و الامر الثاني هو ان نفترض انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان ينظر إلى الدعوه نظره مصلحيه فلا يهمه الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.**

**اما الامر الاول فناقشه بان هذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقا، بل ان طبيعه الاشياء كانت تدل على خلافه، لان الدعوه- بحكم كونها عملا تغيير انقلابيا في بدايته، يستهدف بناء امه، و استئصال كل جذور الجاهليه منها- تتعرض لاكبر الاخطار اذا خلت الساحه من قائدها دون اى تخطيط فهنالك:**

**اولا- الاخطار التي تنبع عن طبيعه مواجهه الفراغ دون اى تخطيط مسبق، و عن الضروره الانيه لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمه العظيمه بفقد النبى فان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اذا ترك الساحه دون تخطيط لمصير الدعوه فسوف تواجه الامه و لاول مره مسووليه التصرف بدون قائدها تجاه اخطر مشاكل الدعوه، و هى لا تمتلك اى مفهوم سابق بهذا الصدد. و سوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا انيا على رغم خطوره المشكله، لان الفراغ لا يمكن ان يستمر، و سوف يكون هذا التصرف السريع في لحظه الصدمه التي تمنى بها الامه و هى تشعر بفقدها لقائدها الكبير، هذه الصدمه التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، و تبعث على الاضطراب حتى انها جعلت صحابيا معروفا يعلن- بفعل الصدمه- ان النبى لم يمت و لن يموت فقد قال عمر بن الخطاب:**

**من قال ان محمدا مات قتلته بسيفى هذا و انا رفع إلى السماء(١٩.(**

**نعم سيكون مثل هذا التصرف محفوفا بالخطر غير محمود العواقب.**

**ثانيا: و هناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالى بدرجه تضمن للنبى- سلفا- موضوعيه التصرف الذي سوف يقع، و انسجامه مع الاطار الرسالى للدعوه، و تغلبه على التناقضات الكامنه التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على اساس الانقسام إلى مهاجرين و انصار، أو قريش و سائر العرب، أو مكه و المدينه.**

**ثالثا: هناك الاخطار التي تنشا لوجود القطاع المتستر بالاسلام، والذى كان يكيد له في حياه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم باستمرار، و هو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين. و اذا اضفنا إليهم عددا كبيرا ممن اسلم بعد الفتح استسلاما للامر الواقع لا انفتاحا على الحقيقه، نستطيع حينئذ ان نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولده، و هى تجد فرصه لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحه من رعايه القائد.**

**فلم تكن اذا خطوره الموقف بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم شيئا يمكن ان يخفى على اى قائد مارس العمل العقائدى فضلا عن خاتم الانبياء.**

**و اذا كان ابوبكر لم يشا ان يترك الساحه دون ان يتدخل تدخلا ايجابيا في ضمان متسقبل الحكم بحجه الاحتياط للامر، و اذا كان الناس قد هرعوا إلى عمر حين ضرب قائلين: يا اميرالمومنين لو عهدت عهدا. و كل ذلك خوفا من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفه بالرغم من التركيز السياسى و الاجتماعى الذي كانت الدعوه قد بلغته بعد عقد من وفاه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و اذا كان عمر قد اوصى إلى سته تجاوبا مع شعور الاخرين بالخطر. و اذا كان عمر يدرك- بعمق- خطوره الموقف في يوم السقيفه، و ما كان بالامكان ان تودى إليه خلافه ابى بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول: «ان بيعه ابى بكر كانت فلته غير ان اللَّه وقى شرها.«**

**و اذا كان ابوبكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم، و تحمل المسوولیات الكبيره، بانه شعر بخطوره الموقف و ضرروه الاقدام السريع على حل ما اذ يقول-**

**و قد عوتب على قبول السلطه- ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قبض و الناس حديثو عهد بالجاهليه فخشيت ان يفتتنوا و ان اصحابى حملونيها.«**

**و اذا كان كل ذلك صحيحا فمن البديهى اذن ان يكون رائد الدعوه و نبيها اكثر شعورا بخطر السلبيه، و اكبر ادراكا و اعمق فهما لطبيعه الموقف و متطلبات العمل التغييرى الذي يمارسه في امه حديثه عهد بالجاهليه على حد تعبير ابى بكر.«**

**الامر الثاني:**

**ان الامر الثاني الذي يمكن ان يفسر سلبيه القائد تجاه مستقبل الدعوه و مصيرها بعد وفاته، انه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف لا يحاول تحصين الدعوه ضد ذلك الخطر، لانه ينظر إلى الدعوه نظره مصلحيه فلا يهمه الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.**

**و هذا التفسير لا يمكن ان يصدق على النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبيا و متربطا باللَّه سبحانه و تعالى في كل ما يرتبط بالساله، و**

افترضناه قائدا رساليا كقاده الرسالات الاخرى، لان تاريخ القاده الرساليين لا يملك نظيرا للقائد الرسول محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم في اخلاصه لدعوته و تفانيه فيها، و تضحيته من اجلها إلى آخر لحظه من حياته. و كل تاريخه يبرهن على ذلك، فقد كان صلى اللَّه عليه و آله و سلم على فراش الموت و قد ثقل مرضه، و هو يحمل هم معركه كان قد خططا لها، و جهز جيش اسامه لخوضها، فكان يقول: (جهزوا جيش اسامه، انفذوا جيش اسامه، اسلوا بعث اسامه) يكرر ذلك و يغمى عليه بين الحين و الحين.

فاذا كان اهتمام الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم بقضيه من قضايا الدعوه يبلغ إلى هذه الدرجه و هو يجود بنفسه على فراش الموت، و لا يمنعه علمه بانه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركه عن تبنيه لها، و ان تكون همه الشاغل و هو يلفظ انفاسه الاخيره فكيف يمكن ان نتصور ان النبى لا يعيش هموم مستقبل الدعوه، و لا يخطط لسلامتها بعد وفاته صلى اللَّه عليه و آله و سلم من الاخطار المرتقبه؟

و اخيرا فان في سلوك الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في مرضه الاخير رقما واحدا يكفى لنفى الطريق الاول، و للتدليل على ان القائد الاعظم نبينا محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان ابعد ما يكون من فرضيه الموقف السلبى تجاه مستقبل الدعوه لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشانه، و هذا الرقم اجمعت صحاح المسلمين جميعا- سنه و شيعه- على نقله: و هو ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لما حضرته الوفاه، و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: ائتونى بالكتف و الدواه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا) فان هذه المحاوله من القائد الكريم المتفق على نقلها و صحتها تدل بكل وضوح على انه كان يفكر في اخطار المستقبل، و يدرك بعمق ضروره التخطيط لتحصين الامه من الانحراف، و حمايه الدعوه من التميمع و الانهيار.

فليس اذا من الممكن افتراض الموقف السلبى من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بحال من الاحوال.«

## الطريق الايجابى

و ناقش الامام الشهيد الصدر رضى اللَّه عنه الريق الثاني الذي اسماه بالطريق الايجابى الممثل بالشورى فقال:

ان الطريق الثاني هو ان يخطط الرسول القائد صلى اللَّه عليه و آله و سلم لمستقبل الدعوه بعد وفاته، و يتخذ موقفا ايجابيا، فيجعل القيمومه على الدعوه و قياده التجربه

**للامه ممثله- على اساس نظم الشورى- في جيلها العقائدى الاول الذي يضم مجموع المهاجرين و الانصار. فهذا الجيل للامه هو الذي سيكون قاعده للحكم، و محورا لقياده الدعوه في خط نموها.**

**بالنسبه لهذا الافتراض يلاحظ هنا: ان طبيعه الاشياء، و الواضع العام الثابت عن الرسول الاكرم و الدعوه و الدعاه يرفض هذه الفرضيه، و ينفى ان يكون النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد انتهج هذا الطريق، و اتجه إلى ربط قياده الدعوه بعده مباشره بالامه ممثله في جيلها الطليعى من المهاجرين و الانصار إلى اساس نظام الشورى.**

**و فيما يلى بعض النقاط التي توضح ذلك:**

**النقطه الاولى: لو كان النبى قد اتخذ من مستقبل الدعوه بعده موقفا ايجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشره، و اسناد زعامه الدعوه إلى القياده التي تنبثق عن هذا النظام لكان من ابده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابى ان يقوم الرسول القائد بعمليه توعيه للامه و الدعاه على نظام الشورى و حدوده و تفاصيله، و اعطائه طابعا دينيا مقدسا، و اعداد المجتمع الاسلامى اعداد فكريا و روحيا لتقبل هذا النظام، و هو مجتمع نشا من مجموعه من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعا سياسيا على اساس الشورى، و انما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبليه و عشائريه تتحكم فيها القوه و الثروه و عامل الوراثه إلى حد كبير.**

**و نستطيع بسهوله ان ندرك ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يمارس عمليه التوعيه على نظام الشورى و تفاصيله التشريعيه و مفاهيمه الفكريه، لان هذه العمليه لو كانت قد انجزت لكن من الطبيعى ان تنعكس و تنجسد في الاحاديث الماثوره عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و في ذهنيه الامه، أو على الاقل في ذهنيه الجيل الطليعى منها الذي يضم المهاجرين و الاصنار بوصفه هو المكلف بتطبق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الاحاديث عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اى صوره تشريعيه محدده لنظام الشورى.**

**و اما ذهنيه الامه، أو ذهنيه الجيل الطليعى منها فلا نجد فها اى ملامح أو انعكاسات محدده لتوعيه من ذلك القبيل. فان هذا الجيل كان يحتوى على اتجاهين:**

**احدهما- الاتجاه الذي يتزعمه أهل البيت.**

**و الاخر- الاتجاه الذي تمثله السقيفه و الخلافة التي قامت فعلا بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**فاما الاتجاه الاول: فمن الواضح انه كان يومن بالوصايه و الإمامة، و يوكد على القرابه، و لم ينعكس منه الايمان بفكره الشورى.**

**و اما الا تجاه الثاني: فكل الارقام و الشواهد في حياته و تطبيقه العملى تدل بصوره لا تقبل الشك على انه لم يكن يومن بالشورى، و لم يبن ممارسته الفعليه على اساسها، و الشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصر وفاه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم من المسلمين.**

**و نلاحظ بهذا الصدد للتاكد من ذلك ان ابابكر حينما اشتدت به العله عهد إلى عمر بن الخطاب، فامر عثمان ان يكتب عهده و كتب:**

**)بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابوبكر خليفه رسول اللَّه إلى المومنين والمسلمين.**

**سلام عليكم، فانى احمد اللَّه اليكم اما بعد: فانى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا و اطيعوا.(**

**و دخل على عبد الرحمن فقال:**

**كيف اصبحت يا خليفه رسول اللَّه؟**

**فقال: اصبحت موليا، و قد زدتمونى على ما بى اذ رايتمونى استعملت رجلا منكم، فكلكم قد اصبح ورما انفه، و كل يطلبها لنفسه.(**

**و واضح من هذا الاستخلاف و هذا الاستنكار للمعارضه ان الخليفه لم يكن يفكر بعقليه نظام الشورى، و انه كان يرى من حقه تعيين الخليفه، و ان هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعه، و لهذا امرهم بالسمع والطاعه. فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو الزام و نصب.**

**و نلاحظ ايضا ان عمر راى هو الاخر ايضا ان من حقه فرض الخليفه على المسلمين،ففرضه في نطاق سته اشخاص، و أو كل امر التعيين إلى السنه انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين اى دور حقيقى في الانتخاب(٢٠) و هذا يعنى ان عقليه نظام الشورى لم تتمثل في طريقه الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل في الطريقه التي سلكها الخلفيه الاول.**

**و قد قال عمر- حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو ادركنى احد رجلين فجعلت هذا الامر إليه لوثقت به، سالم مولى ابى حذيفه، و ابى عبيده بن الجراح، و لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى.(**

**و قد قال ابوبكر لعبد الرحمن بن عوف و هو يناجيه على فراش الموت: (وددت ان سالت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لمن هذا الامر فلا ينازعه احد.(**

**و حينما تجمع الانصار في السقيفه لتامير سعد بن عباه قال منهم قائل:**

**ان ابت مهاجره قريش فقالوا نحن المهاجرون و نحن عشيرته و اولياوه، فقالت طائفه منهم اذن نقول منا امر و منكم امير و لن نرضى بدون هذا منهم ابدا.(**

**و حينما خطب ابوبكر فيهم قال:**

**)كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس اسلاما، و الناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيره رسول اللَّه، و اوسط العرب انسابا.(**

**و حينما اقترح الانصار ان تكون الخلافة دوريه بين المهاجرين و الانصار رد ابوبكر قائلا:**

**)ان رسول اللَّه لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخالفوه و شاقوه، و خص اللَّه المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... هم اول من عبداللَّه في الأرض، و هم اولياوه و عترته، و احق الناس بالامر بعده، لا ينازعهم فيه الا ظالم.(**

**و قال الحباب بن المنذر و هو يشجع الانصار على التماسك:**

**)املكوا عليكم ايديكم انما الناس في فيئكم و ظلكم فان ابى هولاء فمنا امير و منهم امير.(**

**و قد رد عليه عمر قائلا:**

**)هيهات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمان في سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياوه و عشيرته الا مدل بباطل، و أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكه(٢١) ان الطريقه التي مارسها الخليفه الاول و الخليفه الثاني للاستخلاف، و عدم استنكار عامه المسلمين لتلك الطريقه، و الروح التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعى، المهاجرين و الانصار يوم السقيفه، و الاتجاه الواضح اليذ بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدا انصحار السلطه بهم، و عدم مشاركه الانصار في الحكم، و التاكيد على المبررات الوراثيه التي تجعل من عشيرته اولى العرب بميراثه. و استعداد كثير من الانصار لتقبل فكره اميرين، احدهما من الانصار و الاخر من المهاجرين، و اعلان ابى بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن اسفه لعدم السوال من النبى عن**

**صاحب الامر. كل ذلك يوضح بدرجه لا تقبل الشك ان هذا لجيل الطليعى من الامه الاسلاميه بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاه النبى لم يكن يفكر بذهنيه الشورى، و لم يكن يملك فكره محدده عن هذا النظام، فكيف يمكن ان نتصور ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد مارس عمليه توعيه على نظام الشورى تشريعيا و فكريا، و اعد جيل المهاجرين و الانصار لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددا عنه؟**

**كما اننا لايمكن ان نتصور- من ناحيه اخرى- ان الرسول القائد يضع هذا النظام، و يحدده تشريعيا و مفهوميا ثم لا يقوم بتوعيه المسلمين عليه و تثقيفهم به.**

**و هكذا يبرهن ما تقدم على ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يكن طرح الشورى كنظام بديل على الامه، اذ ليس من الممكن عاده ان تطرح بالدرجه التي تتناسب مع اهميتها ثم تختفى اختفاء كاملا عن الجميع و عن كل الاتجاهات.**

**و مما يوضح هذه الحقيقه بدرجه اكبر ان نلاحظ:**

**اولا: ان نظام الشورى كان نظاما جديدا بطبيعته على تلك البيئه التي لم تكن قد مارست قبل النبوه اى نظام مكتمل للحكم، فكان لابد من توعيه مكثفه و مركزه عليه كما اوضحنا ذلك.**

**ثانيا: ان الشورى كفكره مفهوم غائم لا يكفى طرحه هكذا لامكان وضعه موضع التنفيذ ما لم تشرح تفاصيله و موازينه و مقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى، و هل تقوم هذه المقاييس على اساس العدد و الكم، أو على اساس الكيف و الخبره؟الى غير ذلك مما يحدد للفكره معالمها و يجعلها صالحه للتطبيق فور وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**ثالثا: ان الشورى تعبر في الحقيقه عن ممارسه للامه- بشكل أو آخر- للسلطه عن طريق التشاور و تقرير مصير الحكم. فهى مسووليه تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى، و هذا يعنى انها لو كانت حكما شرعيا يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لكان لابد من طرحه على اكبر عدد من اولئك الناس لان موقفهم من الشورى ايجابى، وكل منهم يتحمل قسطا من المسووليه.**

**و كل هذه النقاط تبرهن على ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حال تبنيه لنظام الشورى كبديل له بعد وفاته يتحتم عليه ان يطرح فكره الشورى على نطاق واسع و**

بعمق و باعداد نفسى عام، و مل ء لكل الثغرات، و ابراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكره عمليه، و طرح للفكره على هذا المستوى كما و كيفا و عمقا، لا يمكن ان يمارسه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم ثم تنطمس معالمه لدى جميع المسلمين الذين عاصروه إلى حين
وفاته صلوات اللَّه عليه.

و قد يفترض ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان قد طرح فكره الشوره بالصوره اللازمه، و بالحجم الذي يتطلبه الموقف كما و كيفا و استوعبها المسلمون، غير ان الدوافع السياسيه استيقظت فجاه و حجبت الحقيقه و فرضت على الناس كتمان ما سمعوه من النبى فيما يتصل بالشورى و احكامها و تفاصيلها.

غير ان هذا الافتراض ليس عمليا، لان تلك الدوافع مهما قيل عنها فهى لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابه الذين لم يساهموا في الاحداث السياسيه عقب وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لا في بناء هرم السقيفه، و كان موقفهم موقف المترسل، و هولاء يمثلون في كل مجتمع جزاء كبيرا من الناحيه العدديه مهما طغى الجانب السياسى عليه.

فلو كانت الشورى مطروحه من قبل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع إلى نصوصها باصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، و لا نعكست بصوره طبيعيه عن طريق الاعتياديين من الصحابه كما انعكست فعلا النصوص النبويه على فضل الإمام علي عليه السلام و وصايته عن طرق الصحابه انفهسم، فيكف لم تحل الدوافع السياسيه دون ان تصل الينا مئات الاحاديث- عن طريق الصحابه- عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في فضل علي عليه السلام و وصايته و مرجعيته على الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد و قتئذ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكره الشورى؟ بل حتى اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الاحيان يختلفون في المواقف السياسيه و تكون من مصلحه هذا الفريق أو ذاك ان يرفع شعار الشورى ضد الفريق الاخر. و مع ذلك لم نعهد ان فريقا منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلا حظوا على سبيل المثال موقف طلحه من تعيين ابى بكر لعمر و استنكاره لذلك و اعلانه السخط على هذا التعيين، فانه لم يفكر- على رغم ذلك- ان يلعب ضد هذا التعيين بورقه الشورى، و يشجب موقف ابى بكر

**بانه يخالف ما هو المسموع من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم عن الشورى و الانتخاب(**

**ثم تطرق السيد الشهيد الصدر رضى اللَّه عنه إلى قضيه اساسيه هى قيمومه الصحابه على الدعوه الاسلاميه فهل جعل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم القيمومه لهم، و هل عبئهم لتحمل هذه المسووليه الكبيره، و اذا كان الامر كذلك فهل هناك نصوص تدعم هذه الاتجاه؟ فاجاب رضى اللَّه عنه.**

**النقطه الثانيه:**

**ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لو كان قد قرر ان يجعل من الجيل الاسلامى الرائد، الذي يضم المهاجرين و الانصار من صحابته قيما على الدعوه بعده و مسوولا عن مواصله عمليه التغيير، فهذا يحتم على الرسول القائد صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يعبى ء هذا الجيل تعبئه رساليه و فكريه واسعه، يستطيع ان يمسك بالنظريه بعمق و يمارس التطبيق في ضونها بوعى، و يضع للمشاكل التي تواجهها الدعوه باستمرار حلولها النابعه من الرساله خصوصا اذا لاحظنا ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان- و هو الذي بشر بسقوط كسرى و قيصر- يعلم بان الدعوه مقبله على فتوح عظيمه، و ان الامه الاسلاميه سوف تضم إليها في غد قريب شعوبا جديده و مساحه كبيره، و تواجه مسووليه توعيه تلك الشعوب على الاسلام، و تحصين الامه من اخطار هذا الانفتاح، و تطبيق احكام الشريعه على الراض المفتوحه و على أهل الأرض، بالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان انظف الاجيال التي توارثت الدعوه و اكثرها استعدادا للتضحيه. و بالرغم من كل ذلك لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيومه على الدعوه، و الثقيف الواسع العميق على مفاهيمها، و الارقام التي تبرر هذا النفى كثيره لايمكن استيعابها في هذا المجال.**

**و يمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد ان مجموع ما نقله الصحابه من نصوص عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث،بينما كان عدد الصحابه يناهز اثنى عشر الفا على ما احصته كتب التاريخ. و كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يعيش مع الاف من هولاء في بلد واحد و مسجد واحد صباحا و مساء، فهل يمكن ان نجد فى هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص؟**

**و المعروف عن الصحابه انهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بالسوال حتى ان احدهم كان ينتظر فرصه مجى ء اعرابى من خارج المدينه يسال**

ليسمع الجواب، و كانوا يرون ان من الترف الذي يجب الترفع عنه السوال عن حكم قضايا لم تقع بعد و من اجل ذلك قال عمر على المنبر:

)احرج باللَّه على رجل سال عما لم يكن فان اللَّه قد بين ما هو كائن.(

و قال: (لا يحل لاحد ان يسال عما لم يكن ان اللَّه قد قضى فيما هو كائن)(٢٢) و جاء رجل يوما إلى ابن عمر يساله عن شيء فقال له ابن عمر: (لا تسال عما لم يكن فانى سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سال عما لم يكن)(٢٣. (

و سأل رجل ابى بن كعب عن مساله قال:

يا بنى اكان الذي سالتنى؟

قال: لا.

قال: اما لا فاجلنى حتى يكون)(٢٤(

و قرا عمر يوما القران فانتهى إلى قوله تعالى (فانبتنا فيها حبا و عبنا و قضبا و زيتونا و نخلا و حدائق غلبا و فاكهه و ابا)(٢٥. (

قال: كل هذا عرفناه فما الاب؟ ثم قال: هذا لعمر اللَّه هو التكلف فما عليك ان لا تدرى ما الاب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه.(

و هكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابه إلى العزوف عن السوال الا في حدود المشاكل المحدوده الواقعه.

و هذا الاتجاه هو الذي ادى إلى ضئاله عدد النصوص التشريعه التي نقلوها عن الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو الذي ادى بعد ذلك إلى الاحتياج إلى مصادر اخرى غير الكتاب و السنه كالاستحسان و القياس و غيرهما من الوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتى للمجتهد، الامر الذي ادى إلى تسرب شخصيه الانسان بذوقه و تصوراته الخاصه إلى التشريع، و هذا الاتجاه ابعد ما يكون عن عمليه الاعداد الرسالى الخاص التي كانت تتطلب تثقيفا واسعا لذلك الجيل و توعيه له على حلول الشريعه للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته.

و كما امسك الصحابه عن مبادره النبى بالسوال كذلك امسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم و سنته على رغم انها المصدر الثاني من مصادر الاسلام، و ان التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحافظ عليها و صيانتها من الضياع و التحريف، فقد اخرج الهروى في ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبداللَّه بن دينار قال:

**)لم يكن الصحابه و لا التابعون يكتبون الاحاديث و انما كانوا يودونها لفظا و ياخذونها حفظا.(**

**بل ان الخليفه الثاني- على ما في طبقات ابن سعد- ظل يفكر في الموقف الافضل تجاه سنه الرسول، و استمر به التفكير شهرا ثم اعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك و بقيت سنه الرسول الاعظم التي هى اهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم في ذمه القدر يتحكم فيها النسيان تاره، و التحريف اخرى، و موت الحفاظ ثالثه طيله مائه و خمسين سنه تقريبا.**

**و يستثنى من ذلك اتجاه أهل البيت فانهم دابوا على التسجيل و التدوين منذ العصر الاول، و قد استفاضت رواياتنا عن ائمه أهل البيت بان عندهم كتابا ضخما مدونا باملاء رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و خط على بن ابى طالب عليه السلام فيه جميع سنن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**فهل ترى بربك ان ذلك الاتجاه الساذج- ان كانت المساله مساله سذاجه- الذي ينفر من السوال عن واقعه قبل حدوثها و يرفض تسجيل سن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعد صدورها كفوا لزعامه الرساله الجديده و قيادتها في اهم واصعب مراحل مسرتها الطويله؟.**

**او هل ترى بربك ان الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يترك سنته مبعثره بدون ضبط و تسجيل مع انه يامر بالتمسل بها؟. أو لم يكن من الضرورى اذا كان يمهد لفكره الشورى حقا ان يحدد للشروى دستورها و يضبط سنته لكى تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء؟**

**اليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبى انه كان قد اعد الامام عليا للمرجعيه و زعامه التجربه بعده، و اودعه سنته كامله، و علمه الف باب من العلم.**

**و قد اثبتت الاحدات بعد و فاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان جيل المهاجرين و الانصار لم يكن اى تعليمات محدده عن كثير من المشاكل الكبيره التي كان من المفروض ان تواجهها الدعوه بعد النبى، حتى ان المساحه الهائله من الأرض التي امتد إليها الفتح الاسلامى، لم يكن لدى الخليفه و الوسط الذي يسنده، اى تصور محدد عن حكمها الشرعى، و عما اذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وقفا على المسلمين عموما. فهل يمكننا ان نتصور ان النبى يوكد للمسلمين انهم سوف يفتحون ارض كسرى و قيصر، و يجعل من جيل المهاجرين و الانصار القيم على الدعوه، و المسوول**

عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعى الذي يجب ان يطبقه على تلك المساحه الهائله من الدنيا التي سوف يمتد إليها الاسلام؟.

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك: ان الجيل المعاصر للرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يكن يملك تصورات واضحه محدده حتى في مجال القضايا الدينيه التي كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يمارسها مئات المرات و على مراى و مسمع من الصحابه. و نذكر على سبيل المثال لذلك الصلاه على الميت فانها عباده كان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد مارسها علانيه مئات المرات،

و اداها في مشهد عام من المشيعين و المصلين و بالرغم من ذلك يبدون ان الحصابه كانوا لا يجدون ضروره معرفه هذه العباده ما دام النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يوديها، و ما داموا يتابعون فيها النبى فصلا بعد فصل. و لهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في عدد التكبيرات في صلاه الميت فقد اخرج الطحاوى عن ابراهيم قال: قبض رسول اللَّه و الناس مختلفون في التكبير على الجنازه، لا تشاء ان تسمع رجلا يقول سمعت رسول اللَّه يكبر خمسا، و آخر يقول سمعت رسول اللَّه يكبر اربعا، فاختلفوا في ذلك حتى قبض ابوبكر، فلما ولى عمر و راى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جدا، فارسل إلى رجال من اصحاب رسول اللَّه فقال: انكم معاشر اصحاب رسول اللَّه متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم، و متى تجتمعون على امر يجتمع الناس عليه فانظروا ما تجتمعون عليه، فكانا ايقظهم فقالوا: نعم ما رايت يا اميرالمومنين.

و هكذا نجد ان الصحابه كانوا في حياه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يتكلون غالبا على شخص النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لا يشعرون بضروره الاستيعاب المباشر للاحكام و المفاهيم ما داموا في كنف النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و قد تقول ان هذه الصوره التي عرضت عن الصحابه و ما فيها من ارقام على عدم كفائتهم للقياده يتعارض مع ما نومن به جميعا من ان التربيه النبويه احرزت درجه هائله من النجاح و حققت جيلا رساليا رائعا.

و الجواب: انا بما قدمناه قد حددنا الصوره الواقعيه لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم دون ان نجد في ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابى بدرجه عاليه للتربيبه النبويه التي مارسها الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حياته الشريفه، لاننا في نفس الوقت الذي نومن فيه بان التربيه النبويه كانت مثلا ربانيا رائعا و بعثا رساليا متميزا في تاريخ العمل النبوى على مر الزمن نجد ان

**الايمان بذلك و الوصول إلى تقييم حقيقى لمحصول هذه التربيه و نتائجها لا يقوم على اساس ملاحظه النتائج بصوره منفصله عن ظروف التربيه و ملابساتها، و لا على اساس، ملاحظه الكم بصوره منفصله عن الكيف.**

**ففى مجال تقييم التربيه النبويه يجب ان ناخذ بعين الاعتبار:**

**اولا: قصر الفتره الزمنيه التي مارس النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فيها تربيته، لانها لا تتجاوز تقريبا عقدين من الزمن بالنسبه إلى اقدم صحبه، و لا تتجاوز عقدا واحدا من الزمن بالنسبه إلى الكثره الكاثره من الانصار، و لا تتجاوز ثلاث سنوات أو اربع بالنسبه إلى الاعداء الهائله التي دخلت الاسلام ابتداء منذ صلح الحديبيه، و استمرارا إلى حين فتح مكه.**

**ثانيا: الوضع المسبق الذي كان هولاء يعيشونه من الناحيه الفكريه و الروحيه و الدينيه و السلوكيه قبل ان يبدا النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بممارسه دوره، و ما كانوا عليه من سذاجه و فراغ و عفويه في مختلف مجالات حياتهم.**

**ثالثا: ما زخرت به تلك الفتره من احداث و الوان الصراع السياسى و العسكرى على جبهات متعدده، الامر الذي ميز طبيعه العلاقه بين الرسول الاعظم و صحابته من نوع العلاقه بين شخص كالسيد المسيح و تلامذته فلم تكن علاقه مدرس و مرب متفرغ لاعداد تلامذته، و انما هى العلاقه التي تتناسب مع موقع الرسول كمرب و قائد حرب و رئيس دوله.**

**رابعا: ما واجهته الجماعه السلمه نتيجه احتكاكها باهل الكتاب، و بثقافات دينيه متنوعه من خلال صراعها العقائدى الاجتماعى فقد كان هذا الاحتكاك و ما يطرحه على الساحه خصوم الدعوه الجديده المثقفين بثقافات دينيه سابقه، مصدر قلق و اثاره مستمره. و كلنا نعرف انه شكل بعد ذلك تيارا فكريا اسرائيليا تسرب بصوره عفويه، أو بسوء نيه إلى كثير من مجالات التفكير. و نظره فاحصه في القرآن الكريم تكفى لا كتشاف حجم المحتوى لفكر الثوره المضاده، و مدى اهتمام الوحى برصدها و مناقشه افكارها.**

**خامسا: ان الهدف الذي كان يسعى المربى الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم لتحقيقه على المستوى العام، و في تلك المرحله هو ايجاد القاعده الشعبيه الصالحه التي يمكن لزعامه الرساله الجديده- في حياته أو بعد وفاته- ان تتفاعل معها و تواصل عن طريقها التجربه، و لم يكن الهدف المرحلى و قتئذ تصعيد الامه إلى مستوى هذه الزعامه نفسها بما تتطلبه من فهم كامل للرساله، و تفقه شامل على احكامها، و**

**التحام مطلق مع مفاهيمها و تحديد الهدف في تلك المرحله بالدرجه التي ذكرناها كان امرا منطقيا تفرضه طبيعه العمل التغييرى، اذ ليس من المعقول ان يرسم الهدف الا وفقا لممكنات عمليه، و لا مكان عملى في حاله كالحاله التي واجهها الاسلام الا ضمن الحدود التي ذكرناها، لان الفاصل المعنوى و الروحى و الفكرى و الاجتماعى بين الرساله الجديده و بين الواقع الفاسد القائم و قتئذ كان لا يسمح بالارتفاع بالناس إلى مستوى زعامه هذه الرساله مباشره.**

**سادسا: ان جزءا كبيرا من الامه التي تركها النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بوفاته كان يمثل مسلمه الفتح، اى المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكه و بعد ان اصحبت الرساله الجديده سيده الموقف في الجزيره العربيه سياسا و عسكريا، و هولاء لم يتح للرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يتفاعل معهم في الفتره القصيره التي اعقبت الفتح الا بقدر ضئيل، و كان جل تفاعله معهم بوصفه حاكما بحكم المرحله التي كانت الدوله الاسلاميه تمر بها.**

**ففى اطار هذه الامور الستته نجد ان التربيه النبويه انتجبت انتاجا عظيما، و حققت تحولا فريدا، و انشات جيلا صالحا موهلا لما استهدفه النبى من تكوين قاعده شعبيه صالحه للالتفات حول الزعامه القائده للتجربه الجديده و اسنادها،و لذلك نجد ان ذلك الجيل كان يودى دوره كقاعده شعبيه صالحه مادامت الزعامه القائده الرشيده كانت قائمه في شخص النبى. و لو قدر لهذه الزعامه ان تاخذ مسارها الربانى لظلت القاعده تودى دورها الصالح، غير ان هذا لا يعنى بحال من الاحوال انها مهياه فعلا لكى تتسلم هذه الزعامه، و تقود بنفسها التجربه الجديده، لان هذه لاتهيئه تتطلب درجه اكبر من الانصهار الروحى و الايمانى بالرساله، و احاطه اوسع كثيرا باحكامها و مفاهيمها و وجهات نظرها المختلفه عن الحياه، و تطهيرا اشمل لصفوفها من المنافقين و المندسين و المولفه قلوبهم الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزاء من ذلك الجيل له اهميته العدديه و مواقعه التاريخيه، كما ان له آثاره السلبيه، بدليل حجم ما تحدث به القران الكريم عن المنافقين و مكائدهم و مواقفهم مع تواجد افراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربه ان تبنيهم بناء رساليا رفيعا و تصهرهم في بوتقتها كسلمان و ابى ذر و عمار و غيرهم.**

**اوقل: ان تواجد هولاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن على ان ذلك الجيل ككل بلغ إلى الدرجه تبرر اسناد مهام التجربه إليه على اساس الشورى، و حتى اولئك الافراد الذين مثلوا النمط الرفيع رساليا من ذلك الجيل لا يوجد في اكثرهم ما يبرر**

**افتراض كفايتهم الرساليه لزعامه التجربه من الناحيه الفكريه و الثقافيه على رغم شده اخلاصهم، و عمق ولائهم، لان الاسلام ليس نظريه بشريه لكى يتحدد فكريا من خلال الممارسه و التطبيق و تتبلور مفاهيمه عبر التجربه المخلصه، و انما هو رساله اللَّه التي حددت فيها الاحكام و المفاهيم و زودت ربانيا بكل التشريعات العامه التي تتطلبها التجربه فلابد لزعامه هذه التجربه من استيعاب الرساله بحدودها و تفاصيلها، و من وعى بكل احكامها و مفاهيمها، و الا اضطرت إلى استلهام مسبقاتها الذهنيه و مرتكزاتها القبليه، وادى ذلك إلى نكسه في مسيره التجربه، و بخاصه اذا لا حظنا ان الاسام كان هو الرساله الخاتمه من رسالات السماء التي يجب ان تمتد مع الزمن،و تتعدى كل الحدود الوقتيه و الا قليميه و القوميه الامر الذي لا يسمح بان تمارس زعامته التي تشكل الاساس لكل ذلك الامتداد تجارب الخطا و الصواب التي تتراكم فيها الاخطاء عبر فتره من الزمن حتى تشكل ثغره تهدد التجربه بالسقوط و الانهيار.**

**و كل ما تقدم يدل على ان التوعيه التي مارسها النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم على المستوى العام للمهاجرين و الانصار لم تكن بالدرجه التي يتطلبها اعداد القياده الواعيه الفكريه**

**و السياسيه لمستقبل الدعوه و عمليه التغيير، و انما كانت توعيه بالدرجه التي تبنى القاعده الشعبيه الواعيه التي تلتف حول قياده الدعوه في الحاضر و المستقبل.**

**و اى افتراض يتجه إلى القول بان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يخطط لاسناد قياده التجريه و القيمومه على الدعوه بعده مباشره إلى جيل المهاجرين و الانصار، يحتوى ضمنا اتهام اذكى و ابصر قائد رسالى في تاريخ العمليات التغييريه بعدم القدره على التمييز بين الوعى المطلوب على مستوى القاعده الشعبيه للدعوه و الوعى المطلوب على مستوى قياده الدعوه و امامتها الفكريه و السياسيه.**

**النقطه الثالثه:**

**ان الدعوه عمليه تغيير، و منهاج حياه جديده و هى تستهدف بناء امه من جديد و اقتلاع كل جذور الجاهليه و رواسبها من وجودها.**

**و الامه الاسلاميه ككل لم تكن قد عاشت في ظل عمليه التغيير هذه الا عقدا واحدا من الزمن على اكثر تقدير، و هذا الزمن القصير لا يكفى عاده في منطقى الرسالات العقائديه و الدعوات التغييريه لا رتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوه عشر سنوات فقط إلى درجه من الوعى و الموضوعيه و التحرر من رواسب الماضى، و الاستيعاب لمعطيات الدعوه الجديده توهله للقيمومه على الرساله و تحمل مسوولیات الدعوه و**

**مواصله عمليه التغيير بدون قائد، بل ان منطق الرسالات العقايديه يفرض ان تمر الامه بوصايه عقائديه فتره اطول من الزمن تهيوها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومه.**

**و ليس هذا شيئا نستنتجه استنتاجا فحسب و انما يعبر ايضا عن الحقيقه التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاه القائد الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و تجلت عبر نصف قرن أو اقل من خلال ممارسه جيل المهاجرين و الانصار لامامه الدعوه و القيمومه عليها، اذ لم يمض على هذه القيمومه ربع قرن حتى بدات الخلافة الراشده و التجربه الاسلاميه التي تولى جيل المهاجرين و الانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديده**

**التى وجهها اعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل اطار التجربه الاسلاميه لا من خارجها، اذ استطاعوا ان يستللوا إلى مراكز النفوذ في التجربه بالتدريج، و استغلوا القياده غير الواعيه ثم صاروا بكل وقاحه و عنف تلك القياده، و اجبروا الامه و جيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيته و قيادته، و تحولت الزعامه إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الابرياء و يبعثر الاموال و يعطل الحدود و يجمد الاحكام و يتلاعب بمقدرات الناس، و اصبح الفى ء و السواد بستانا لقريش، و الخلاقه كره يتلاعب بها صبيان بنى اميه.**

**فواقع التجربه بعد النبى، و ما تخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يوكد ان اسناد القياده و الإمامة الفكريه و السياسيه لجيل المهاجرين أو الانصار عقيب وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مباشره احراء مبكر و قبل وقته الطبيعى، و لهذا ليس من المعقول ان يكون النبى قد اتخذا اجراء من هذا القبيل.**

---

1- خصائص النسائى، ص ٣٦. طبع مطبعه التقدم العلميه بمصر.

2- بحارالانوار ج ٤٣:٥٤.

3- الاحزاب:٦.

4- الضحى:٦- ٨.

5- الكهف:١١٠.

6- بحارالانوار ج ٤٣:٤٠.

7- اصل العلل للعمرى ج ٤:٣٢٨.

8- الادله الواضحه للترمذى، ص ١٦ الطبعه الحجريه.

9- النجم الثاقف للراوندى ص ٩٥ ط مصر.

10- الاحزاب:٦.

11- آل عمران:٦١.

12- صحيح الترمذى ج ٥:٥٩٦، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣.

13- الاحزاب:٥٣.

14- النور:٢٧.

15- في الصواعق المحرقه قال: ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان جالسا مع جماعه من اصحابه فجاءه خصمان فقال احدهما يا رسول اللَّه ان لى حمارا و ان لهذا بقره، و ان بقرته قتلت حمارى. فبدا رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اقض بينهما يا على.

فقال علي عليه السلام لهما: اكانا مرسلين ام مشدودين، ام احدهما مشدودا و الاخر مرسلا؟

قالا: كان الحمار مشدودا و البقره مرسله و صاحبها معها.

فقال عليه السلام: على صاحب البقره ضمان الحمار.

فاقر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم حكمه و امضى قضاءه(

و يجب ان يبحث هذا الموضوع- و اعنى ممارسه علي عليه السلام للحكم في زمن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و بامر منه- من قبل المختصين: لان ذلك يكشف عن اوضح مستويات اعداده للخلافه، ان لم نقل هو التنصيب بذاته.

الصواعق المحرقه ص ٧٣ طبع المطبعه الميمنيه بمصر، و نور الابصار للشبلنجى ص ٧١.

16- المائده:٦٧.

17- المائده:٣.

18- المائده:٣.

19- الملل و النحل ج ١ ص ١٥.

20- جاء في تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٨١ ما يلى:

»قال عمر لصهيب: صل بالناس ثلاثه ايام، و ادخل عليا و عثمان و الزبير و سعدا و عبدالرحمن بن عوف و طلحه- ان قدم- و احضر عبداللّٰه بن عمر و لا شی له من الامر، و قم علی رووسهم فان اجتمع خمسه و رضوا رجلا و ابی واحد فاشدخ راسه، أو اضرب راسه بالسیف.

و ان اتفق اربعه فرضوا رجلا منهم و ابی اثنان فاضرب رووسهما، فان رضی ثلاثه رجلا منهم، و ثلاثه رجلا منهم، فحکموا عبداللّٰه بن عمر، فای الفریقین حکم له فلیختاروا رجلا منهم، فان لم یرضوا بحکم عبداللّٰه بن عمر فکونوا مع الذین فیهم عبدالرحمن بن عوف و اقتلوا الباقین ان رغبوا عما اجتمع علیه الناس.(...

21- تاریخ الطبری ج ۲ ص ۲٤۳، و شرح نهج البلاغه لابن أبي الحدید ج ٦ ص ۹٦.

22- سنن الدارمی ج ۱:۵۰ طبع مطبعه الاعتدال دمشق.

23- سنن الدارمی ج ۱:۵۰ طبع مطبعه الاعتدال دمشق.

24- سنن الدارمی ج ۱:٥٦.

25- سوره عبس آیه ۲۷- ۳۱.-

## انت منى بمنزله هارون من موسى

و هنا مجموعه من النصوص توكد على ان منزله علي عليه السلام من النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم

كمنزله هارون من موسى عليهماالسلام نذكر منها النماذج التاليه:

-1عن ابراهيم بن سعد عن ابيه قال: قال النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام:

اما ترضى ان تكون منى بمنزله هارون من موسى)(١.(

-2عن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام: انت منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى.

قال: سعيد: فاحببت ان اشافه بها سعدا فلقيت سعدا فحدثته بما حدثنى عامر فقال: انا سمعته. فقلت: انت سمعته!؟ فوضع اصبعيه على اذنيه فقال: نعم و الا فاستكتا)(٢) اى صمتا.

-3عن سعد بن ابى وقاص ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم قال لعلي عليه السلام:

انت منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى)(٣.(

-4عن جابر بن عبداللّٰه ان النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم قال لعلي عليه السلام:

انت منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى و لو كانت لكنته)(٤.(

-5عن ابن اسحاق في حديث غزوه تبوك قال فيه: فلما سار رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم تخلف عن عبداللّٰه بن ابى فيمن تخلف من المنافقين و أهل الريب و كان عبداللّٰه بن ابى اخا بنى عوف بن الخزرج، و عبداللّٰه بن نبيل اخا بنى عمر و بن عوف و رفاعه بن يزيد بن التابوت اخا بنى قينقاع، و كانوا من عظماء المنافقين، و كانوا ممن يكيد الاسلام و اهله- إلى ان قال- انزل اللّٰه عز و جل (لقد ابتغوا الفتنه و قلبوا لك الامور...) الايه قال: و قال ابن اسحاق:

و خلف رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم على بن ابى طالب عليه السلام و امره بالاقامه فيهم...

فارجف المنافقون بعلى بن ابى طالب عليه السلام و قالوا: ماخلفه لا استثقالا له و تخفيفا مه. فلما قال ذلك المنافقون اخذ علي عليه السلام سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و هو بالجرف فقال:

يا نبى اللّٰه زعم المافقون انك خلفتنى انك استثقلتنى و تخففت منى.

فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: كذبوا ولكنى انما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى في هلى و اهلك، افلا ترضى يا على ان تكون منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى.

فرجع علي عليه السلام إلى المدينه و مضى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم على سفره)(٥.(

و لابد ان نفهم منزله هارون من موسى كمقدمه لفهم النص النبوى الشريف. ان القرآن الكريم حدد بوضوح مستوى العلاقه بين موسى و هارون فقال عز و جل:

)واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى و اشركه في امرى)(٦.(

و حينما ينص الرسول الكريم محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم على ان عليا عليه السلام بمنزله هارون من موسى لا نفهم منه غير ما نص عليه القرآن الكريم بشان هارون من كونه الوزير و الشريك لموسى عليه السلام الا ما استثناه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بقوله (الا انه لا نبى بعدى) لانه صلى اللَّه عليه و آله و سلم خاتم النبيين و المرسلين و رسالته خاتمه الرسالات. فعلى اساس ذلك يكون مارد الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان عليا وزيره و شريمه و خليفته في وظائف النبوه كالتبليغ و الحكم و التشريع المستند إلى الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و الذي يناسب المهمه.

اما القول بغير ذلك فلا يعنى الا تفريغ النص- القرآنى و النبوى- من محتواه و تحويله إلى ما لم يقصد، و ذلك لان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم انما اختار التشبيه بموسى و هارون، لا لمستوى علاقه الاخوه أو المحبه التي تربطها، حيث لم يبين القرآن ذلك، و انما الذي بينه مستوى الشراكه بينهما في كل ما يتعلق بامور الدين، باستثناء النبوه حيث لا نبوه بعد الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و ما يويد هذه الرويه قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم: «الا انه لا نبى بعدى» فانها يدل على استمرارا دور النبوه- لا النبوه- بلعى بعد الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فهو المسوول عن كل ما يتعلق بامور الاسلام بعد الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و الا فلا معنى لكلمه (بعدى) لو لم يكن يشير إلى استمرار دور النبوه بعلي عليه السلام و لا يتحقق ذلك الا عن طريق الاستخلاف المباشر له من بعده صلى اللَّه عليه و آله و سلم كما حصل لهارون بعد موسى عليهماالسلام، حيث كان شريكه في حياته و خليفته بعد موته، و من هذا المنطق جاء التشبيه بهارون عليه السلام.

من كنت مولاه فهذا على مولاه

**و هنا مجموعه من النصوص، تحكى حادثه غدير خم، حينما رجع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم من حجه الوداع، فامر بجمع المسلمين، ثم خطب فيهم، و قال من كنت مولاه فعلى مولاه و اليك نماذج منها:**

**-1عن البراء بن عازب قال: اقبلنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فامر الصلاه جامعه فاخذ بيد علي عليه السلام فقال:**

**الست اولى بالمومنين من انفسهم؟**

**قالوا: بلى.**

**قال: الست اولى بكل مومن من نفسه؟**

**قالوا: بلى.**

**قال: فهذا ولى من انا مولاه، اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه)(٧.(**

**-2و عن البراء قال: كنا مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في سفر فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاه جامعه، و كسح لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم تحت شجرتين فصلى الظهر و اخذ بيد علي عليه السلام فقال:**

**الستم تعلمون انى اولى بالمومنين من انفسهم؟**

**قالوا: بلى.**

**قال: الستم تعلمون انى اولى بكل مومن و مومنه من نفسه؟**

**قالوا: بلى.**

**قال: فاخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه؟**

**قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئا لك يا ابن ابى طالب اصبحت و امسيت مولى كل مومن و مومنه)(٨.(**

**-3عن زيد بن ارقم قال: لما رجع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من حجه الوداع و نزل غدير خم امر بدوحات فقممن فقال:**

**كانى دعيت فاجبت، انى قد تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب اللَّه تعالى و عترتى فنظروا كيف تخلفونى فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض- ثم قال- ان اللَّه عز و جل مولاى و انا مولى كل مومن، ثم اخذ بيد على فقال:**

**من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه)(٩.(**

**-4و عن كنزالعمال ما هذا نصه: يا ايها الناس انه قد نبانى الطيف الخبير انه لن يعمر نبى الا نصف عمر الذي ييه من قبله و انى قد يوشك ان ادعى فاجيب، و اني مسوول و انكم مسوولون فماذا انتم قائلون؟**

**قالوا: نشهد انك قد بلغت و جاهدت و نصحت.**

**قال: اليس تشهدو ان لا اله الا اللَّه و ان محمدا عبده و رسوله و ان جنته حق و ناره حق، و ان الموت حق، و ان البعث حق بعد الموت، و ان الساعه آتيه لا ريب فيها و ان اللَّه يبعث من في القبور؟**

**يا ايها الناس ان اللَّه مولاى و انا مولى المومنين اولى بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه.**

**يا ايها الناس انى فرطكم و انكم واردون على الحوض اعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قد حان من فضه، و انى سائلكم حين تردون على عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيها، الثقل الاكبر كتاب اللَّه عز و جل سبب طرفه بيداللَّه و طرفه بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا و لا تبدلوا، و عترتى أهل بيتى فانه قد نبانى اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض)(١٠.(**

**-5عن زيد بن يثيع و غيره قالوا: سمعنا عليا عليه السلام يقول:**

**نشدت اللَّه رجلا سمع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول يوم غدير ما قال لما قام، فقام ثلاثه عشر رجلا فشهدوا ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال: الست اولى بالمومنين من انفسهم، قالوا: بلى يا رسول اللَّه فاخذ بيد علي عليه السلام و قال:**

**من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و احب من احبه، و ابغض من ابغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله)(١١.(**

**و لسنا بحاجه للحديث عنخبر الغدير، بعد ان بحثه فطاحل العلماء، كالعلامه الحجه الشيخ الامينى رحمه اللَّه، و الامام الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره، و غيرهما من الاعلام، و بينوا وجه الدلاله فيه على تنصيب لعى عليه السلام، خليفه على المسلمين، من بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فمن شاء فليراجع تلك المصادر القيمه التي منها، كتاب الغدير، و كتاب المراجعات.**

**و ما يجب ان نلاحظه في هذا المجال ان ما ورد بشان علي عليه السلام لم يرد نظيره بشان اى من الصحابه و المقربين من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و لا نريد بهذا مصادره ما ورد في الصحاح كصحيح البخارى و مسلم و غيرهما، من**

كلمات اجلال و تقدير و اشاده بعدد كبير من الصحابه رضوان اللَّه عليهم، فنحن مع الرسول في كل قول و مقوف، فان، اشاد اشدنا، و ان سكت سكتنا، ولكن ما نريد التاكيد عليه من خلال فهمنا للنصوص ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان بصدد اعداد علي عليه السلام للخلافه من بعده دون باقى الصحابه، و يشهد لذلك جميع النصوص اليت سلف ذكرها، و النصوص الاخرى التي لم نذكرها، والتى تكرس فكره الاستخلاف من خلال الاحاطه بجميع مقاييس الاستحقاق و الاولويه، فان كان القدم في الاسلام و الايمان، فان عليا هو اقدم الصحابه اسلاما و ايمانا، فقد قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و قد اشار اليه:

»ان هذا اول من آمن بى، و اول من يصافحنى يوم القيامه، و هذا الصديق الاكبر،و هذا فاروق هذه الامه»(١٢.(

و اذا كان المقياس القرابه و الصله فهو ابن عم الرسول و زوج البتول و ابوالسبطين.

و هو عليه السلام من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و النبى منه، بل هو نفس النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بنص القرآن (فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابنائكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت اللَّه على الكاذبين)(١٣.(

و ايضا كما قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: (هو عندى كنفسى)، و هذا التعبير هو اصرح التعابير عن توحد الشخصيتين،من ناحيه المضمون و المحتوى الدينى و المعنوى. و معناه ان الامه اذا ارادت لحياه نبيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان تمتد بعد موته، فعليها ان تختار عليا عليه السلام من بعده، لانه نفسه و من طينته و يحمل في اعماقه ذات الخصائص النبويه و السمات المحمديه. و هذا ما لا ينطبق على اى من الصحابه مع ما لهم من كانه كبيره.

و هكذا القول بالنسبه لكل الخصائص الاخرى التي اشار إليها الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في احاديثه عن علي عليه السلام، و لم نذكرها هنا، فهى توكد و تكرس فكره الاعداد لاستخلاف علي عليه السلام بامر من اللَّه عز و جل دون باقى الصحابه.

و الحقيقه ان فكره (الاعداد) لا ستخلاف علي عليه السلام تستحق مدى اوسع من البحث و التحقيق لاستكشاف خطوات الرسول في هذا المجال و دراستها واحده واحده و بيان الحكمه و الهدفيه فيها، و الفرق بين ما صدر من الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشان علي عليه السلام و ما صدر بشان الصحابه. فوجدت ان ذلك سيستوعب موضوع البحث و هو يستحق بذاته بحثا مستقلا. لاحظ مثلا حديث الغدير الذي تضمن من المعانى الهادفه التي لا يمكن ان نمر عليها مرورا عابرا كقوله صلى اللَّه عليه و

**آله و سلم: (انى تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر كتاب اللَّه تعالى و عترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) و امثالها.**

**فمن الواضح انها توكد على مرجعيه أهل البيت عليهم السلام على التسلسل الذي يبدا باميرالمومنين علي عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين، حتى تنتهى بالامام الحجه عجل اللَّه تعالى فرجه اذ ماذا تعنى كلمه (عترتى) أو (عترتى أهل بيتى) غير على و آله المعصومين الذين قرنهم اللَّه عز و جل بكتابه الخالد. و هذا القرن بالنحو الذي عبر عنه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بانهما (لن يفترقا حتى يردا على الحوض) يعبر عن طريقه خاصه على الاستدلال على مرجعيه أهل البيت، و ذلك لان قرنهم بالقرآن يعنى الاتباع و الانصياع و التمسك بهم، تبعا للامر باتباع القرآن و العمل بما فيه كما هو مفاد الكثير من الايات الكريمه، كما ان تعبيره صلى اللَّه عليه و آله و سلم باهما لن يفترقا، (ولن) تفيد التابيد، يعنى ان القول بمرجعيه القرآن دون مرجعيه أهل البيت عليهم السلام لا يحقق الغرض من الشريعه، فلابد من القرن بيهما كمصدر واحد لا يقبل التفريق، و ان اى عمليه تفريق بينهما تستوجب عقوبات مشدده في يوم الجزاء. و على هذا الضوء فان حديث الغدير في الوقت الذي نص على خلافه علي عليه السلام، نص كذلك على ولايه أهل البيت،**

**و مرجعيتهم التشيعيه و الفكريه و السياسيه، اذ لا معنى لقرنهم بالقران من دون ذلك.**

**و على صعيد الواقع نجد ان الصحابه بعد وفاه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم اختاروا ابابكر خليفه على المسلمين، و اهملوا عليا عليه السلام اهمالا تاما. و هنا نسال: هل يعقل ان تتجاهل الامه ما صدر من الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشانعلي عليه السلام بمجرد لحوقه بالرفيق الاعلى؟**

**و اين ذهب عشرات الالف من الحجيج الذين رافقوا النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في حجه الوداع و سمعوا منه نص التنصيب (من كنت مولاه فهذا على مولاه)؟**

**و اين أهل المدينه الذين كان صوت الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم يملا اسماعهم بالوان من الاشاده بعلى و مكانته عنداللَّه عز و جل و عند رسوله و اهتمامه الخاص به دون غيره؟**

**و لماذا تجاهل المجتمع تاريخ علي عليه السلام و سابقته في الاسلام و موافقه الجهاديه، و هى وحدها تكفى- حتى لو لم يكن هناك نص- لتوهله للخلافه، و تولى الامر بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.؟**

و هل سجل أهل المدينه و مجتمع الصحابه على علي عليه السلام موقفا سلبيا تجاه الاسلام أو الرسول استحق به هذا الحجم من التنكر و التجاهل و الاهمال؟

مما لا ريب فيه ان هذه القضيه في اطار معالجتها، و استكشاف الاسباب الحقيقيه التي كانت وراءها قد نالت قدرا وافرا من الاهتمام و البحث و التحقيق. و نحن هنا لا نريد ان نعالج القضيه بنفس المنطق، و نكرر ما قاله الاجلاء من العلماء و الباحثين، من البحث في مداليل الالفاظ و محتوى النص، و هل الولى هو المحبوب أو الحاكم مثلا. أو نبحث الظروف التاريخيه و الاجتماعيه لابعاد على و استخلاف ابى بكر، و الاجواء السياسيه التي رافقت ذلك الحدث كالسقيفه و امثال ذلك. لقد وقع ما وقع و ليس امامنا اليوم الا الحدث بعد وقوعه، و ما يهمنا الان هو دور الزهراء و موقعها في اطار هذا الحدث و دورها في احقاق الحق و اعادته إلى اهله ضمن التخطيط النبوى

لا كمال ميره النبوه و الاسلام، و لماذا اصر صلى اللّٰه عليه و آله و سلم على اشراك الزهراء في عمليه سياسيه معقده؟

و هل كانت الخيار الوحيد الممكن لتنفيذ اخطر مهمه نبويه بعد وفاته صلى اللّٰه عليه و آله و سلم؟

و للاجابه على ذلك يجب ان نشير إلى حقيقتين:

الاولى تتعلق بالنص الشرعى هل يحقق- دائما- الغرض و المصالح الدينيه المقصوده منه، ام قد يفرع من محتواه، أو يهمل و يترك حسب الظروف السياسيه أو المصالح الشخصيه أو غيرهما؟

و الثانيه تتعلق بشخصيه الإمام علي عليه السلام و فهمه للاسلام و تربيته الرفيعه في مدرسه النبوه، التي جعلته على طول الخط، حازما في الحق، شديدا في اللّٰه تعالى، لا يعرف المجامله و المداهنه في دنيه. و نظره المجتمع و موقفه منه هل كان سلبيا ام ايجابيا؟

فمن خلال بحث الحقيقتين السالفتين يمكن ان نفهم بدقه جوانب مهمه من تخطيط الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لمرحله ما بعد وفاته، و هذا ما سنبحثه في الفصل التالى.

## عقبات في طريق الاستخلاف

### الحقيقه الأولى: النص قد لا يحقق الغرض

**و هنا يجب ان نلاحظ من خلال الواقع التاريخى لرسالات السماء عموما، و تاريخ الرساله الاسلاميه خصوصا مقدار تاثير النص من جانب، و التحديات التي يواجهها من جانب آخر، و لا نستغرب النتائج التي ينتهى إليها البحث و ذلك لان مهمه الانبياء كانت في ابرز صروها هو الجهاد لتثبيت النص في واقع الحياه الانسانيه ، و من اجله قاتلوا و قتلوا و عذبوا و نالهم من العذاب بما لا يحتاج إلى بيان.**

**و ينبغى ان نبحث الموضوع من خلال الحقائق التاليه:**

**الحقيقه الاولى: و هى هل ان النص يحقق الغرض المراد منه دائما، اولا؟**

**ان الاداه الاولى للتبليغ و الشتريع هو النص- الكتاب و السنه، فهو الوسيله الالوى في كل الشرايع السماويه و الأرضيه، و لكننا على صعيد الواقع نجد النص في بعض الاحيان، و في ظل ظروف خاصه، يفقد تاثيره بعد عمليات تحوير و تاويل تقع عليه فتفرعه من محتواه مع الاحتفاظ بشكله اللفظى، و صورته الظاهريه.**

**و ما من شك فان (للنص) تاريخه الخاص من ناحيه التاثير، و يمكن ان نفرق بين مرحله اول النبوه، حيث حاله الشك و العناد و الكبرياء، و بين مرحله استقرار الاسلام في المدينه التي اتسمت بالاذعان لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، بعد ان اصبح الاسلام هو السطله الوحيده الحاكمه في الجزير العربيه، فهو القاعده و غيره الاستثناء. و صار كلام اللَّه عز و جل يتلا في كل مكان، و احكامه تطبق في ارحاء الجزيره، و اصبح الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم مطاعا في كل بقاعاه.**

**و تميز النص القرآنى- الذي هو اقدس النصوص- بالاعجاز من ناحيه المحتوى و التركيب اللغوى و البلاغى مما اضفى عليه قداسه كبيره و تاثيرا بالغا، فكانت الامه المسلمه تتجاوب معه من اعماقها، و تتاثر به غايه التاثر، لانها تدرك بعقلها و وجدانها انه كلام رب العالمين، و لا يمكن لبشر ان ياتى بمثله مهما كانت قدرته اللغويه و البيانيه عاليه.**

**و من الملاحظ ان الانسان، على امتداد التاريخ، يبدا صراعه مع النص حينما يقع التعارض أو التزاحم مع مصالحه أو عقائده، فيحاول ان يكيفه بما يخدم تلك المصالح، من خلال التاويل أو التفسير، الذي يفرغه من محتواه الحقيقى و يحوله إلى اتجاه آخر. لا بل تجد في احيان كثيره و من خلال تاريخ و مسيره الانبياء مع اممهم، ان المعجزه التي هى اهم وسائل الاقناع، لا تحقق الاثر المطلوب في الامه المومنه فضلا عن الكافره.**

و لنحاول عرض بعض المواقف التي توكد ذلك و تثبت ان النص وحده قد لا يحقق الغرض.

فمن تاريخ الانبياء نجد صراعا حاميا بينهم و بين المومنين بهم، لابل مع المقربين منهم في تحدى النص الشرعى، و في بعض الاحيان تحدى المعجزه القائمه،فيحصل الحجاج و النقاش في ذلك، و قد يقع عدم النقياد و الاذعان لهما، و على سبيل المثال ما وقع لموسى عليه السلام مع قومه المومنين به و برسالته حين غاب عنهم لميقات ربه، فقال عز و جل حاكيا عن انحرافهم و تركهم عبادته و طاعته و شكر نعمته:

)و اذ واعدنا موسى اربعين ليله ثم اتخذتم العجل من بعده و انتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون. و اذ ءاتينا موسى الكتاب و الفرقان

لعلكم تهتدون. و اذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)(١٤.(

و حادثه اخرى تجسد حاله من العناد و العصيان لا و امر اللَّه و رسوله في قصه ذبح البقره فقال تعالى:

)و اذ قال موسى لقومه ان اللَّه يامركم ان تذبحوا بقره قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ باللَّه ان اكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقره لا فارض و لا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقره صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا و انا ان شاء اللَّه لمهتدون.

قال انه يقول انها بقره لا ذلول تثير لارض و لا تسقى الحرث مسلمه لا شيه فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها و ما كادوا يفعلون. و اذ قلتم نفسا فادارء تم فيها واللَّه مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى اللَّه الموتى و يريكم ءاياته لعلكم تقعلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجاره أو اشد قسوه و ان من الحجاره لما يتفجر منه الانهار و ان منها لما يشقق فيخرج منه الماء و ان منها لما يهبط من خشيه اللَّه و ما اللَّه بغافل عما تعملون)(١٥.(

ان هاتين الحادثتين، كانتا من الناحيه الزمنيه، بعد معجزه عبورهم البحر، و نجاتهم من فرعون و جنوده، و هلاك عدوهم بالغرق في مشهد منهم، و هم ينظرون إلى قدره اللَّه و رحمته، و مع ذلك فقد تحدوا النص و المعجزه في وقت واحد، و اظهروا تكبرا و

تحديا، و لا اقل من خطابهم لموسى عليه السلام بقولهم (ادع لنا ربك) و لم يقولوا (ربنا.(

و من تلك الوقائع، ما حدث لعيسى عليه السلام مع قومه، و منهم الحواريون، الذين هم صفوه القوم، و المقربين منه فقد قال اللَّه عز و جل عنهم:

)و اذ اوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بى و برسولى قالوا آمنا و اشهد باننا مسلمون. اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائده من السماء قال اتقوا اللَّه ان كنتم مومنين. قالوا نردى ان ناكل منها و تطمئن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتنا و نكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائده من السماء تكون لنا عيدا لاولنا و اخرنا و ايه منك و ارزقنا و انت خير الرازقين.

قال اللَّه انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين)(١٦.(

يحدث هذا الامر الغريب من الحواريين، و هم الذين شاهدوا آيات اللَّه تعالى تقع على يد عيسى عليه السلام، و تشهد له بالنبوه، كاحياء الموتى، و ابراء الاكمه و الابرص، و الاخبار عن المغيبات، فما الذي جعلهم يطلبوا من عيسى انزال مائده من السماء ل(تطمئن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتنا) الم يكتفوا باحياء الموتى و ابراء الاكمه و الابرص؟ اليس هذا يشهد ان مساله الايمان الحقيقى الصادق قد لا يتحقق حتى بالمعجزه فضلا عن النص! و ان كل ما نراه ملاكا تاما لوجوب الاذعان و التسليم كالمعجزه مثلا قد لا يحقق الغرض.

و في القرآن الكريم العديد من النماذج التي توكد هذا المعنى كقصه الناقه، و قصه سفينه نوح عليه السلام و امثالهما، و هى كلها تشير إلى مواقف تحدى النص أو المعجزه، اما من قبل امم أو افراد ذا اشان منهم.

و في تاريخ النبوه الخاتمه نجد العشرات من الامثله التي تتحدث عن نفس الموضوع، و عن روح التعنت، و مخالفه الاوامر و تحديها، و نجد ان روح التحدى

و العناد لا تقف عند مخالفه امر من اوامر الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم يكتنفه شيء من الغموض يقتضى قدرا من الجهد في فهمه، مما قد يودى إلى نوع من المخالفه لامره صلى اللَّه عليه و آله و سلم، بل ان روح التحدى تتجاوز النص، لتصل إلى الرسول نفسه، فتتمثل تاره بموقف على شكل اضراب عام، و اتفاق على عدم الاستجابه له، رغم اصراره صلى اللَّه عليه و آله و سلم على تنفيذ هذا الامر. و تاره يقوم إليه احد الصحابه فيعتعته من ثيابه، ليمنعه بالقوه من القيام بعمل من الاعمال. و

تاره يعترض عليه بروح المحاججه في خلفه للوعد، كما يزعم هذا الصحابى أو ذاك. و لنقف مع بعض تلك المواقف موكدين مره اخرى ان الهدف ليس التعريض باحد من صحابه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و انما لان ما سنذكره حقائق تاريخيه مرويه في كتب الصحاح و السيره و التاريخ و تشهد على ما تقول.

الموقف الاول:

ما وقع لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في صلح الحديبيه بعد ان صدته قريش عن حج بيت اللَّه الحرام في السنه السادسه من الهجره، بعد بيعه الرضوان، التي احدثت هزه عنيفه في نفوس القرشيين، ودويا هائلا، و رعبا كبيرا في قلوبهم، لانهم علموا ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، مصمم على نشر الدعوه، و اعلاء كلمه الحق، و ان كلفه ذلك التضحيه بحياته. فقد بلغ قريش انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال:

)يا ويح قريش نهكتهم الحرب فماذا عليهم لوخلوا بينى و بين العرب فان هم اصابونى كان الذي ارادوا، و ان اظهرنى اللَّه عليهم دخلوا في الاسلام و افرين، و ان ابوا قاتلونى و بهم قوة. فما تظن قريش فواللَّه الذي لا اله الا هو لا ازال اجاهد على الذي بعثنى به ربى حتى يظهره اللَّه أو تنفرد هذه السالفه(١٧)) (١٨.(

فلما علمت قريش بذلك استقر رايها على الصلح و الموادعه فارسلوا إليه عده من كبارهم كان على راسهم سهيل بن عمرو بن عبدود العامرى، فتصالح مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، على ان يرجع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم باصحابه من الحديبيه، فاذا كان العام المقبل، تخرج قريش من مكه، فيدخلها الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم، مع المسلمين فيقيم بها ثلاثا، و ليس مع من السلاح سوى السيوف في القرب، و ان توضع الحرب بينه و بينهم عشر سنين، و انه من احب من العرب ان يدخل في عقد محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و عهده دخل فيه، و من احب ان يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه، و انه من اتى محمدا من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رد اليه، و من اتى قريشا ممن كان مع محمد فارتد عن الاسلام لا ترده قريش اليه. و ذكرواه شروطا اخرى تتعلق بالموادعه.

و لا اظن ان مسلما يشك في ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعمل وفق وحى السماء، و ما ينزل به جبرئيل من عند رب العالمين في هذا المورد بالذات. و حتى لو فرنضا ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قبل بهذه الشروط ابتداء من دون

وحى، فان ذلك يكفى للاذعان بما ارتضاه لانه المصدر الثاني للتشريع، (و ما كان لمومنو لا مومنه اذا قضى اللَّه و رسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم)(١٩.(

و لا معنى- على ضوء المنطق الايمانى- للنقاش و الاحتجاج بعد قبوله للصلح وفق الشروط المذكوره. و ما يقتضيه الايمان و التسليم من الصحابه جميعا، ان يقولوا رضينا بما رضى به رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و لكن لنرى ماذا كان موقف الصحابه، و المبرزين منهم بالذات، فهل اذعنوا لرسولهم و سمعوا و اطاعوا؟

يقول المورخون و اصحاب الحديث، انه بعد ان كتب الإمام علي عليه السلام كتاب الصلح قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم لاصحابه:

قوموا فانحروا ثم احلقوا.

قال: فواللَّه ما قام منهم رجل. حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم احد دخل صلى اللَّه عليه و آله و سلم خباءه ثم خرج فلم يكلم احدا منهم بشيء حتى نحر بدنة بيده، و دعا حالقه فحلق رأسه)(٢٠.(

هذا هو موقف الصحابه في لحظه حرجه من تاريخ الدعوه الاسلاميه تمثل باضراب عام عن طاعه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

اما خواص الصحابه المحيطين بالرسول ليلا و نهارا، العارفين به و بحكمته و حرصه على الاسلام فلنا خذ موقف النموذج الكبير، المتمثل بالخليفه الثاني عمر بن الخطاب، فقد روى البخارى في صحيحه الواقعه التاليه:

قال عمر لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: الست نبى اللَّه حقا؟

قال: بلى.

قلت: السنا على الحق و عدونا على الباطل؟.

قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: بلى.

قلت: فلم نعطى الدنيه في ديننا اذا؟.

قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: انى رسول اللَّه و لست اعصيه و هو ناصرى.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا انا سناتى البيت نطوف به؟

قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: بلى، افا خبرتك انا ناتيه العام؟

قلت: لا.

قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: فانك آتيه و مطوف به.

قالعمر: فاتيت ابابكر فقلت:

يا ابابكر اليس هذا نبى اللَّه حقا؟

**قال: بلى.**

**قلت: السنا على الحق و عدونا على الباطل؟**

**قال: بلى.**

**قلت: فلماذا نعطى الدنيه في ديننا اذا؟**

**قال: ايها الرجل انه لرسول اللَّه و ليس يعصى ربه و هو ناصره، فاستمسك بغرزه فو اللَّه انه لعلى الحق.**

**فقلت: اليس كان يحدثنا انا سناتى البيت و نطوف به؟**

**قال: بلى، افاخبرك انك تاتيه العام؟**

**قلت: لا.**

**قال: فانك آتيه و مطوف به.**

**قال عمر فعملت لذلك اعمالا)(٢١.(**

**و قد اشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الحادثه و غيرها من محاولات الاعتراض على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بقوله: و قد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم انى لم ارد على اللَّه و لا على رسوله ساعه قط(...**

**و علق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله (و اعلم ان هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه، و ليس عندى بقبيح و لا مستهجن ان يكون سوال هذا الشخص لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم عما ساله عنه على سبيل الاسترشاد، و التماسا لطمانينه النفس فقد قال اللَّه لخليله ابراهيم (او لم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) و قد كانت الصحابه تراجع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في الامور، و تساله عما يستبهم عليها و تقول له: اهذا منك ام من اللَّه؟و قال له السعدان- سعد بن معاذ و سعد بن عباده- رحمهماللَّه يوم الخندق، و قد عزم على مصالحه الاحزاب ببعض تمر المدينه: اهذا من اللَّه ام راى رايته من نفسك؟ قال: بل من نفسى. قالا: لا واللَّه لا نعطيهم منها تمره واحده و ايدنيا في مقابض سيوفنا.**

**و قالت الانصار له يوم بدر، و قد نزل بمنزل لم يستصلحوه: انزلت هذا المنزل عن راى رايت ام بوحى اوحى اليك؟ قال: بل عن راى رايته. قالوا: انه ليس لنا بمنزل ارحل عنه فانزل بموضع كذا)(٢٢.(**

**و نحن لا نشك ان الصحابه كانوا حريصين على الدعوه الاسلاميه، و على اعلاء كلمه اللَّه، و محاربه الفكر و الطاغوت، و ارغام قريش- في ذلك الوقت- على الخضوع و الاستسلام. و لكن ذلك لا يعنى انهم احرص على الاسلام من رسوله صلى اللَّه عليه و**

آله و سلم اولا، كما انه لا يبرر لهم اتخاذ موقف موحد، أو اضراب عام، احتجاجا على موقفه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ثانيا.

ان ما وقع ليس (نصا) يحتمل التاويل و انهم هى ممارسه حيه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و هو يرسم منعطفا من اهم منعطفات الاسلام فكيف اعترض الخليفه الثاني و معه الصحابه على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فامتنعوا عن الذبح و الحلق و هو حى بينهم؟ و اذا كانت شهامه بعض الصحابه، و حرصهم على الاسلام، دفعهم إلى اتخاذ هذا الموقف، فماذا لا نتوقع ان يحدث نفس الشيء لنصوص اكثر اهميه من صلح الحديبيه فتغير، أو تهمل، أو تخالف بدافع الغيره و الحرص و الشهامه على الاسلام، في فتره ما بعد الرسول؟

و يشهد على وقوع المخالفه ندم الخليفه الثاني عمر بن الخطاب فيما بعد- اى في فتره خلافته- حيث قال: مازلت اصوم و تصدق و اصلى و اعتق مخافه كلامى الذي تكلمت به)(٢٣) اى في قصه صلح الحديبيه.

الموقف الثاني:

و نرى هنا مشهدا و نموذجا من عدم التسليم و الاذعان لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و الذي يفترض بالصحابه انهم اكثر تفاعلا و استجابه للرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لكن

سنلاحظ التبابين بين النظريه و التطبيق في مجال الممارسه العمليه و ذلك حينما يشير النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم إلى ظاهره ايمانيه مزيفه و هى التي عبر عنها القرآن الكريم ب(النفاق) و يطلب من الصحابه اجتثاث احد رموزها الخبيثه و القضاء عليه. فهل استجاب الصحابه لامر واضح صدر من الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم بقتل منافق متستر بالدين و الشعائر الاسلاميه؟

والقصه كما يلى:

يروى انس فيقول:

كان في عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم رجل يعجبنا تعبده و اجتهاده،و قد ذكرناه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره اذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا.

قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: انكم لتخبرونى عن رجل ان في وجهه لسفعه من الشيطان.

فاقبل حتى وقف عليه و لم يسلم.

**فقال له رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: انشدك اللَّه هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم احد افضل منى أو خير منى؟**

**قال: اللهم نعم.**

**ثم دخل يصلى فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: من يقتل الرجل؟**

**قال ابوبكر: انا، فدخل لعيه فوجده يصلى فقال سبحان اللَّه اقتل رجلا يصلى و قد نهى رسول اللَّه عن قتل المصلين!**

**فخرج فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: ما فعلت؟**

**قال: كرهت ان اقتله و هو يصلى و قد نهيت عن قتل المصلين.**

**قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم: من يقتل الرجل؟**

**قال عمر: انا. فدخل فوجده واضعا جبهته. قال عمر: ابوبكر افضل منى. فخرج فقال النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم مهيم؟**

**قال: وجدته واضعا جبهته للَّه فكرهت ان اقتله. فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم من يقتل الرجل؟**

**فقال على: انا.**

**فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: انت ان ادركته. فدخل عليه فوجده قد خرج.**

**قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: لو قتل ما اختلف من امتى رجلان)(٢٤) هذا الرجل الذي امر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بقتله هو ذو الثديه و يسمى بذى الخويصره التميمى حرقوص بن زهير، و هو الذي قال لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم- كما اخرجه مسلم في صحيحه- حينما كان يقسم المال: يا رسول اللَّه اعدل! فقال له: ويلك من يعدل اذا لم اعدل.**

**و هو راس الخوارج و قد ذكره رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في اخبار المغيبات فقال: آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدى المراه، أو مثل البضعه تدردر، و يخرجون على حين فرقه من الناس.**

**قال ابوسعيد: فاشهد انى سمعت هذا الحديث من رسول اللَّه، و اشهد ان على بن ابى طالب قاتلهم و انا معه، فامر بذلك الرجل فالتمس فاتى به حتى نظرت إليه على نعت لابنى صلى اللَّه عليه و آله و سلم الذي نعته)(٢٥.(**

**فهل فعل النص شيئا تجاه الظاهره المزيفه المتلبسه بالدين، و الرسول فيهم يامرهم بقتل راسها و القضاء عليه؟ ان تحليلا بسيطا لما جرى سيوكد ان تاثر الصحابه ببعض اساليب المنفقين و تسترهم بلباس التقوى و الورع و داء بعض الشعائر كان اقوى في**

**تاثيره من الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم نفسه، رغم علمهم انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم المقياس الحقيقى للالتزام الحقيقى بالاسلام.**

**الموقف الثالث:**

**ما وقع من خالد بن الوليد الصحابى المعروف بموافقه الكثيره، نجد هذا الصحابى في مقوف له يتجاهل النص و يتجاوزه بصراحه و جراه على ما يروى صاحب الاستيعاب في قصه بطشه ببنى جذيمه و خلاصه القصه:**

**ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعث خالدا في ثلاثمائه من المهاجرين و الانصار بعد فتح الحديبيه إلى بنى جذيمه داعيا إلى الاسلام، و لم يبعثه مقاتلا- و كان بنو جذيمه قتلوا في الجاهليه عمه الفاكه بين المغيره- فلما جاءهم بمن معه قال لهم: ضعوا اسلحتكم فان النسا قد اسلموا. فوضعوا اسلحتهم،و امر بهم فكتفوا، ثم عرضم على السيف فقتل منهم مقتله عظيمه فلما انتهى الخبر إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم انى ابرا اليك مما صنع خالد بن الوليد، اللهم انى ابرا اليك مما صنع خالد بن الوليد(٢٦.(**

**ثم ارسل صلى اللَّه عليه و آله و سلم عليا عليه السلام و معه مال و امره ان ينظر في امرهم، فودى لهم الدماء و الاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب(٢٧.(**

**فنرى هنا خالد بن الوليد- و هو من طليعه الصحابه- لا يتحدد بالنص و لا يلتزم به بل و يعمل بخلافه تماما اذان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم يبعثه مقاتلا و انما بعثه داعيا إلى الاسلام، و مع ذلك فانه بداهم بالقتل، و هم آمنون بدعوته لهم بالقاء السلاح.**

**الموقف الرابع:**

**و في هذا الموقف نعيش مع لحظه غضب للخليفه الثاني عمر بن الخطاب دعته إلى جذب الرسول من ثوبه مستنكرا عليه عملا قام به لمصلحه الاسلام و المسلمين، ثم هو بعد سنوات يندم على ذلك مما سنرى و خلاصه القصه كما جاءت في صحيح**

**البخارى و كنزالعمال كما يلى:**

**قال عبداللَّه بن عمر: لما توفى عبداللَّه بن ابى جاء ابنه فقال: يا رسول اللَّه اعطنى قميصك اكفنه فيه، و صل عليه و استغفر له.**

**فاعطاه قميصه- و قد قيل له الم اعطيته قميصك؟! فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان قميصى لم تغن عنه من اللَّه شيئا، و انى ارجو ان يدخل به في الاسلام خلق كثير- و قال له:**

**اذا فرغت منه فاذنا به، فجاء صلى اللَّه عليه و آله و سلم ليصلى عليه فجذبه عمر فقال له: اليس قد نهاك اللَّه ان تصلى على المنافقين فقال لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر اللَّه لهم)؟.**

**فقال صلى اللَّه عليه و آله و سلم: اخر عنى يا عمرانى خيرت، قيل لى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر اللَّه لهم) فلو اعلم انى زدت على السبعين غفراللَّه له لزدت. ثم صلى عليه و مشى خلفه)(٢٨.(**

**و قد اسلم بعد ذلك من قوم عبداللَّه بن ابى الف رجل تاثرا بموقف الرسول. و كان صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد صلى على عبداللَّه بن ابى قبل نزول قوله تعالى (و لا تصل على احد منهم مات ابدا و لا تقم على قبره.(**

**و بعد سنوات من ذلك و بعد وفاه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم ندم عمر بن الخطاب على موقفه فاقل:**

**اصبت في الاسلام هفوه ما اصبت مثلها قط، اراد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يصلى على عبداللَّه بن ابى فاخذت ثوبه فقلت: واللَّه ما امرك اللَّه بهذا لقد قال اللَّه لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر اللَّه لهم) فقال رسول اللَّه: خيرنى ربى فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) فاخترت)(٢٩.(**

**من الصعب ان نبرر موقف الخليفه الثاني في هذه الواقعه بغير تحدي النص، اذ ليس من المعقول ان يكون عمرا أو الناس اجمعين احرص من الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم، على كيان الاسلام أو حفظ مصالحه، فما هو السبب الذي جعل عمر يجذب الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم من ثوبه، هل كان لحكمة لا يعرفها الرسول، أم هو خطأ وقع فيه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو الذي لا ينطق عن الهوى؟**

**ان مقتضى القاعده ان يتجاوب عمر و المسلمون مع الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في موقفه إذعانا لقوله تعالى (و ما كان لمومن و لا مومه اذا قضى اللَّه و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) و يدع عمر اجتهاده و حرصه جانبا و يتمسك بروح العبوديه و الطاعه، و كذلك يجب ان يفعل كل مسلم آمن باللَّه تعالى و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**فهل يمكن بعد هذا ان نفترض ان النص يمكن ان يؤدي الغرض، و يحقق النتيجة دائما، و نحن نرى خير الخلق يجذب من ثوبه - اعتراضا عليه - لمنعه من القيام بعمل ما؟**

**الموقف الخامس:**

هو المعروف برزية يوم الخميس، حيث كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم على فراش الموت، فاراد ان يحسم امر الخلافة و الحكم من بعده، فطلب دواه و صحيفه ليكتب للامه كتابا لن تضل بعده ابدا، و خلاصه ما جرى كالتالى:

اخرج البخارى في صحيحه بسنده إلى عبيداللَّه بن عبداللَّه بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم: هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده.

فقال عمر: ان النبى قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن، حسبنا كتاب اللَّه.

فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبى كتابا لن تضلوا بعده، و منهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو و الاختلاف عند النبى قال لهم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم:

قوموا عنى:

فكان ابن عباس يقول: ان الرزيه كل الرزيه ما حال بين رسول اللَّه و بين ان يكتب ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم)(٣٠.(

و في روايات اخرى جاءت العباره بصيغه:

)هجر رسول اللَّه.(

او (ان النبى يهجر.(

و مهما يكن الامر، و هل قال عمر ان البنى غلبه الوجع، أو ان النبى يهجر، فاننا نعتقد ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في صحته أو مرضه على حد سواء، فهو رسول رب العالمين في الصحه و المرض، و ان ما يصدر منه منقول ان عمل في مرضه، يمتلك نفس الحجيه فيما لو كان قد صدر منه في صحته، لا فرق عندنا في ذلك، و هو اجماع الامه الاسلاميه بكل مذاهبها و فرقها الا من شذ منهم، و ما يهمنا الان هون فهم الاسباب و لاظروف التي تحجم النص الشرعى، و تحرفه عن اتجاهه و تجعله في بعض الاحيان عديم الجدوى.

و الذي يظهر من نصوص واقعه (آتونى اكتب لكم كتابا) و هى كثيره ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم فاجا الجميع بقوله (آتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا) باراده مباشره الكتابه بخط يمينه، و ليس املاء، كما كان يفعل في الامور الاخرى، بما في ذلك القران الكريم نفسه.

و هذه هى المره الوحيده في جميع كتبه و مراسلاته، و في جميع مراحل حياته بعد النبوه يطلب فيها الكتابه بهذا النحو يشهد لذلك قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم

(آتونى... اكتب لكم كتابا) أو (اتونى بكتاب اكتبه لكم) فانه يدل على انه صلى اللَّه عليه و آله و سلم اراد مباشره الكتابه بيده لاكريمه و الا فان بامكانه ان يقول ما كان يريد كتابته امام الحاضرين، أو ان يامر من كان يقرا و يكتب من الحاضرين بكتابه ما يريد من دون حاجه إلى ان يقول (آتونى.(...

و يشهد لذلك ايضا قول الموافقين للكتابه كما في صحيح البخارى حيث جاءت العباره هكذا (قربوا يكتب لكم) فلمن يقربون الدواه و الصحيفه اذا لم يكن هو الذي اراد مباشره الكتابه؟

و هذا الامر هو الذي جعل عمر بن الخطاب يتفاجى ء من قول الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقال كلمته المشهوره انه يهجر، أو غلبه الوجع لان الطلب كان غريبا، فهو يعتقد كما هو حال باقى المسلمين ان الرسول لا يقرا و لا يكتب، فكيف يقول آتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا. و يشهد لصحه هذه الرويه من ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اراد مباشره الكتابه بنفسه ما جاء في الصحيحين ايضا خرجاه معاه عن ابن عباس انه كان يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصا فقلنا: يا ابن عباس و ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و جعه، فقال: آتونى بكتاب اكتبه لكم- و لفظ مسلم: ائتونى اكتب لكم كتابا لا تظلوا بعدى ابدا. فتنازعوا. فقال قائل: ما شانه؟ اهجر؟ استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه: فقال: دعونى و الذي انا فيه خير من الذي انتم فيه...)(٣١.(

فما معنى (استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه) أو (آتونى بكتاب اكتبه لكم) غير الذي ذكرناه.

و لو افترضنا صوره عكسيه لما وقع وقلنا مثلا ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يقرا و يكتب، و الناس تعرف ذلك ثم طلب صلى اللَّه عليه و آله و سلم و هو لعى فراش الموت دواه و صحيفه ليكتب كتابا فهل سيكون طلبا غريبا يستوجب ان يقول احد (انه يهجر) أو (استفهموه)؟ و لم نجد اى اعتراض على طلبات النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم الاخرى التي رافقت طلب كتابه الكتاب كقوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم: قوموا عنى، فقاموا أو اكرام الوفود أو اخراج المشركين من الجزيره أو تجهيز جيش اسامه و غير ذلك، و لم يقل احد انه هجر، فلماذا في هذا المورد بالذات اتهم النبى بانه هجر؟

من هنا استطاع عمر ان يوجد في داخل الجماعه المتواجده في البيت النبوى، تيارا يويد رويته، فقالوا معه حسبانا كتاب اللَّه، متسفيدا من غرابه طلب الرسول صلى اللَّه

عليه و آله و سلم بالكتابه، اذ ليس من المعقول ان يتمكن عمر من استحصال تاييد كبير، أو قل اتجاه واسع في صفوف الحاضرين من دون وجود محفز ظاهرى مثير، فعمر لم يكن يملك تاثرا على المسلمين و لم يذكر المورخون انه كان يتمتع بقوه ماديه، و لا رصيد اجتماعى، للتاثير على الحاضرين للحد الذي يستطيع ان يحول بين النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و كتابه الكتاب. خاصه و ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم في هذه الفتره من حياته كان يتمتع باحترام جميع المسلمين على اختلاف دوافعهم للاحترام، بينما لا يملك عمر ذلك.

اما الدافع الحقيقى الذي دفع عمر للتصريح بكلمته هذه، فهو ما بينه بنفسه فيما بعد، اذ يروى ابن أبي الحديد عن عمر فيقول: «ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم اراد ان يذكره- لعلى- للامر في مرضه، فصددته عنه خوفا من الفتنه و انتشار امر الاسلام»(٣٢.(

و روى ايضا عن ابن عباس رضى اللَّه عنه قال:

دخلت على عمر في اول خلافته، و قد القى له صاع من تمر على خصفه، فدعانى إلى الاكل، فاكلت تمره واحده، و اقبل ياكل حتى اتى عليه، و استلقى على مرفقه له،و طفق يحمد اللَّه، يكرر ذلك، ثم قال: من اين جئت يا عبداللَّه؟

قالت: من المسجد.

قال: كيف خلفت ابن عمك؟

-فظننته يعنى عبداللَّه بن جعفر-

قلت: خلفته يلعب مع اترابه.

قال: لم اعن ذلك، و انما عنيت عظيمكم أهل البيت.

قلت: خلفته يمتح بالغرب- اى بالدلو- على نخيلات من فلان و هو يقرا القرآن.

قال: يا عبداللَّه عليك دماء البدن ان كتمتنيها، هل بقى في نفسه شيء من امر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: ايزعم ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم نص عليه؟

قلت: نعم، و ازيدك سالت ابى عما يدعيه فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم في امره ذرو،- اى طرف- من قول لا يثبت حجه و لا يقطع عذرا، و لقد كان يربع في امره وقتا ما، و لقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا و حيطه على الاسلام، لا و رب هذه البنيه لا تجتمع عليه قريش ادبا، و لو وليها لا نتقضت عليه العرب من اقطارها،

فعلم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم انى علمت ما في نفسه فامسك، و ابى اللَّه الا امضاء ما حتم(٣٣.(

اما الذين قالوا: قربوا يكتب لكم كتابا، فهم يرون ان الذين يعقه مويدا بالايات و البينات و المعجزات، قادر على الهامه القراءه و الكتابه في لحظه واحه فيكتب ما يريد كتابه و لو على نحو الاعجاز.

و من هنا سيكون هذا الكتاب- اضافه إلى محتواه الكبير في تحديد مستقبل الخلافة و نظام لحكم- مقرونا باخر و اجمل معجزه- باستثناء القران- لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ستاخذ طريقها إلى قلوب المسلمين و المومنين إلى قيام يوم الدين، و سوف لن تضل الامه بعده ابدا، لانه سيحدد خط الإمامة و الخلافة من بعده فلا يقع اختلاف ولا ضلال.

و على كل حال فان عمر بن الخطاب حرص على منع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من كتابه الكتاب، و وافقه على ذلك عدد كبير من الصحابه.

هذا كله و الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم حى يرزق و هو بكالم خصائصه الانسانيه و الدينيه مما اثار غضبه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فخاطب الحاضرين بكلمته المشهوره (قوموا عنى). و لم نعهد

من صاحب الخلق العظيم حده أو الما دعاه إلى رده فعل اكثر من السكوت، أو في اشد الحالات ظهور علامات عدم الارتياح على وجهه، اما ان يغضب فيقول قوموا عنى فهى المره الاولى و الاخيره في حياته صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و مما يجب ان نشير إليه في النهايه هو اننا من خلال استقراء امثال الوقائع التي ذكرناها نلاحظ ان النص الشرعى ينال التقديس و الاحترام اذا كان يتعلق بالامور العباديه ذات الطابع الشخصى كالصلاه و الصيام و امثالهما فلا نجد في امثال هذه المواضيع اى شكل من اشكال الاعتراض أو النقاش أو التحدى.

و اما النص الذي يتعلق بالامور الاقتصاديه أو السياسيه أو الاجتماعيه فانه كثيرا ما يواجه مصاعب في مجال الاذعان أو التطبيق، و معه تبدا محاولات التغيير، كالحرص على عدم تفرق الامه، أو خوف الفتنه، أو الحيطه على الاسلام،و امثال ذلك من المبررات الحق، التي لا يراد بها الحق، لاننا لا يمكن ان نفترض احدا في الدنيا احص من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم على الاسلام و وحده الامه الاسلاميه.

## الحقيقه الثانيه: شخصيه الإمام علي

**والحديث في هذا الموضوع يتم من خلال محاور ثلاثه:**

**-1الخصائص الذاتيه لشخصيه الإمام علي عليه السلام.**

**-2العدل المطلق في حياه علي عليه السلام.**

**-3تركيبه مجتمع الصحابه و موقع علي عليه السلام فيها.**

## المحور الاول: الخصائص الذاتيه

**الخصائص الذاتيه لعلي عليه السلام بقدر ما تحمل من عظمه سببت له مشاكل و مصاعب بنفس المستوى رافقته في جميع مراحل حياته، و افرزت له قطاعات واسعه من الاعداء، حركهم الحسد و الغيره و المصالح الذاتيه للانتقام منه بمختلف الوسائل.**

**ان الإمام علي عليه السلام ربيب النبوه، و التلميذ الاول لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم تلقى على**

**يديه الكريمتين، جميع مكارم الاخلاق و العلم و المعرفه، يقول صلوات اللَّه و سلامه عليه.**

**)وقد علمتم موضعى من رسول اللَّه بالقرابه القريبه و لامنزله الخصيصه، وضعنى في حجره و انا ولد يضمنى إلى صدره، و يكنفنى في فراشه و يمسنى جسده، و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمينه، و ما وجد لى كذبه في قول، و لا خطله في فعل.**

**و لقد كنت اتبعه ابتاع الفصيل لاثر امه، يرفع لى في كل يوم من اخلاقه علما، و يامرنى بالاقتداء به...)(٣٤.(**

**و يقول عليه السلام ايضا:**

**ما نزلت على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم آيه الا اقرانيها و املاها على فكتبتها بخطى، و علمنى تاويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها و عامها، و دعا اللَّه ان يعطينى فهمها و حفظها، فما نسيت آيه من كتاب اللَّه تعالى و علما املاه على و كتبته منذ دعا اللَّه لى بما دعا، و ما ترك رسول اللَّه علما علمه اللَّه من حلال أو حرام، و لا امر و لا نهى كان أو يكون الا علمنيه و حفظته، و لم انس حرفا واحدا منه...)(٣٥.(**

**هذه الميزات الفريده في تربيه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم له و تعليمه،و ايثاره له من دون باقى الصحابه، و ائتمانه على سره و امره، و تزويجه ابنته الصديقه فاطمه، و اهتمامه البالغ به، و غير ذلك مما يشاكل هذه الامور استوجب حسدهم له، و**

غيضهم منه. و لم يبق ذلك حبيس نفوسهم و ساكن سرهم بل طفحت من بعضهم نيران الحسد، و ظهر منهم الحقد و الغضب، فاتهموا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بانه يحابى عليا عليه السلام بدافع القرابه و المصاهره، حتى بدت الكراهه في وجوه الصحابه لذلك، فعن جابر قال ناجى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم على بن ابى طالب يوم الطائف فاطال مناجاته، فراى الكراهه في وجوه رجال، فقالوا قد اطال مناجاته منذ اليوم. فقال: ما انا انتجيته ولكن اللَّه عز و جل انتجاه(٣٦.(

فاكن من الصعب على بعضهم ان يجدوا لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم نظيرا له في خلقه و عدله و تنمره في ذات اللَّه تعالى، و حرصه على الاسلام، و بطشه بعروش الكفر و عادات الجاهليه.

و كان الجميع يعلم ان عليا عليه السلام لو ولى الخلافة ما كان ليعدل عن سنه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قيد انمله، و لعمل بما كا يعمل به صلى اللَّه عليه و آله و سلم و لسار على هديه و شريعته. و هذا ما لم يكن يرق لعدد كبير من المستسلمين، من ذوى الجاه و السلطان و الحكم و الرياسه، من الذين لم تكن صدورهم تتسع لشخص آخر كمحمد صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعد له و حزمه في تطبيق الحق و العدل.

ان الإمام علي عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقى لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، لانه عديل نفسه بنص الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم، اذ يروى ابن أبي الحديد ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم حينما هدد بنى وليعه قال لهم:

لتنتهن يا بنى وليعه أو لا بعثن عليكم رجلا عديل نفسى يقتل مقاتلتكم و يسبى ذراريكم.

قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الاماره الا يومئذ و جعلت انصب له صدرى رجاء ان يقول: هو هذا، فاخذ بيد على و قال: هو هذا)(٣٧. (

هذا التمثيل الحقيقى لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و انه عديل نفسه سبب لعلي عليه السلام مشكله حقيقيه امتدت معه امتداد العمر، و عانى من تبعاتها في حياته و بعد موته، بل و امتدت إلى آله و ذريته، فكان الحاقدون الموتورون من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يرون في الانتقام من علي عليه السلام انتقاما من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول عليه السلام:

كل حقد حقدته قريش على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله اظهرته فى،

و ستظهره في وليدى من بعدى، مالى و لقريش! انا و ترتهم بامر اللَّه رسوله، افهذا جزاء من اطاع اللَّه و رسوله ان كانوا مسلمين)(٣٨.(

**و يقول ايضا:**

**»اللهم انى استعديك على قريش، فانهم اضمروا لرسولك صلى اللّٰه عليه و آله و سلم ضروبا من الشر و الغدر، فجزوا عنها، و حلت بينهم و بيننا، فكانت الوجبه بى، و الدائره على»(٣٩).**

**و لا نستغرب ذلك لان واقع الحال بعد وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم كشف عن حقيقه مره، و هى ان شطرا من (المسلمين) كان اعتناقهم للاسلام استسلاما للواقع، بحكم ان التيار العام كان لصالح الاسلام، و ان التظاهر بغير ذلك يهدد مصالحهم الشخصيه، و هم في حيقتهم لا زالوا يحملون في اعماقهم افكار الجاهله و عاداتها و تقاليدها و كانت نظرتهم إلى الاسلام و رسوله القائد صلى اللّٰه عليه و آله و سلم نظره ماديه بحته، و ان ما حققه ليس الا مجدا شخصيا استطاع بذكائه ان يقيمه على انقاض المجتمع العربى المتفكك، لا علاقه له بوحى و لا نبوه يقول ابوسفيان لعثمان بن عفان بعد ان ولى الخلافة: بابى انت انفق و لا تكن كابى حجر، و تداولوها يا بنى اميه تداول الولدان الكره، فواللّٰه ما من جنه و لا نار..)(٤٠).**

**و ايضا يشهد لذلك حركه الارتداد الواسعه التي وقعت بعد وفاه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مباشره يقول ابن الاثير في الكامل:**

**فتوفى النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و لم يسر الجيش و ارتدت العرب اما عامه أو خاصه من كل قبيله، و ظهر النفاق و اشرابت يهود و النصرانيه)(٤١).**

**و قد افرد في الكامل فصلا مستقلا لاخبار الرده و رغم تحفظنا على بعضه لان شعار الرده استعمل في بعض الاحيان كشعار سياسى لتصفيه المعارضه، أو لتحقيق اغراض شخصيه، الا انه على كل حال يكشف عن ان شطرا كبيرا من المجتمع كان مستسلما فقط(٤٢).**

**و من الطبيعى في ظل وضع من هذا القبيل ان تتقلص الفرص، ان لم نقل تتعدم لوصول علي عليه السلام إلى الحكم، اذ كيف يقبل المرتدون حاممما هو كرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم الذي ثقلت نفوسهم به، فهو يمثل لهم (ماساه) حقيقيه ضاقت بها صدورهم.**

**و يصف لنا علي عليه السلام الحاله الموسفه للوضع الذي كان عليه المجتمع في ذلك الوقت و قد قال له قائل: يا اميرالمومنين، ارايت لو كان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله ترك ذكرا قد بلغ الحلم، و آنس ممه الرشد، اكانت العرب تسلم إليه امرها؟**

**فقال عليه السلام: لا، بل كانت سقتله ان لم يفعل ما فعلت، ان العرب كرهت امر محمد صلى اللّٰه عليه و اله و حسدته على ما آتاه اللّٰه من فضله، و استطالت ايامه حتى قذفت زوجته، و نفرت به ناقته، مع عظيم احسانه اليها، و جسيم مننه عندها.**

**و اجمعت مذكان حيا على صرف الامر عن أهل بيته بعد موته. و لولا ان قريشا جعلت اسمه ذريعه إلى الرياسه، و سلما إلى العز و الامره، لما عبدت اللّٰه بعد موته يوما واحدا، و لا رتدت في حافرتها، و عاد قار حها جذعا، و بازلها بكرا،ثم فتح اللّٰه عليها الفتوح، فاثرت بعد الفاقه، و تمولت بعد الجهد و المخمصه، فحسن في عيونها من الاسلام ما كان سمجا، و ثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا و قالت: لولا انه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها و حسن تدبير الامراء و القائمين بها...**

**و ما عسى ان يكون الولد لو كان! ان رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله لم يقربنى ما تعلمونه من القرب للنسب و اللحمه، بل للجهاد و النصيحه، افتراه لو كا اله و لدهل كان يفعل ما فعلت! و كذاك لم يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش و العرب سببا للحظوه و المنزله، بل للحرمان و الجفوه.**

**اللهم انك تعلم انى لم اراد الامره، و لا علو اللمك و لارياسه، و انما اردت القيام بحدودك، و الاداء لشرعك، و وضع الامور في مواضعها، و توفير الحقوق على اهلها، و المضى على منهاج نبيك، و ارشاد الضال إلى نوار هدايتك)(٤٣.(**

---

1- صحيح البخارى كتاب بدء الخلق.

2- صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابه.

3- صحيح الترمذى ج ٢:٣٠١.

4- تاريخ بغداد ج ٣:٢٨٨، صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣٠١، و مسند احمد ج ٣:٣٣٨.

5- تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٢:٣٦٨.

6- طه:٢٩- ٣٣.

7- صحيح ابن ماجه في باب فضائل اصحاب رسول اللّٰه ص ١٢.

8- مسند احمد ج ٤:٢٨١. المطبعه الميمينه بمصر.

9- مستدرك الصحيحين ج ٣:١٠٩.

10- كنزالعمال ج ١:٤٨.
11- كنزالعمال ج ٦:٤٠٣.
12- الاصابه ج ٤:١٧١.
13- آل عمران:٦١.
14- سوره البقره الايه ٥١- ٥٤.
15- سوره البقره الايه ٦٧- ٧٤.
16- سوره المائده الايه ١١١- ١١٥.
17- السالفه صفحه العنق كنى بذكل عن القتل.
18- السيره الحلبيه ج ٢:٦٩٢.
19- الاحزاب:٣٦.
20- صحيح البخارى ج ٢:١٢٢ ط دار الكتب العربيه.
21- صحيح البخارى ج ٢:ح ١٢٢ ط دار الكتب العربيه.
22- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٠:١٨٠.
23- السيره الحلبيه ج ٢:٧٠٦.
24- الاصابه لابن حجر ج ١:٤٨٤ ط السعاده، و حليه الاولياء ج ٢:٣١٧.
25- صحيح البخارى ج ٤:٢٤٣ ط مطابع الشعب، و صحيح مسلم ج ٢:٧٤٤.
26- الاستيعاب بهامش الاصابه ج ١:١٥٣.
27- المصدر السابق، و السيره النبويه لابن هشام ج ٤:٥٣.
28- كنزالعمال ج ١:٢٤٧، الكامل في التاريخ ج ٢:٦٦١ ط دار لكتب العلميه.
29- كنزالعمال الحديث رقم ٤٤٠٤.
30- الكامل في التاريخ ج ٢:١٨٥ ط دار لكتب العلميه، صحيح البخارى ج ٧:٩ ط دار الفكر، مسند احمد ج ٤:٣٥٦ دار المعارف بمصر.
31- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢:٥٤.
32- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٢:٧٩.
33- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٢:٢٠.
34- نهج البلاغه الخطبه رقم ١٩٢.
35- نهج البلاغه الخطبه ٢١٠.
36- النوادر في جمع الاحاديث للمولى محسن الكاشانى:١٠٥.
37- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١:٢٩٤.

38- شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢٠:٣٢٨.

39- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٠:٢٩٨.

40- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢:٤٥.

41- الكامل لابن الاثير ج ٢:١٩٩.

42- بالنسبه لاخبار الرده يمكن بحثها على عده اصعده و على مستويات مخلتفه، فقد تفسر على انها ارتداد عن الاسلام و رجوع إلى الكفر.و قد حصل هذا و وقع في بعض مراحل الاحداث، و قد تفسر على انها ارتداد، بمعنى عم قبول الكثير من العبر لخلافه ابى بكر، و مثال ذلك ما هو معروف عن مالك بن نويره الذي اعتبر مرتدا لانه امتنع عن دفع الزكاه للخليفه.

و على ضوء ذلك تترتب نتائج متباينه لسنا بصد مناقشتها.

43- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٠:٢٩٨.

## المحور الثاني: العدل المطلق في حياه على

لقد تربى الإمام علي عليه السلام على يد المعلم الاكبر للانسانيه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فتشربت روحه بتعاليم الاسلام و احكامه و اخلاقه، و عزز تلك التربيه انه عليه السلام عاش تجربه الاسلام مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و عايش العداله المطلقه حينما كان صلى اللّٰه عليه و آله و سلم يمارسها في كل مرافق الحياه الاجتماعيه و السياسيه، فذاق حلاوه ذلك و عشق تلك التجربه و جسدها في كل مناحى حياته، فاصبح كرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في حرصه و دابه و امانته على تلك المبادى. و تجلى للجميع ان شخصا بهذه المواصفات و السمات ان خلف رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في حكم الامه و اداره شوونها كافه فسيسير على نفس السيره و ينهج ذات النهج فلا يفضل شريفا على مشروف، و لا عربى على اعجمى، ولن يبذل بيت مال المسلمين على هذا و ذاك ليصانعهم و يذللهم لسلطانه، و انما سيسير بهم بما سار عليه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم.

و لم يكن اشراف القوم و اعيانهم ليرغبوا بالعدل المطلق الذي عايشوه في حياتهم العمليه زمن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فكانت النفوس تتوق إلى ساعه من الرخاء و الاسترخاء بعيدا عن مراره الحق و غصه العدل.

وإذا كانت هذه الرويه واضحه لعدد من الصحابه دون معظم الناس في زمن الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم، فقد تجلت للجميع بعد ذلك في فتره خلافته، حيث تفرق الناس عنه مما اضطر مالك الاشتر و حرصا منه على الخلافة ان يقول له:

»و انت تاخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحق، و تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجعت طائفه ممن معك من الحق اذ عموا به،و اغموا من العدل اذ صاروا فيه، و راوا صنائع معاوية عند أهل الغناء و الشرف، فتاقت انفس الناس إلى الدنيا، و قل من ليس للدنيا بصاحب، و اكثرهم يجتوى الحق و يشترى الباطل و يوثر الدنيا، فان تبذل المال يا اميرالمومنين تمل اليك اعناق الرجال، و تصف نصيحهتم لك» فاجابه عليه السلام:

اما ما ذكرت من علمنا و سيرتنا فان اللّٰه عز و جل يقول (من عمل صالحا فلنفسه و من اساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد) و ان من ان اكون مقصرا فيما ذكرت اخوف.

و اما ما ذكرت من ان الحق ثقل عليهم ففارقونا فقد علم اللّٰه انهم لم يفارقونا من جور، و لا لجاوا إلى عدل، و لم يلتمسوا الا دنيا زائله عنهم كان قد فارقوها، و ليسالن يوم لقيامه اللدنيا ارادوا ام للّٰه عملوا؟

و اما ما ذكرت من بذل الاموال و اصطناع الرجال فانه لا يسعنا ان نوتى امراءا من الفى ء اكثر من حقه و قد قال اللَّه سبحانه و تعالى و قوله الحق (كم من فئه قليله غلبت فئه كثيره باذن اللَّه و اللَّه مع الصابرين) و قد بعث اللَّه محمدا صلى اللَّه عليه و آله و سلم وحده، فكثره بعد القله، و اعز فئته بعد الذله، و ان يرد اللَّه ان يولنا هذا الامر يذلل لنا صعبه، و يسهل لنا حزنه...)(١.(

و هذا هو علي عليه السلام يقول لعبد اللَّه بن جعفر ابن ابى طالب حينما طلب منه معونه

او نفقه يقول له: لا واللَّه ما اجد لك شيئا الا ان تامر عمك ان يسرق فيعطيك)(٢.(

و هو الذي يقول لاهل الكوفه:

ياهل الكوفه اذا انا اخرجت من عندكم بغير راحلتى و رحلى و غلامى فلان فانا خائن»(٣.(

و يقول عليه السلام لامراه مسلمه عربيه طلبت منه مالا- و كان قد اعطى لامراه اعجميه نفس العطاء- قالت له: انى امراه من العرب و هذه من العجم؟! محتجه على تساويهما في العطاء.

فقال: انى واللَّه لا اجد لبنى اسماعيل في هذا الفى ء فضلا على بنى اسحاق)(٤.(

و يقول عليه السلام لعلقه بن علقمه و كان راه ياكل كسر خبز يابس مع لبن حامض فقال له: يا اميرالمومنين اتاكل مثل هذا؟ فقال عليه السلام:

يا ابا الجنوب كان رسول اللَّه ياكل ايبس من هذا و يلبس اخشن من هذا- و اشار إلى ثيابه- فان لم آخذ بما اخذ به خفت الا الحق به)(٥.(

و يروى على بن ابى سيف المدائنى ان طائفه من اصحاب علي عليه السلام مشواااليه فقالوا: يا اميرالمومنين اعط هذه الاموال و فضل هولاء الاشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم، و استمل من تخاف خلافه من الناس و فراره.- وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال-

فقال لهم: اتامروننى ان اطلب النصر بالجور، لا واللَّه لا افعل ما طلعت شمس و ما لاح في السماء نحم، واللَّه لو كان المال لى لواسيت بينهم، فيكف و انما هى اموالهم...)(٦.(

ان من الطبيعى لمن ينهج هذا النهج في تطبيق العداله الاجتماعيه المطلقه بحيث لا يرى لابناء اسماعيل على ابناء يعقوب ميزه، و لا يرى لعربى على اعجمى فضلا، و لا للاشراف ميزه على غيرهم في العطاء و لا في غيره، و لا يرى كذلك للابقين في

الجهاد فضلا على غيرهم من المسلمين يستوجب تمييزهم عن غيرهم في امر العطاء، ان شخصا يتمسك بهذه المبادى بشكل مطلق من دون هواده في مجتمع يتمسك بنس القوه بالقيم الاجتاعيه القائه على اساس الطبقيه و الفوارق الاجتماعيه و القوميه و القبليه و التي عاشها فتره زمنيه تفوق التفره التي عاشها في ظل الاسلام و التي دعت بعض الصحابه إلى اضافه شرط جديد لتولى علي عليه السلام للخالفه و هو ان يسير بسيره الشيخين. و لا يعنى هذا الشرط الا ان يقر بالفوارق الطبقيه و التمييز المالى و الاجتماعى بين المسلمين، مما دعاه إلى رفض الاستخلاف بعد مقتل عمر بن الخطاب، و اصر على العمل بكتاب اللَّه عز و جل و سنه و سيره رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقط باعتبارهما مصدر التشريع الاسلامى و هى بطبيعتها ترفض كل الوان التمييز .

و هو الذي يقول:

»و انى لعالم بما يصلحكم، و يقم اودكم و لكنى لا ارى اصلاحكم بافساد دينى». ان شخصا بهذا المستوى من الحرص على تطبيق الاحكام الاوليه للاسلام لن يلق ترحيبا في مجتمع احب الانفلات من حياه العدل المطلق إلى حياه الامتيازات الطبقيه و القوميه و القبليه التي اعتادها قبل الاسلام، و سوف يجد في طريقه مئات العقبات و الصعاب و ما لا يحصى من المشاكل.

و هذا هو الذي حدث لعلي عليه السلام على امتداد مسرته الطويله مع الدعوه الاسلاميه سواء في حياه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم أو فيما بعد ذلك.

و لم يكن- بحسب الصنوص السابقه- خافيا على علي عليه السلام هذا الامر، فكان من اهم اهدافه بعد ان تولى الخلافة اصلاح هذا الواقع و اعادته إلى ما كان عليه في زمن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، الامر الذي حرمه من تحقيق انجازات كبيره و حيويه للاسلام على المستوى الجغرافى و هو ما يعبر عنه بالفتوحات الاسلاميه، و دخل في صراعات عسكريه و سياسيه لتغيير المجتمع و بناء على اساس الاسلام و قيمه الساميه.

## المحور الثالث: نظره العداء و الحقد

كما نلاحظ ان قطاعات كبيره من المجتمع، كانت تنظر إلى علي عليه السلام نظره حقد و عداء، و تحمل له ضغائن في قلوبها، لانه على حد تعبيرهم (قاتل الا حبه)رغم ان السيف اليذ قطع تلك الرووس، لم يكن يحمل لهم حقدا شخصيا، و انما كان اداء لواجب الجهاد في سبيل اللَّه، و دفاعا عن الاسلام، و تشييدا لاركانه، و اعلاء لكلمه اللَّه تعالى،

**و ان الذين قتلهم كانوا كفارا عتاتا، طالما وقفوا بوجه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فحاربوه و آذوه، و حاربوا دعوته و رسالته.**

**و قد سجل التاريخ نماذج كثيره للحاله الحاقده أو المتوتره على علي عليه السلام، تعكس مدى ما كان القوم يحملون له في قلوبهم من بغض و كراهيه، فمن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد قال:**

**ان عثمان بن عفان و سعيد بن العاص حضرا عند عمر في ايام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حجره- اى ناحيه- فنظر إليه عمر فقال:**

**ما لى اراك معرضا كانى قتلت اباك! انى لم اقتله ولكنه قتله ابوحسن.**

**و كان علي عليه السلام حاضرا فقال:**

**اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه، و محا الاسلام ما قبله، فلماذا تهاج القلوب!؟**

**فسكت عمر)(٧. (**

**و من خلال نظره سريعه إلى هذه الصفحه من تاريخه عليه السلام و تاريخ معارضيه،نجد ان الثلثه المتضرره ثله مهمه لها موقعها و وقعها في المجتمع. كما انها تمتلك خبرة الممارسه السياسية و كيفية استعمال المفردات السياسيه و تسخيرها بالنحو الذي يغير من المعادلات والموازين الشرعيه، و لعل من اهم مصاديق هذا التيار معاوية بن ابى سفيان- داهيه العرب- القادر على استعمال اى ورقه سياسيه- بغض النظر عن مشروعيتها- فقد قتل الإمام علي عليه السلام حنظله اخاه، والوليد بن عتبه و هو خاله و غيرهما من بنى اميه و عبد شمس.**

**يقول عنه ابن أبي الحديد:**

**و كان معاوية على اس الدهر- اى قدم الدهر- مبغضا لعلي عليه السلام، شديد الانحراف عنه، و كيف لا يبغضه و قد قتل اخاه حنظله يوم بدر و خاله الوليد بن عتبه، و شرك عمه في جده و هو عتبه، أو في عمه و هو شيبه على اختلاف الروايه، و قتل من بنى عبد شمس نفرا كثيرا من اعيانهم و اماثلهم)(٨.(**

**و يروى كذلك انه:**

**اجتمع عند معاوية في بعض ليالى صفين عمرو بن العاص، و عتبه بن ابى سفيان، و الوليد بن عقبه، و مروان بن الحكم، و عبداللَّه ابن عامر، و ابن طلحه الطلحات الخزاعى فقال عتبه: ان امرنا و امر على بن ابى طالب لعجيب ما فينا الا موتور مجتاح، اما انا فقتل جدى عتبه بن ربيعه و اخى حنظله و شرك في دم عمى شيبه يوم**

بدر. و اما انت يا وليد فقتل اباك صبرا. و اما انت يا ابن عارم فصرع اباك يوم الجمل و ايتم اخوتك...)(٩.(

و يقول ابن أبي الحديد ايضا:

»و قد عرفت ان اعظم غزاه غزاها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و اشدها نكايه في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل على نصفهم و قتل المسلمون و الملائكه الصنف الاخر. و اذا رجعت إلى مغازى محمد بن عمر الواقدى

و تاريخ الاشراف ليحيى بن جابر البلاذرى و غيرهما علمت صحه ذلك، دع من قتله في غيرها كاحد و الخندق و غيرهما، و هذا الفصل لا معنى للاطناب فيه لانه من المعلومات الضروريه كالعلم بوجود مكه و مصر و نحوهما»(١٠.(

و لا يعدم علي عليه السلام من يعاديه حتى في داخل البيت النبوى الشريف فقد مثلت ام المومنين عائشه نموذجا آخر للخلاف معه، و ما وقع بينهما اشهر من ان يذكر، لقد قتل علي عليه السلام ابناء عمها في بدر، و لم يمنعها من عدائه ما كانت تسمعه أو تراه من اهتمام النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم به، و حبه له، و استئناسه به، و مع ذلك لم تتمكن من تحجيم دوافعها النفسيه، و بقيت ضده بالرغم من انها لم تجد منه موقفا سلبيا تجاهها لا في حياه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و لا بعد وفاته.

و قد استغلت المعارضه ما في قلب عائشه ضده من عداء، و ما لعائشه من مكانه و هاله قدسيه باعتبارها زوجه النبى صلى اللّٰه عليه و آله و سلم فجروها إلى معارضه علنيه انتهت إلى مشاركتها في معركه الجمل، و مع ذلك لم تجد منه عليه السلام الا جميلا بعد هزيمه الجيش الذي كانت تقود.

و خذ كذلك سعد بن ابى وقاص الذي يقول عنه ابن أبي الحديد:

»فاما الروايه التي جاءت بان طلحه لم يكن حاضرا يوم الشورى، فان صحت فذو الضغن هو سعد بن ابى وقاص، لان امه حميه بنت سفيان بن اميه بن عبد شمس، و الضغينه التي عنده على علي عليه السلام من قبل اخواله الذين قتل صنا ديدهم و تقلد دماءهم»(١١.(

و يتواصل الحقد و يتوارث ليصل إلى ولده عمر بن سعد الذي قتل الحسين عليه السلام في واقعه الطف عام ٦١ هـ.

و الحقيقه ان المجتمع آنذاك كان يضم عناصر نافذه و متمرسه في السياسه شكلت

معارضه قويه للامام علي عليه السلام لم يكن من السهل تجاوزها بالاساليب الطبيعيه المشروعه، فلم يكن امامه عليه السلام الا احد خيارين اما التمسك بالمبادى ء و الثبات عليها، و اما ان ينهج ما يفعله السياسيون المنحرفون من المداهنه و الخداع و الكذب. و هذا ما كانت تاباه روح علي عليه السلام كما سنرى بعد قليل.

## المحور الرابع: التمسك بالمبادى

اثبت تاريخ علي عليه السلام بما لا يدع مجالا للشك انه رجل المبادى، المضحى من اجلها، المتمسك بها و ان الاسلام هدفه الاكبر و غايته المقدسه، و ان كل موقف يحقق له مكاسبه قياديه أو ماديه و يتعارض و لو جزءيا مع مبادى ء الاسلام، و القيم التي تعلمها من الرسول صلى اللّٰه عليه و آله و سلم مرفوض مهما كانت مبرراته. و لم يسجل التاريخ انه داهن أو خادع أو استعمل الاساليب التي اعتادها السياسيون في تحقيق اهدافهم.

و هذه الحسنه التي لعلي عليه السلام كانت ترعب كل الذين ارادوا تحويل الحكم السلامى إلى سلطان شخصى أو مكسب مادى لانهم في ظل هذه الاجواء سوف لن يحصلوا على مواقع في الحياه السياسيه الاسلاميه تحق لهم مكاسب شخصيه فمثلا حينما جاء ابوسفيان لعلى و قد كان عليه السلام بامس الحاجه إلى النصير قال له بعد بيعه ابى بكر:

و ليتم على هذا الامر اذل بيت في قريش، اما واللّٰه لان شئت لاملانها على ابى فضيل خيلا و رجلا- يعنى على ابى بكر.-

فقال عليه السلام: طالما غششت الاسلام و اهله فما ضررتهم شيئا، لا حاجه لنا إلى خيلك و رجلك)(١٢.(

لم يقبل الامام نصره من لا يحمل في اعماقه مبادى ء السلام و قيمه. و لا تحركه الا مصالحه و اطماعه الماديه التي تسوقه حيث تشاء و كان المفروض على ضوء

المنطق السياسى المادى ان يجمع كل القوى المضاده أو المصلحيه في تكتل كمى و كيفى ليتجاوز به المرحله الصعبه.

ولكنه عليه السلام ابى ان يفعل ذلك، لان هدفه لم يكن الخلافة و انما المبادى التي هى هدف الخلافة الحقيقيه؟ و ابوسفيان- على هذا الضوء- لا موقع له فيها. و لم يطل الوقت على ابى سفيان حتى غير موقفه، و تحول إلى جانب ابى بكر من نفس المنطق المصلحى بعد ان اشار عمر بن الخطاب على الخليفه الاول بان يهب اموال الزكاه لابى سفيان كسبا لمودته و دفعا لشره، فرضى ابوسفيان فمال إلى جانب ابى بكر(١٣.(

**و ابوسفيان هو الذي يقول لعثمان: بابى انت انفق ولا تكن كابى حجر، و تداولوها يا بنى اميه تداول الولدان الكره، فوالله ما من جنه و لا نار... )(١٤.(**

**و من الحقائق التي تصب في هذا المجال و توكد على ان رجل المبادى المومن بها لا يقع تحت تاثير المبررات و العناوين الثانويه على حساب المبادى مهما كانت النتائج موثره ما ذكر من انه لما بويع بالخلافة و اصبح حاكما و خليفه على المسلمين و اجهته مشكله بقاء أو عزل معاوية بن ابى سفيان.**

**و لم تكن المهمه سهله يسيره، و لن تمر عمليه العزل دون مشاكل و صعاب، و ذلك لان معاوية استغل الفرصه منذ ان توفى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و حتى يوم مبايعه الإمام علي عليه السلام لتكريس نفوذه الشخصى ككيان مستقل عن الخلافة الاسلاميه، واعتبر نفسه- عمليا- مصدرا تشريعيا و فكريا و مرجعا قياديا للامه، و سخر لتحقيق ذلك كل وسائل التبليغ و الدعايه، و جعل بيت مال المسلمين في خدمه هذا الغرض بعد ان ولى الشام، و سلك معاويه- كما ينص التاريخ- سياسيه: المال حين يكون المال اداه لكسب الولاء و الطاعه، و القوه حين يتطلب الامر القوه، والدين و القيم حين تقتضى الظروف ذلك.**

**اضف إلى ذلك ما كان يتمتع به معاوية من دهاء و قدره سياسيه، و انفلات في رويته العقائديه للاسلام و نبوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم التي كان يراها لباقه شخصيه، و ذكاء اتاح له صلى الله عليه و آله و سلم ان يحكم الجزيره العربيه، و يصبح ملكا عليها، و لا علاقه لذلك بوحى و لا سماء. فهو بنظر إلى الاشياء بنفس المحتوى المادى الكامن في اعماقه و تشكلت منه شخصيته الحقيقه، و يفسرها كذلك بنفس التفسير المادى المركوز في اعماقه.**

**و من الناحيه الاخرى كان الإمام علي عليه السلام عند وصوله إلى الخلافة بحاجه إلى الاستقرار السياسى الذي يحقق له القدره على ممارسه دوره بشكل يحكم بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الانجيل بانجيلهم، و بين أهل اقرآن بقرانهم، فكيف يمكن ان يتم ذلك و قد ورث عليه السلام مشاكل معقده كان من اهمها و اخطرها الوجدات الملحده، المومنه بالاسلام ظاهرا لمنكره له واقعا، هل يمكن بهولاء ان يحقق الهدف الاسلامى الكبير بتطبيق حكم الله عز و جل كما يريد، ام لابد من عزلهم و تطهير التشكيل القيادى الاسلامى منهم! و لعلاج هذه المشكله لم تكن الخيارات لديه كثيره، فهو اما ان يقبل بالامر الواقع، هذا الامر الذي كان يقتضى ان يبقى كل شيء على ما كان ريثما تتاح الفرصه المناسبه لعمليه التغيير، و هو ما كان اصحاب علي عليه**

**السلام يرونه صحيحا من زاويه حرصهم على الاسلام و حبهم لعلي عليه السلام فقد جاء في الكامل لابن الاثير:**

**و قال ابن عباس: اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودى من مكه فوجدت المغيره بن شعبه مستخليا به فخرج من عنده فقلت له:**

**ماذا قال لك هذا؟**

**فقال: قال لى قبل مرته هذه «ان لك حق الطاعه و النصحيه، و انت بقيه الناس، و ان الراى تحرز به ما في غد، و ان الضياع بضيع به ما في غد، اقرر معاوية و ابن عامر و عمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيك بيعتهم و يسكن الناس، ثم اعزل من**

**شئت) فابيت عليه ذلك و قلت: لا اداهن في دينى، و لا اعطى في الدنيه امرى. قال:- يعنى المغيره بن شعبه- فان كنت ابيت على فانزع من شئت و اترك معاوية فان في معاوية جراه و هو في أهل الشام يستمع منه ولك حجه في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام. فقلت: لا واللّه لا استعمل معاوية يومين»(١٥.(**

**و اما الخيار الاخر فهو القيام بعزل معاوية بن ابى سفيان مع تحمل كافه النتائج السلبيه التي ستترتب عليه و التي من اهمها التضحيه بالاستقرار السياسى الذي كان علي عليه السلام بامس الحاجه اليه.**

**و لم يتردد سلام اللّه عليه في اتخاذ قرار العزل فقد ارسل كتاب العزل مع سيره الجهنى فسلمه الكتاب فلم يزد معاوية على قوله:**

**أدم إدامة حصن أو خذا بيدى *** حربا ضروسا تشب الجزل و الضرما**

**فى جاركم و ابنكم اذ كان مقتله *** شعناء شيبت الاصداغ و اللمما**

**اعيا السمود بها و السيدون فلم *** يوجد لنا غيرنا مولى ولا حكما**

**حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعى معاوية رجلا من بنى عبس يدعى قبيصه فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه- من معاوية إلى على- و قال له اذا دخلت المدينه- إلى ان قال- فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن انا؟ قال:نعم ان الرسول لا يقتل.**

**قال: ورائى انى تركت قوما لا يرضون الا بالقود.**

**قال: ممن؟**

**قال: من خيط رقبتك...)(١٦.(**

**و هكذا تسببت السياسة المبدايه الحازمه لعلي عليه السلام لتطهير الخلافة الاسلاميه و مصدر القرار من هذه العناصر في خلق معارضه من السياسيين المتمرسين لم يكن من**

السهل تجاوزهم من دون دفع ثمن باهظ. و هو ما حدث له عليه السلام بعد ان تولى الخلافة اثر مقتل عثمان بن عفان حيث توالت عليه الفتن من كل جانب و صوب.

و لم يكن عليه السلام غافلا عن كل تلك المشاكل بل كانت رؤيته واسعه الافق، مستوعبه لكل تفاصيل الحاله المستقبليه لما يمكن ان يقع له، ليس فقط من خلال المنظور الغيبى الذي اخبره به النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و انما ايضا من خلال تقييمه للواقع و علمه بكل تفاصيله، و معرفته بسنن التاريخ و قوانينه.

ففى اطار الرؤيه الغيبيه لما سيقع له بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول عليه السلام:

)ان مما عهد إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان الامة ستغدر بي بعده)(١٧.(

و يقول ايضا:

)قال لى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان الامه ستغدر بك بعدى، وانت تعيش على ملتى و تقتل على سنتى، من احبك احبنى، و من ابغضك ابغضنى، و ان هذه ستخضب من هذا- يعنى لحيته من راسه-)(١٨.(

و جاء في كنزالعمال عن علي عليه السلام ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اجهش بالبكاء يوما فقال له علي عليه السلام: يا رسول اللَّه ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور اقوام لا يبدنهوها لك الا من بعدى. قلت: يا رسول اللَّه في سلامه من دينى؟ قال: في سلامه من دينك)(١٩.(

و هذا يجعلنا نجزم ان كل الاسباب التي ذكرناها كمشاكل و اجهت علي عليه السلام منذ بدايه خلافته كانت في روحها سابقه على مرحله ما بعد الاستخلاف المباشر للنبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يعلم ذلك و اخبر عليا به كما هو واضح من الكثير من الصنوص التي سبق ذكرها. و هذا الامر جعل النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يحتاط في اتخاذ كل ما يمكن من اساليب و وسائل لتكريس مفهوم استخلاف علي عليه السلام من بعده.

و من هذا المنطق جاءت خطوات الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لتتخذ شكلا متميزا في اطار الاستخلاف المباشر له و ذلك بتهيئه الزهراء عليهاالسلام لتقود المسيره السياسيه في مهمه واضحه تتمثل اولا: بالتاكيد على ان عليا هو الخليفه الشرعى للرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و ثانيا: ان كل كيان سياسى، أو خيار قيادى حتى لو كان منتخبا من قبل الامه- ان كان وقع انتخاب-يتجاوز عليا عليه السلام

إلى غيره يعتبر غير شرعى. و هذا ما سوف نلمسه في كلمات الزهراء و خطاباتها بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

## مرحلة المواجهة

### لماذا فاطمه؟

و قد يطرح هذا السوال نفسه: لماذا اختار الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم ابنته فاطمة عليهاالسلام لهذه المهمه؟

و الحقيقه ان هناك اكثر من مبرر لهذا الاختيار، و اكثر من سبب يدعو لذلك، و سنقتصر على بعضها:

-1كون الزهرا عليهاالسلام بنت لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و وريثته و ذكراه و امتداده في الحياه، و شبيهته في خلقه و خلقه، و ما توفر في شخصيته من سمات ابيها و ما كان يحمله صلى اللَّه عليه و آله و سلم من خصائص انفرد بها عن الخلق اجمعين. هذه الخاصيه اكسبتها زخما عاطفيا كبيرا. و كان المفروض ان يتيح لها ذلك تاثيرا فعالا على شرائح كبيره من المجتمع، يهيئهم روحيا و نفسيا لتقبل ما تقوله الزهراء عن مستقبل الدعوه الاسلاميه بعد وفاه النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ما كان قد خطط للخليفه المقبل.

و على صعيد الواقع حينما تبنت الزهرا عليهاالسلام الدفاع عن حق علي عليه السلام في الخلافة، فخرجت إلى المسجد، و خاطبت المسلمين بما هو معروف تاريخيا- و سنذكر بعضه فيما بعد- احدثت هزه عنيفه في نفوسهم مما دعى الخليفه الثاني لاستعمال اللين و العاطفه في تعامله معها في بدايه الامر، و الشده و الخشونه بعد ان اصبح تاثيرها غير متحمل، و هددت حركتها الوضع السياسى القائم بعد ان أو شك الانصار على

الثوره ضد الخليفه اثر خطاب لها في مسجد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و سياتى توضيح ذلك.

-2ان الزهرا عليهاالسلام تمثل القدر المتيقن المتفق على قبوله في كل اوساط الامه كاطهر و انقى و اتقى من يعرف المجتمع المدنى من النساء و الرجال، فهى سيده نساء الدنيا و الاخره، فهل يرقى إليها الريب، أو تشوب دعواها الشكوك، و هى التي طالما تحدث عنها المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم من على منبره، أو في

مسجده، أو بين اصحابه. و هل يعقل ان لا تكون كذلك و هى التي قرن اللَّه عز و جل رضاه برضاها و سخطه بسخطها، و اذا كانت السياسه قد حولت حسنات علي عليه السلام إلى سيئات، و موافقه الكريمه في خدمه الاسلام و تضحياته البجاره في سبيل ذلك إلى تبعات، يجب ان يدفع ثمنها بمجرد موت النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فان ما كان يواخذ به علي عليه السلام لا يرد على الزهرا عليهاالسلام، و لا يمكن لمعارضى علي عليه السلام وصفها بكل ما عوقب عليه علي عليه السلام، و لم نجد للسلطه من حجه عليها في كل فصول معارضتها لايبى بكر وعمر سوى قول بعضهم بانها زوجه علي عليه السلام، فهى تجر النار إلى قرصها، و ما سوى ذلك فان المعارضه و جمت و عجزت عن المساس بصحه موقف الزهراء، أو التشكيل بمصداقيتها.

-3الشجاعه الفريده التي اتسمت بها و التي اتاحت لها ان تقف بوجه الخلافة موقفا حازما، بل في على مراتب الحزم، في حين لم يفعل ذلك الكثير ممن كان إلى جانب علي عليه السلام أو من كان غير مقتنع بما وقع من استخلاف بعد النبى.و لو لا حظنا حركه المسيره الفاطميه بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لتجلى لنا ذلك بوضوح.

من الموكد ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم كان يعرف سجايا الزهراء و التي منها الشجاعه، التي كانت مهمه الاستخلاف بحاجه كبيره لها. و ما يوكد هذا الموضوع الحاقئق التاريخيه الكثيره التي اعطت صوره عن الاجواء الامنيه و السياسيه التي سبقت أو اعقبت بيعه الخليفه الثاني، والتى توكد ان العنف كان هو المنطق السائد، مما ادى إلى امتناع الكثيرين من اتخاذ مواقف تناسب الحدث و خطورته.

-4احاطه الزهراء الكامله بموضوع الاستخلاف من جانبين، الجانب الاول اهميه ان يكون علي عليه السلام هو الخليفه المباشر بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و التثاير الايجابى لذلك على مستقبل الاسلام، و انه السبيل الوحيد لضمان سلامه المسيره الاسلاميه تشريعيا و فكريا و سياسيا. و الجانب الثاني خطوره الاوضاع التي ستنتج بسبب ابعاده عن الخلافة، و تاثيرها على مسيره الاسلام و حركته في الحياه.

و نحن لانشك ان الزهرا عليهاالسلام قد واكبت حركه الرسول الاعظم صلى اللَّه عليه و آله و سلم في مهمه الاعداد لاستخلاف علي عليه السلام مواكبه تفصيليه، و تعرفت على اهميه الموضوع و خطورته، فكان من الطبيعى ان تتبنى هذا الموضوع و تدافع عنه دفاع العارف باهميته، المدرك لضرورته.

و على هذا الاساس يكون اختيار فاطمة عليهاالسلام امرا طبيعيا، بل يمكن ان نقول ان اختيارها لهذا الدور تفرضه اكثر من ضروره. و سنرى فيما بعد انها هى التي استطاعت ان تحدد معالم الطريق الحق بالنسبه لموضوع الاستخلاف بعد النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

## الزهراء الدليل الحسى على شرعيه الخليفه و الخلافة

من خلال جميع ما تقدم نصل إلى حقيقه تقول: ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد نص على تنصيب علي عليه السلام من بعده، وهيى ء كل اسباب تمكينه من ذلك سواء من ناحيه بناء شخصيته القياديه و ما تستلزمه من علم و معرفه و خبره، أو من ناحيه تمهيد الأرضيه المناسبه لتمكينه من ممارسه دوره القيادى.

و كان صلى اللَّه عليه و آله و سلم يعلم ان النص الشرعى، أو ما يسمى ب-(الدليل اللفظى) يمكن بسهوله تجاوزه أو تحديه بمختلف المبررات، لان قضيه الحكم و الخلافة بما فيها من اغراءات ماديه و معنويه، أو على احسن التقادير بدوافع صالحه ولكنها غير صحيحه لتجاوز الدليل اللفظى، كالحرص على وحده الامه، و عدم تفرقها و امثال ذلك، هذه الامور تفرض اتخاذ وسائل اكثر فاعليه على تكريس واقع النص

و تحويله إلى ما يشبه المعلم المادى الذي لا يمكن ان يبدد محتواه بالمبررات التي تواجه الدليل اللفظى، و من هنا جاء التاكيد على الزهرا عليهاالسلام لتاخذ طابعا متميزا من خلال النصوص التي قرن اللَّه رضاه برضاها و سخطه بسخطها، لتكون هى الدليل و المعلم على مشروعيه الحاكم و الحكم، فموقفها و قولها لا يقبل التبرير و التاويل باى شكل من الاشكال لانها في وضعيه المباشر لما يجب ان يكون، فاما ان يقبل اولياء الامر قولها بان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم اوصى بالخلافة لعلي عليه السلام، و يذعنوا بذلك، و هو ما كان يتوخاه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و اما ان يكذبوا الزهرا عليهاالسلام باى نحو من الانحاء فتسخط عليهم، و معنى سخطها ان اللَّه عز و جل هو الذي سخط عليهم، فكيف يقيم شرع اللَّه من سخطاللَّه عليه؟ و كيف يوتمن على دين اللَّه و معالم شريعته من غضب اللَّه عليه؟ و هل الدين الا الطاعه الخالصه له سبحانه و تعالى؟ (فلا و ربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما)(٢٠.)

فهل يمكن- على ضوء ذلك- ان تعتبر الحكم حكما شرعيا صالحا، و الحاكم خليفه اللَّه في ارضه و وليا للمسلمين له حق الطاعه عليهم و رب العالمين عليه ساخط؟.

**و لا نستغرب هذا اللون من الاستدلال بعد ان نص عليه القرآن، بل هو من صميم المنهج القرآنى في تاكيد المبادى و القيم، و مدى تفاعل الامم معها، و في النهايه تمييز الخط الصحيح من الخط المنحرف.**

**و لعل من ابرز تطبيقات هذا المنهج ما ذكره عز و جل من قصه طالوت قال سبحانه:**

**)فلما فصل طالوت بالجنود قال ان اللَّه مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى و من لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفه بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو و الذين امنوا معه قالوا لا طاقه لنا اليوم بجالوت و جنوده قال الذين**

**يظنون انهم ملاقوا اللَّه كم من فئه قليله غلبت فئه كثيره باذن اللَّه واللَّه مع الصابرين)(٢١.(**

**و خلاصه القصه ما ذكره القرطبى في تفسسيره قال: قال وهب بن منبه: فلما فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع اللَّه ان يجرى لنا نهرا، فقال لهم طالوت: ان اللَّه مبتليكم بنهر، و كان عدد الجنود- في قول السدى- ثمانين الفا.**

**و قال وهب: لم يتخلف عنه الا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض.**

**و معنى هذا الابتلاء انه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه مطيع فما عدا ذلك، و من غلبت شهوته في الماء و عصى الامر فهو في العصيان في الشدائد احرى، فروى انهم اتوا النهر و قد نالهم عطش و هو في غايه العذوبه و الحسن، فلذلك رخص للمطيعين في الغرفه ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع و ليكسر و انزاع النفس في هذه الحال. و بين ان الغرفه كافه ضرر العطش عند الحزمه الصابرين على شظف العيش اللذين همهم في غير الرفاهيه... و انما وقع هذا الابتلاء ليتميز الصادق من الكاذب...)(٢٢.(**

**فما معنى ان يجعل الموشر الحقيقى للايمان غرفه من ماء، اليس هو موشر مادى حسى لمعرفه المومن من غيره، أو المطيع من العاصى فما المانع من ان تكون الزهراء بنت رسول اللَّه التي يرضى اللَّه لرضاها و يسخط لسخطها الموشر الحسى الحقيقى لكون المسيره السياسيه بعد ابيها تسير في الاتجاه الصحيح أو الضال؟**

**وتطبيق آخر للمنهج في قوله تعالى:**

**)و اذ قلنا ادخلو هذه القريه فكلوا منها حيث شئتم رغدا و ادخلوا الباب سجدا و وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين)(٢٣.(**

**فى هذه القضيه جعل اللَّه عز و جل دخول الباب، مع قول (حطه)- اى اللهم حط عنا الذنوب و اغفرها- الموشر الحقيقى للايمان. قال القرطبى في تفسيره:**

قلت يحتمل ان يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه، و هو الظاهر من الحديث. روى مسلم عن ابى هريره قال قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطه يغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاهم و قالوا حبه في شعره...

و قال: و كان قصدهم خلاف ما امرهم اللَّه به فعصوا و تمردوا و استهزءوا، فعاقبهم اللَّه بالرجز و هو العذاب...)(٢٤).

و الباب الذي امروا بدخوله كما قال القرطبى: هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم ب- (باب حطه) أو باب القبه التي كان يصلى إليها موسى و بنواسرائيل.

و روى عن ابى سعيد الخدرى قال: سمعت النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: انما مثل أهل بيتى فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق، و اما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطه في بنى اسرائيل من دخله غفر اللَّه له)(٢٥).

و كذلك قوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم فيما اخرجه الدار قطنى عن ابن عباس قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم على بن ابى طالب باب حطه من دخل منه كان مومنا و من خرج منه كان كافرا)(٢٦).

و ينطبق على ما نحن فيه ايضا التمثيل بسفينه نوح عليه السلام التي ركبها المومنون و ابى ذلك الكافرون فكانت هى المقياس أو الموشر على صحه الطريق و سلامه المسير.

و بعد ذلك نقول هل يعنى دخول (باب) غير اعتباره الدليل الحسى على الايمان و الاذعان، فلما ذا لا يكون رضا حبيبه المصطفى عليه السلام هو الموشر الحقيقى الصادق على وجهه الخلافة بعد وفاه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم هل تسير في الاتجاه الصحيح اولا خاصه

و ان الزهراء في قيمتها الدينيه و مكانتها عند اللَّه عز و جل و عند رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم اعظم خطرا و اكبر شانا من باب أو نهر أو سفينه، و كيف لا و هى بضعه المصطفى و روحه التي بين جنبيه، و شجنه من النبوه فهى الدليل الحى، و الحق الذي يمشى و يتكلم بلسان النبوه و عبقها، ذخرها ابوها لتكمل مسيره الاسلام من بعده، فخملت بامانه مهمه من اصعب المهام، و التي تمثلت بتثبيت خط الإمامة و ارساء قواعدها.

## اداء الامانه

مرض النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في صفر من سنه احدى عشره من الهجره، و كان قد امر بتجهيز جيش اسامه بن زيد إلى البلقاء في الاردن، و اهتم بتسير الجيش و لعن من تخلف عنه، على التفصيل المذكور في كتب الحديث و السيره.

و كان صلى اللَّه عليه و آله و سلم قد تنبا بما سيقع بعد وفاته فذهب إلى البقيع فقال:

السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنكم ما اصحبتم فيما مما اصبح الناس فيه، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولها آخرها.

ثم قال لاصحابه: «ان جبريل ان يعارضنى القرآن في كل عام مره، و قد عارضنى به العام مرتين، فلا اراه الا لحضور اجلى»(٢٧.(

فلما اشتد به المرض طلب ان يقربوا له دواه و كتف، ليكتب لهم كتابا لن يظلوا بعده ابدا. فاراد صلى اللَّه عليه و آله و سلم عن يحسم امر الخلافة كما اشار إلى ذلك عمر بن الخطاب فاختلف الصحابه و تباينوا في طاعته، و قد تقدم تفاصيل بعض ذلك فيما سبق.

و مرت الايام ثقيله كئيبه على أهل البيت صلوات اللَّه و سلامه عليهم، فما هى الا ايام قليله حتى التحق اكرم رسول اللَّه في الأرض بالرفيق الاعلى، بعد ان جاهد في اللَّه حق جهاده، و انقذ الامه من شفا جرف هار، فجعلها خير امه اخرجت للناس.

و جاءت الساعه الاليمه ليختار الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم لقاء ربه و جوار رحمته. و يصف

لنا اميرالمومنين عليه السلام تلك اللحظات فيقول:

»و لقد قبض رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ان راسه لعلي بصدري و قد سالت نفسه في كفي، فامررتها على وجهي و لقد وليت غسله صلى اللَّه عليه و آله و سلم و الملائكه اعواني، فضحت الدار و الافنيه، ملأ يهبط و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعي هينمه منهم، يصلون عليه حتى وارياناه في ضريحه، فمن ذا احق به مني حيا و ميتا.«

ثم قام صلوات اللَّه عليه بتابينه بابلغ ما يكون من الوصف و الثناء و التبجيل فقال:

»بأبي أنت وأمي، طبت حيا و طبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد ممن سواك من النبوه والانباء.

و لولا انك امرت بالصبر، و نهيت عن الجزع لا نفذنا عليك ماء الشوون، ولكان الداء مماطلا، و الكما محالفا و قلا لك، و لكنه ما لا يملك رده و لا يستطاع دفعه. بابى انت و امى ذكرنا عند ربك، و اجعلنا من بالك»(٢٨.(

**و قبل ان يدفع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم انقسم الصحابه إلى قسمين: القسم الاول كان مع علي عليه السلام، و هم القله الذين و اسوه في مصابه، و شاركوه في تجهيز نبيهم صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و القسم الثاني: ذهبوا إلى سقيفه بنى ساعده ليختاروا الخليفه الذي سيتولى الامر بعده صلى اللَّه عليه و آله و سلم على التفصيل المذكور و المعروف في كتب الروايه و التاريخ، و الذي لا حاجه إلى ذكره هنا بتفاصيله و انما سنذكر فقط ما تمس الحاجه إليه توخيا للاختصار.**

**و خلاصه ما وقع على ما يروى ابن أبي الحديد عن البراء بن عازب قال:**

**لم ازل لبنى هاشم محبا، فلما قبض رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم خفت ان تتمالا قريش على اخراج هذا الامر عنهم، فاخذنى ما ياخذ الواله العجول، مع ما في نفسى من الحزن لوفاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، فكنت اتردد إلى بنى هاشم و هم عند النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم في**

**الحجره، و اتفقد وجوه قريش، فانى كذلك اذ فقدت ابابكر و عمر، و اذا قائل يقول: ان القوم في سقيفه بنى ساعده. و اذا قائل آخر يقول: قد بويع ابوبكر.**

**فلم البث و اذا انا بابى بكر قد اقبل و معه عمر و ابوعبيده و جماعه من اصحاب السقيفه، و هم محتجزون بالازر الصنعانيه لا يمرون باحد الا خبطوه و قدموا فمدوا يده فمسحوها على يد ابى بكر يبايعه، شاء ذلك أو ابى. فانكرت عقلى و خرجت اشتد حتى انتهيت إلى بنى هاشم، والباب مغلق، فضربت علهم الباب ضربا عنيفا و قلت: قد بايع الناس لابى بكر بن ابى قحافه. فقال العباس: تربت ايديكم إلى آخر الدهر، اما انى قد امرتكم فعصيتمونى.**

**فمكثت اكابد ما في نفسى، و رايت في الليل المقداد و سلمان و اباذر و عباده بن الصامت و ابا الهيثم بن التيهان و حذيفه و عمارا و هم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين.**

**و بلغ ذلك ابابكر و عمر فارسلا إلى ابى عبيده و إلى المغيره بن شعبه، فسالا هما عن الراى، فقال المغيره: الراى ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الامره نصيبا. ليقطعوا بذلك ناحيه على بن ابى طالب.**

**فانطلق ابوبكر و عمر و ابو عبيده و المغيره حتى دخلوا على العباس، و ذلك في الليله الثانيه من وفاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فمحمد ابوبكر اللَّه و اثنى عليه و قال:**

**ان اللَّه ابتعث لكم محمدا صلى اللَّه عليه و آله و سلم نبيا، و للمومنين وليا، فمن اللَّه عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس امورهم ليختاروا لانفسهم متفقين غير مختلفين، فاختارونى عليهم وليا، و لا مورهم راعيا فتلويت ذلك، و ما اخاف بعون اللَّه و تسديده و هنا و لا حيره و لا جبنا، و ما توفيقى الا باللَّه عليه توكلت واليه انيب، و ما انفك يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامه المسلمين، يتخذكم لجا فتكونوا حصنه المنيع، و خطبه البديع، فاما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا اليه، فقد جئناك و نحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيبا**

**و لمن بعدك منعقبك اذ كنت عم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ان كان المسلمون قد راوا مكانك من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و مكان اهلك، ثم عدلوا بهذا الامر عنكم، و على رسلكم بنى هاشم فان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم منا و منكم.**

**فاعترض كلامه عمر، و خرج إلى مذهبه في الخشونه و الوعيد و اتيان لامر من اصعب جهاته فقال:**

**اى واللَّه، و اخرى انا لم ناتكم حاجه اليكم، ولكن كرهنا ان يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم و بهم فانظروا لانفسكم و لعامتهم. ثم سكت.**

**فتكلم العباس فحم اللَّه واثنى عليه ثم قال: ان اللَّه ابتعث محمدا نبيا كما وصفت، و وليا للمومنين فمن اللَّه به على امته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس على امرهم ليختاروا لانفسهم، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى، فان كنت برسول اللَّه طلبت فحقنا اخذت، و ان كنت بالمومنين فنحن منهم، ما تقدمنا في امركم فرطا، و لا حللنا وسطا، و لا نزحنا شطحا، فان كان هذا الامر يجب لك بالمومنين، فما وجب اذ كنا كارهين و ما ابعد قولك انهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك، و اما ما بذلت لنا فان يكن حقك اعطيتناه فامسكه عليك، و ان يكن حق المومنين لك ببعضه دون بعض، و ان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض. و ما اقول هذا اروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجه نصيبها من البيان و اما قولك: ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم منا و منكم، فان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من شجره نحن اغصانها و انتم جيرانها. و اما قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه اول ذلك و باللَّه المستعان)(٢٩.(**

**على كل حال فقد افلزت احداث الساعات القليله التي تلت وفاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم البيعه لابى بكر، و ابعاد علي عليه السلام عن الخلافة و الحكم، و عن حقه الشرعى في اكمال المسيره النبويه المقدسه بعد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**و لم تكن الخيارات كثيره امامه، فهواما ان يترك جثمان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم مسجا من دون ان يقوم بما يجب من تغسيل و تكفين، و ما يليق برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من احترام و تقديس، و يدخل معترك الصراع السياسى في امر الخلافة و الحكم.**

**و اما ان يستعمل القوه و العنف و اراقه الدماء، و حينئذ ماذا ستكون النتيجه؟ستكون معركه غير متكافئه اولا، و صدمه للتجربه الاسلاميه الجديده التي يهددها ما لا يصحى من الاخطار.**

**و قد تجنب عليه السلام كل ذلك لانه يتناقض و يتنافى مع المبادى التي آمن بها صغيرا، و نشا عليها و عاشها كبيرا، فهل يسمح ايمان على و قلبه بترك رسول رب العالمين مسجى ليذهب وراء الخلافة و الحكم؟ و هل علي عليه السلام الا هذه القيم و المبادى؟ يقول عليه السلام:**

**)اكنت اترك رسول اللَّه ميتا في بيته لا اجهزه و اخرج إلى الناس انازعهم سلطانه)(٣٠.(**

**ثم هل من المعقول ان يلحا إلى القوه و الاكراه و العنف و الشده، و هو يعلم ان اول مقومات الخلافة الرشيده هو ايمان الامه بها، ايمانا حقيقيا يوهلها لممارسه دورها باخلاص و تفانى، لانها امه تحمل اعظم رساله للانسانيه كلها، فهل يمكن لامه مقهوره فارغه تماما من المحتوى الاسلامى ان تحكم نفسها أو تحكم العالم بغير القهر و الرعب و الخوف يقول عليه السلام: «و انى لعالم بما يصلحكم، و يقيم اودكم، ولكنى واللَّه لا ارى اصلاكم بافساد نفسى»(٣١.(**

**و يقول كذلك:**

**)لقد علمتم انى احق الناس بها من غيرى و واللَّه لاسملن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا على خاصه التماسا لاجر ذلك و فضله و زهدا فيما تنافسوه من زخرفه و زبرجه) و هل يمكن لعلي عليه السلام ان يساوم على حساب دينه و قيمه، و على حساب بيت مال المسلمين و حقوقهم السياسيه و الاجتماعيه، فيتقاسم النفوذ و الحكم فيعطى هذا ولايه ليرضى، و يهب لذاك ثغرا ليسكت، و يفرغ بيت المال في**

جيوب اصحاب النفوذ و اللسان ليكونوا معه في سبيل تحقيق مكاسب شخصيه زائله، و هو الذي يقول لعبدالله بن عباس و كان عليه السلام يخصف نعله ما قيمه هذا النعل؟ فقال له: لا قيمه لها، لقال عليه السلام والله لهى احب إلى من امرتكم، الا ان اقيم حقا، أو ادفع باطلا.

اجل ليس بوسع علي عليه السلام ان يفعل ذلك، و لو اراد ان يفعل لقدر، فكل من يعرف علي عليه السلام و تاريخه يدرك انه لو اراد ان يستعمل القوه الشخصيه الفرديه لا طاح بكل المستبطلين الذين انتزعوا الخلافة منه، اليس هو الذي يقول: والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، و لو امكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها و يقول: انى والله لو لقيتهم واحدا و هم مطلاع الأرض كلها ما باليت و لا استوحشت)(٣٢.(

فمن يرقى إلى شجاعه على غقاتل الابطال و الشجعان، و كاشف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و رجل المواقف الصعبه، و كل هولاء الصحابه خبروا عليا في بدر و احد و الاحزاب، و كل المعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إلى جانبه علي عليه السلام، و كلها تشهد ان المواقف الفرديه لعلى، و البطوله الرائعه التي ميزنه هى التي تقلب الموازين، و تحدد نهايه المعارك إلى صالح الاسلام، فمن يمكن ان يقف امامه لو اراد، و ما قيمه بضعه افراد امام يد في كفها ذوالفقار، لولا كتاب سبق، و وصيه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالصبر على استعمال القوه حرصا منه على الاسلام و مسيرته من الانحراف. يقول له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الامه ستغدر بك بعدى فيقول له: في سلامه من دينى، فيقول له: نعم في سلامه من دينك. و يجهش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالبكاء فيقول له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فيقول له: ضغائن في صدور رجال عليك لن يبدوها لك الا من بعدى(٣٣.(

و كان الخيار الاخير ان يستعمل منطق الانبياء و وحى السماء، فيستعمل الحجه تلو الحجه، و النصيحه تلو النصيحه، و يذكرهم بما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اوصاهم به.

فحرى بامه محمد صلى الله عليه و آله و سلم ان تفى له بالوصيه، بعد ان و في لها بالنصيحه. و هنا جاء دور الزهرا عليهاالسلام، بضعه المصطفى و روحه التي بين جنبيه، تفوح منها رائحه النبوه التي كانت الامه بالامس القريب تشمها من رسولها صلى الله عليه و آله و سلم، هذه بضعته و ريحانته التي شابهته في خلقه و خلقته و

صدق لهجته، جاءت لتكون الدليل الحى على ان الخلافة كمسوليه لعلى دون سواه، و ان الخلافة القائمه ليس لها نصيب من الشرعيه.

## حجه اللّٰه بعد ابيها

و كما ذكرنا فقد تمخضت اجتماعات السقيفه عن تعيين ابى بكر، و جر الناس إلى بيعته، على نحو المذكور في كتب السيره و التاريخ:

و رسم لنا اميرالمومنين علي عليه السلام صوره تنبض بالحياه و الحيويه لتلك البيعه، و موقفه منها فقال في خطبته الشقشقيه:

اما واللّٰه لقد تمصها ابن ابى قحافه، و انه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحا، ينحدر عنى السيل، و الا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، و طفقت ارتئى بين اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها المومن حتى يلقى ربه، فرايت ان الصبر على هاتا احجى، فصبرت و في العين قذى، و في الحلق شجا، ارى تراثى نهبا(

و كان لعمر بن الخطاب الدور الاكبر في تحقيق البيعه و تكريس الخلافة لابى بكر، يقول ابن أبي الحديد:

»عمر هو الذي شيد بيعه ابى بكر، و رقم المخالفين فيه فكسر سيف الزبير لما جرده، و دفع في صدر المقداد، و وطى ء في السقيفه سعد بن عباده، و قال: اقتلو سعدا قتل اللّٰه سعدا، و حطم انف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفه: انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب. و توعد من لجا إلى دار فاطمة عليهاالسلام من الهاشميين و اخرجهم منها. و لولاه لم يثبت لابى بك امر، ولا قامت له قائمه»(٣٤.(

و امتنع علي عليه السلام مع عدد من الصحابه عن بيعه ابى بكر، و جلسوا مع علي عليه السلام في دار فاطمه، و قاطعوا مجالس القوم و ندواتهم، فسال ابوبكر فقال: اين الزبير؟ فقيل عن دعلى و قد تقلد سيفه فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تاتيانى بهما.

فانطلقا، فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف فقال: نبايع عليا، فاخترطه عمر فضرب به حجرا فكسره، ثم اخذ بيد الزبير فاقامه ثم دفعه و قال: يا خالد دونكه فامسكه، ثم قال لعلى: قم فبايع لابى بكر، فتلكا و احتبس، فاخذ بيده و قال: قم فابى ان يقوم، فحمله و دفعه كما دفع الزبير فاخرجه.

**ورات فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجره و قالت: يا ابابكر ما اسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول اللّٰه! واللّٰه لا اكلم عمر حتى القى اللّٰه(٣٥))(٣٦).(**

**و من هذه اللحظه بدات الزهرا عليهاالسلام مسيرتها الجهاديه، لانها حجه اللّٰه، فكان لابد من ان تلقى الحجه، و لابد ان تقوم بالدور الذي رسمه لها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و هو دور من اهم الادوار في تاريخ الاسلام كما سنرى.**

**عملت الزهرا عليهاالسلام على محاور ثلاثه ميزت حركتها:**

**المحور الاول و تمثل بدعوه المهاجرين و الانصار للوقوف إلى جانب علي عليه السلام، و اختياره خليفه لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم في الحكم.**

**و المحور الثاني و تمثل بتنبيه الامه على ان الحكم الحالى لا يتمتع بالشرعيه التي تمكنه من قياده الامه و مواصله المسيره بعد رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم.**

**و المحور الثالث يتمثل باتخاذ موقف سلبى من شخص الحاكم بالذات و المجتمع المدنى عموما. و سنستعرض المحاور الثلاثه فيما يلى:**

---

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٩٧:٢.

2- المصدر السابق ص ٢٠٠.

3- المصدر السابق ص ٢٠٠.

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- المصدر السابق ص ٢٠٣.

7- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٤٤:١٤.

8- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٣٣٨:١.

9- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٣١٤:٦.

10- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٤:١.

11- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٩٠:١.

12- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٤٥:٢.

13- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٤٤:٢.

14- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢:٤٥.

15- الكامل لابن الاثير ج ٣:٨٦.

16- الكامل في التاريخ ج ٣:٩٣.[

17- مستدرك الصحيحين ج ٣:١٤٠.

18- مستدرك الصحيحين ج ٣:١٤٢.

19- كنزالعمال ج ٦:٤٠٨.

20- النساء ٦٥.

21- سوره البقره:٢٤٩.

22- تفسير القرطبى ج ٣:٢٥٠.

23- سوره البقره:٥٨.

24- تفسير القرطبى ج ١:٤١١؟[

25- مجمع الهيثمى ج ٩:١٦٧.

26- الجامع الصغير للسيوطى ج ٢:٥٦ اليمنيه بمصر، و الصواعق المحرقه ص ٧٥ ط اليمينه بمصر.

27- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٠:١٨٣.

28- نهج البلاغه الخطبه رقم ٢٣٥.

29- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١:٢١٩.

30- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٦:١٣.

31- نهج البلاغه الخطبه رقم ٦٨.

32- نهج البلاغه الخطبه رقم ٦٨.

33- كنزالعمال ج ٦:٤٠٨ ط دائره المعارف النظاميه.

34- شرح نهج البلاغه ج ١:١٧٤ ط دار احياء الكتب العربيه.

35- ان النصوص التي تحكى هذه الحادثه كثيره جدا، و هى غالبا تنفق من حيث المضمون، و قد تختلف من حيث اللفظ، و مان لابد من الاقتصار على نموذج واحد منها فان ذكرها جميعا يخل بالاختصار، كما ان انتقاء مقاطع معينه من هذا النص أو ذاك قد يخل بالموضوعيه فتركته لذلك لمن شاء فليراجع شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢:٥٦ و ما بعدها.

36- نهج البلاغه الخطبه ج ٢:٥٦.

## المحور الاول: الدعوه للوقوف إلى جانب على

كان الدور الاول للصديقه الكبرى: دعوتها المهاجرين و الانصار للوقوف إلى جانب علي عليه السلام حتى بعد ان تمت البيعه لابى بكر، فقد روى ابن أبي الحديد عن احمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: ان عليا حمل فاطمة على حمار، و سار بها ليلا إلى بيوت الانصار يساله النصره، و تسالهم فاطمة الانتصار له.فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللَّه قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق الينا ابابكر ما عدلنا به. فقال على: اكنت اترك رسول اللَّه ميتا في بيته لا اجهزه و اخرج إلى الناس انازعهم في سلطانه؟! و قالت فاطمه: ماصنع ابوحسن الا ما كان ينبغى له، وصنعوا هم ما اللَّه حسبهم عليه)(١.(

و في روايات اخرى كان يصحبها الحسن و الحسين عليهم جميعا الصلاه و السلام، فكان تتمر على بيوتهم تدعوهم إلى نصره علي عليه السلام و الوقوف إلى جانبه.

و من الموكد ان الزهراء دعت المهاجرين و الانصار إلى ذلك، و لا كننا نتحفظ على بعض التفاصيل التي تتعلق باساليب الدعوه و اشكالها.

و الذي يجب ان نتنبه إليه هو ان حركه الزهرا عليهاالسلام لم تكن حلقه في حركه انتخابيه قادها علي عليه السلام لكسب الامه إلى جانبه، و انما كانت دعوه للثوره لاصلاح الامور و اعادتها إلى نصابها الصحيح، و مكانها الطبيعى.

و الملاحظ كذلك ان التاريخ اغفل التفاصيل المهمه لهذه الحركه اغفالا تاما، و حجم تاثيرها على الامه، باستثناء اشارات بسيطه، الان ان الزهرا عليهاالسلام كشفت عن الجو العام من خلال عده خطابات لها، بالرغم من ان خطاباتها لم تتضمن تفاصيل التحرك و انما حملت نتائج الحركه، و مواقف الامه منها، و قد تميزت خطاباتها بالصراحه التامه والشده و العنف، فلم تدع مجالات و سطى بل كانت حازمه و قويه في كل كلمه قالتها.

يروى ابن أبي الحديد قال: لما قبض رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم اقبلت فاطمة إلى ابى بكر في لمه من حفدتها و نساء قومها تطا ذيولها، ما تخرم مشيتها مشيه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم حتى دخلت على ابى بكر و هو في حشد من المهاجرين و الانصار و غيرهم، فنيطت- اى وصلت و علقت- دونها ملاءه، ثم انت انه اجهش لها القوم بالبكاء و ارتج المجلس، ثم امهلت هنيهه حتى اذا سكن نشيج القوم، و هدات فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد اللَّه عز و جل و الثناء عليه و الصلاه على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، ثم قالت:

)لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم) فان تعزوه تجدوه ابى دون آبائكم، و اخا ابن عمى دون رجالكم، فبلغ الرساله صادعا بانذاره مائلا عن سنن المشركين، ضاربا ثبجهم، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه، آخذا باكظام المشركين، يهشم الاصنام، و يفلق الها، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى- اى انشق- الليل عن صحبه، و اسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست شقائق الشياطين، و تمت كلمه الاخلاص، و كنتم على شفا حفره من النار، بهزه الطالع، و مذقه الشارب، و قبسه العجلان، و موطا الاقدام، تشربون الطرق- اى الماء الذي بولت الابل فيه- و تقتاتون القد، اذله خاسئين، يتخطفكم الناس من حولكم، حتى انقذكم اللَّه

برسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم بعد اللتيا و التى، و بعد ان منى بهم الرجال و ذوبان العرب ومرده أهل الكتاب (و كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها اللَّه) أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغره- اى فتحت فاها- قذف اخاه في لواتها، و لا ينكفى حتى يطا صماخها باخمصه، و يطفى عاديه لهبها بسيفه، مكدودا في ذات اللَّه، و انتم في رفاهيه فكهون آمنون و ادعون، حتى اذا اختار اللَّه لنبيه دار انبيائه، ظهرت حسيكه النفاق، و شمل جلباب الدين، و نطق كاظم الغاوين، و نبغ خامل الافكين، و هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، و لقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، و اخمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير ابلكم، و وردتم غير شربكم، هذا و العهد قريب، و الكل. رحيب، و الجرح لما يندمل، انما زعمتم ذلك خوف الفتنه (الا في الفتنه سقطوا و ان جهنم لمحيطه بالكافرين) فهيهات! و انى بكم، و انى توفكون، و كتاب اللَّه بين اظهركم، زواجره بينه، و شواهده لائحه، و اوامره واضحه.

ارغبه عنه تريدون؟ ام لغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا، (و من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الاخره من الخاسرين) ثم لم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها، تسرون حسوا في ارتغاء، و نحن نصبر منكم على مثل حز المدى...)(٢.(

فمن خلال الامعان في هذه الخطبه الشريفه نلاحظ ما يلى:

اولا- استطاعت عليهاالسلام ان تحشد زخما عاطفيا هائلا هيات فيه النفوس لدرجه عاليه من التلقى و الاذعان، فالانسان في مثل هذه الحاله يكون عاده اسرع إلى التقبل و التلقى، و كما تقول الروايه فانها عليهاالسلام (انت انه) و الانه تعبير عن الالم، و كان الحاضرون يعرفون انها اصدق الناس لهجه فلا يمكن ان تفتعل الحالات النفسيه

العاطفيه الكاذبه، و اما تعبر بانتها عن الالم و المراره التي تعيش في قلبها، بسبب سرعه رجوع الناس عن منهج المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و من الموكد ان المها ليس للميراث، و لا للخلافه كخلافه، فما القيمه الماديه لكل ذلك، و هى تعلم انها اول الناس لحوقا برسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و ماذا يمكن ان تجنيه ماديا ان صار علي عليه السلام خليفه!. نعم ما كان يولمها هو الاخطار التي ستحيق بمستقبل الاسلام، و ما سيتعرض له من كوارث هائله في حال عدم تمكن علي عليه السلام من استخلاف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و هذا ما يشهد له تاريخ الاسلام منذ يوم السقيفه و إلى اليوم.

و استطاعت ان تحرك الانصار فهتفوا باسم علي عليه السلام و بدات الامور تتخذ مسارا جديدا نحو تغيير الوضع السياسى، فيروى ان ابابكر لما سمع خطبتها شق عليه مقالتها، فصعد المنبر و قال:

»ايها الناس ما هذه الرعه إلى كل مقاله، اين كانت هذه الامانى في عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الا من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، انما هو ثعاله شهيده ذنبه- اى ثعلب يشهده له ذيله تشبيه لعلى و فاطمه!!- مرب لكل فتنه، هو الذي يقول: كروها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه، و يستنصرون بالنساء، كام طحال احب اهلها إليها البغى، الا انى لو شدت ان اقول لقلت، ولو قلت لبحت، انى ساكت ما تركت. ثم التفت إلى الانصار فقال: قد بلغنى يا معشر الانصار ماقله سفهائكم، و احق من لزم عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم انتم قد جاءكم فاويتم و نصرتم، الا انى لست باطلا يدا و لا لسانا على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليهاالسلام إلى منزلها.

يقول ابن أبي الحديد: قرات هذا الكلام على النقيب ابى يحيى جعفر بن يحيى بن ابى زيد البصرى و قلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم اسالك. فضحك و قال: بعلى بن ابى طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلا كله لعلى يقوله؟ قال: نعم انه الملك يا بنى)(٣. (

ثانيا- ذكرتهم بماضيهم القريب و ما كانوا عليه من تدهور عقائدى و اجتماعى و اقتصادى، و ما كان يحيق بهم من اخطار حقيقيه. فانقذهم اللَّه عز و جل بابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و همكلهم شهود على ما قالت، لانهم عاشوا و عاصروا تلك الفتره، فلا يمكن لاى منهم ان ينكر هذه الحقيقه. و ارادت بهذا ان توكد، على ان الذي بنى الامه و سجل لها هذا التاريخ، و شيد لها هذا الكيان، انما هو بيت النبوه الطاهر

بما فيه من بناه حقيقين في مقدمتهم على بن ابى طالب الذي قرورا عزله عن الساحه السياسيه بمختلف المبررات الواهيه، و لولا سيفه لما اخل اكثر هولاء الاسلام.

ثالثا- و جهت للجميع تهمه تحدى المبادى و القيم، و اتباع الشيطان (و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين و لقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا و احمشم فالفاكم غضابا) ثم قالت: «فهيهات و انى بكم، و انى توفكون و كتاب اللَّه بين اظهركم زواجره بينه و شواهده لائحه و اوامره واضحه ارغبه عنه تريدون ام ليغره تحكمون بئس للظالمين بدلا- من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الاخره من الخاسرين.«-

و رغم خطوره هذه الادانه لم نجد نصا يتحدث عن اعتراضهم عليها، خاصه و ان الكلام موجه للجميع بمن فيهم كبار الصحابه. لا يقال ان جلاله الموقف، و ما تتسم به شخصيه الزهراء من قدسيه منع الحاضرين من الاعتراض، فان الخليفه الاول اصر على منعها فدكا و الميراث و سهام الخمس لحديث سمعه وحده من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم دون باقى الصحابه، و هذا الامر اقل اهميه مما ادانتهم به عليهاالسلام فكان الاولى ان يعترض على ما ادانتهم به من الرده و الخيانه و النكوص عن الاسلام.

اضافه إلى ذلك فان من منع الزهراء مراثها عده قليله من الصحابه، و كانت طبيعه الامور تقتضى توجيه الكلام لهم فقط، ولكن مالا حظناه هو الشموليه المطلقه حتى للذين لا علاقه لهم بمنعها الميراث، مما يدل على ان الادانه كانت بسبب تخلفهم عن نصره علي عليه السلام و تخاذله عن الوقوف معه في ساعه الحسم، حيث كان يجب عليهم ان يواصلوا المسيره عبد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم تحت رايه علي عليه السلام التي هى رايه المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و يتصاعد المقوف ليتخذ طابعا ثوريا حازما فقد دعت الانصار إلى رفع السلاح و الثوره لتصحيح المسيره و توجيهها إلى ما كان يريده اللَّه تعالى و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم فقالت:

يا معشر البقيه، و اعضاد المله، و حضنه الاسلام، ما هذه الفتره عن نصرتى، و الونيه عن معونتى، و الغمزه في حقى، و الشنه عن ظلامتى، اما كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: المرء يحفظ في ولده! سرعان ما احدثتم، و عجلان ما اتيتم، الان مات رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم امتم دينه، هان ان موته لعمرى خطب جليل استوسع و هنه، و استبهم فتقه، و فقد راتقه، و اظلمت الأرض له، و

**خضعت الجبال، و اكذت الامال، اضيع بعد الحريم، و هتكت الحرمه، و اذيلت المصونه، و تلك نازله اعلن بها كتاب اللَّه قبل موته، و انباكم بها قبل وفاته فقال (و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم و من يقلب على عقبيه فلن يضر اللَّه شيئا و سيجزى اللَّه الشاكرين.(**

**ايها بنى قيله! اهتضم تراث ابى، و انتم بمراى و مسمع، تبلغكم الدعوه، و يشملكم الصوت، و فيكم العده و العدد، و لكم الدار و الجنن، و انتم نحبه اللَّه التي انتخب، و خيرته التي اختار.**

**باديتم العرب، و بادهتم الامور، و كافحتم اليهم، حتى دارت بكم رحى الاسلام، و در حلبه، و خبت نيران الحرب، و سكنت فوره الشرك، و هذات دعوه الهرج، واستوثق نظام الدين.**

**افتا خرتم بعد الاقدام، و نكصتم بعد الشده، و جبنتم بعد الشجاعه، عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا ائمه الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون.**

**الا و قد ارى ان قد اخلدتم إلى الخفض، و ركنتم إلى الدعه، فجحدتم الذي وعيتم، و سغتم الذي سوغتم، و ان تكفروا انتم و من في الأرض جميعا فان اللَّه لغنى حميد.**

**الا وقد قلت لكم ما قلت على معرفه منى بالخذله خامرتكم، و خور القناه، و ضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبره الظهر، ناقبه الخف، باقيه العار، موسومه الشعار، موسوله بنار اللَّه الموقده التي تطلع على الافئده، فبعين اللَّه ما تعملون و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون)(٤.(**

**ان النقاط التي احتوتها هذه الخطبه الشريفه كثيره و الحديث عنها جمعيا يحتاج إلى مجال اوسع، ولكننا فقط نشير إلى ما يمس الموضوع الذي نحن بصدده.**

**لقد وجهت الزهرا عليهاالسلام خطابها للانصار، فذكر بتاريخهم المجيد، و مواقفهم الشجاعه في نصره الاسلام، و نصره رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و بكلمه موجزه ذكرتهم بدوره الجهادى حينما كانت المرحله تستوجب حمل السلاح، و التضحيه بالروح و الدم، و اكدت لهم ان المرحله الراهنه تستوجب نفس الموقف و تتطلب نفس الدور لماذا؟ لان الا حداث التي وقعت و زوت عليا عليه السلام عن دوره تعنى (الان مات رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و امتم دينه، ها ان موته لعمرى خطب جليل استوسع وهنه و استبهم فتقه، و فقد راتقه، و اظلمت الأرض له، و خشعت الجبال، و اكدت الامال، اضيع بعده الحريم، و هتكت الحرمه، و اذيلت المصونه(...**

**ثم قالت لهم: ان لا عذر لكم عن النصره و انت تمتلكون العده و العدد، و القوه الكافيه لا عاده الامور إلى نصابها (ايها بنى قيله! اهتضم تراث ابى، و انتم بمراى و مسمع، تبلغكم الدعوه، و يشملكم الصوت، و فيكم العده و العدد، و لكم الدار و الجنن(...**

**فلماذا تهاونتم عن قتال (قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في**

**دينكم فقاتلوا ائمه الكفر انهم لا ايمان لهم. (...**

**و لا يوجد بيان اكثر وضوحا للدعوه إلى الثوره المسلحه من هذا البيان، خاصه اذا اخذنا بنظر الاعتبار المنظور العقائدى الذي تتميز به الزهراء، و يشكل معالم شخصيتها فهى ليست من هذه الناحيه كاى امراه من المسلمين، كيف وقد قرن اللَّه تعالى رضاه برضاها و سخطه بسخطها، فهل يمكن ان تتخذ هذا الموقف المتشدد و الواضح من دون ان يكون له خلفيه ربانيه تكسبه الشرعيه التامه. بل هل يسوغ القول بان موقفها هذا لاجل فدك كارض زراعيه، أو ما تركه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم من اموال و عقار- ان كان ترك مثل ذلك- أو من اجل سهام الخمس التي نص عليها القرآن الكريم. و بكلمه: من اجل مكاسب ماديه محدوده؟**

**ان كل شيء في سيرتها يجيب بالنفى، فالزهراء كانت اكبر من ذاك و من غيره، لقد حددت بوضوح تام ان ما وقع هو مفهوم (امته دنيه) هذا المفهوم الخطير الذي يتسحق التضحيه بكل شيء، و على الانصار باعتبارهم اللطيعه المجاهده ان يدركوا ذلك، و يتفهموا صرخه الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم و دعوته على لسان الزهراء انها صرخه السماء و النبوه، ففدك هى: الخلافة الرشيده الواعيه الممتده من النبوه المتصله بها، و لم تخسر الزهراء (فدك المزرعه) و لم تخسر الارث المادى، و لا سهام الخمس، لا نهالم تكن تتمتع بالمردود المادى لكل تلك الامور، لا في حياه الرسول، و لا بعد وفاته، فقد كانت تنفقها على المسلمين، و سواء عادت لها فدك أو لم تعد، فان الزهراء عليهاالسلام ستبقى في حياتها الماديه على مستوى واحد من العيش(٥ (و انما كان الهدف الحقيقى من عدم اعتراف الخليفه بان النبى كان قد منحها فدكا، هو سلب حجيه الزهراء، في كلامها و قولها و دعواها. و هذا ما حدث- بادب- في بعض الاحيان، و من دونه في احيان اخرى، فتاره يخاطبها ابوبكر بقوله (يا خيره النسوان، و ابنه خير الاباء...) حينما قال لها انى سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و اخرى يصعد المنبر ليقول: (ايها الناس ما هذه الرعه إلى كل مقاله! اين كانت هذه الامانى في عهد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الا من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، انما هو ثعاله**

شهيده ذنبه!- اى ثعلب يشهد له ذيله- مرب لكل فتنه،هو الذي يقول كروها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه، و يستنصرون بالسناء كام طحال احب اهلها إليه البغى.(6)(...

و تمكنت الخلافة من تحقيق نجاح موقت تمثل بعدم قبول دعوى الزهرا عليهاالسلام التي وقف معها القران في ايات الارث، و علي عليه السلام و ام ايمن، في مقابل ما قال ابوبكر انه سمعه من النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم انا معاشر الانبياء لا نورث.

المحور الثاني: عدم اهليه الحاكم و الحكومه

الواضح من حركيه الزهرا عليهاالسلام انها كانت تستهدف امرين في غايه الاهميه و الخطوره.

الامر الاول: العمل على تنفيذ امر اللَّه عز و جل، و رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم بتنصيب

علي عليه السلام خليفه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و ذلك بتغير الواقع الذي افرزته اجتماعات السقيفه.

و الامر الثاني: التاكيد- اذا لم يتحقق الامر الاول- على عدم شرعيه نظام الحكم، و طريقه تعيين الخليفه، و شخص الحاكم.

و استعملت عليهاالسلام لذلك ادواه الصراع الثلاثه فدك، و سهام الخمس، و الميراث.

و قد بحث ذلك بتفصيل و تحقيق عدد من العلماء الاعلام في مقدمتهم السيد الشريف المرتضى في كتابه (الشافى)، و لسنا هنا بصدد بحث ذلك، و انما الذي يهمنا هو البحث فيما كانت تستهدفه الزهراء من طرح فدك و السهام و الميراث، ليس في اطار قضائى بحت، و انما في بعد دينى و سياسى مقرون بالصراحه و الحده البالغه، فها هى صلوات اللَّه و سلامه عليها تخاطب المسلمين الذين بايعوا ابابكر بقولها:

»حتى اذا اختار اللَّه لنبيه دار انبياء، ظهرت حسيكه النفاق، و شمل جلباب الدين، و نطق كاظم الغاوين، و نبغ خامل الافكين، و هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، و لقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، و احمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير ابلكم، و وردتم غير شربكم...«(٧).

و تقول لابى بكر و هو حينئذ الحاكم المبسوط اليد (يا ابن ابى قحافه اترث اباك و لا ارث ابى، لقد جئت شيئا فريا، فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللَّه، و الزعيم محمد، و الموعد القيامه، و عند الساعه يخسر المبطلون...)(٨).

و في روايه انها عليهاالسلام دخلت على ابى بكر بعد ما استخلف فسالته ميراثها من ابيها، فمنعها، فقالت له: لئن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدى و اهلى. قالت: فلم ورثت انت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و اله دون ولده و اهله؟ قال: فما فعلت يا بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، قالت: بلى انك عمدت إلى فدك و كانت صافيه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله فاخذتها، و عمدت إلى ما انزل اللَّه من السماء فرفعته عنا. فقال: يا بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لم افعل، حدثنى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان اللَّه تعالى يطعم النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم الطعمه ما كان حيا، فاذا قبضه اللَّه إليه رفعت)(٩.(

و روى كذلك انها قالت لابى بكر ان ام ايمن تشهد لى ان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم اعطانى فدكا، فقال لها: يا ابنته رسول اللَّه، واللَّه ما خلق اللَّه خلقا احب إلى من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ابيك، و لوددت ان السماء و قعت على الأرض يوم مات ابوك، واللَّه لئن تفتقر عائشه احب إلى من ان تفتقرى، اترانى اعطى الاحرم و الابيض حقه و اظلمك حقك، و انت بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، ان هذا المال لم يكن للنبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم و انما كان مالا من اموال المسلمين يحمل النبى به الرجال، و ينفقه في سبيل سااللَّه، فلما توفى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم وليته كما كان يليه.

قالت: واللَّه لا كلمتك ابدا، قال: واللَّه لا هجرتك ابدا. قالت: واللَّه لادعون اللَّه عليك. قال: واللَّه لادعون اللَّه لك.

فلما حضرتها الوفاه اوصت الا يصلى عليها، فدفنت ليلا، و صلى عليها عباس بن عبدالمطلب، و كان بين وفاتها و وفاه ابيها اثنان و سبعون ليله)(١٠. (

و يروى انس بن مالك ان فاطمة عليهاالسلام اتت ابابكر فقالت:

لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات و ما افاءاللَّه علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوى القربى، ثم قرات عليه قوله تعالى (و اعلموا انما غنمتم من شيء فان للَّه خمسه و للرسول و لذوى القربى...) الايه.

فقال لها ابوبكر: بابى انت و امى و والد ولدك السمع و الطاعه لكتاب اللَّه و لحق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم منه، و لم يبلغ علمى منه ان هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملا.

قالت: افلك هو و لاقربائك؟

قال: لا، بل انفق عليكم منه و اصرف الباقى في مصالح المسلمين.

**قالت: ليس هذا حكم اللَّه تعالى.(...**

**و عن ابى الاسود عن عروه قال: ارادت فاطمة ابابكر على فدك و سهم ذوى القربى، فابى عليها و جعلهما في مال اللَّه تعالى)(١١.(**

**لقد جاءت نصوص كثيره بهذا المعنى، و هى جمعيها توكد مع الخليفه الاول، و معه عمر بن الخطاب، الزهراء فدكا و الميرثا و سهام الخمس، و ان كانت النصوص قد اختلفت جزئيا في بعض الصياغات و التعبيرات اليت تفاوتت بين اللين الشديد و القسوه البالغه، و لكن المهم هو تاكيدها على ذات الواقعه، و ان قضيه المنع قد وقعت قطعا.**

**و ما يمكن ان نستنتجه من ذلك كثير، يستحق البحث و التحقيق، ولكننا سنقتصر على ما يتطلبه البحث و تقتضيه الحاجه.**

**ان اول ما يلفت النظر، ان الزهرا عليهاالسلام دخلت ساحه الصراع باسلوب لا يعرف اللين و المجامله، اسلوب المواجهه الصريحه الغاضبه، فبمجرد ان تبين لها ان الخليفه يرفض الاذعان لمطالبها، وقفت موقف من لا يخشى في اللَّه لومه لاثم.**

**و حرصت كذلك على ان تكون محاججاتها مع ابى بكر و عمر في مسجد الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم اى في مراى و مسمع المسلمين، و لم تحاججه في بيتها أو بيته، و كان بامكانها ان تفعل ذلك، و كان من الممكن ان يحقق لها ذلك الحصول على كل مطالباتها في فدك و الميراث و السهام، لان هذه الموارد لس لها تاثير كبير على بيت مال المسلمين، اذ ان الامور كانت تسير على ما يرام في زمن الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم حين كانت فدك و سهام ذوى القربى خارج نطاق بيت المال، لانها كانت (طعمه) على حد تعبير الخليفه الاول- اى انها كانت ملكا للنبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم أو على اقل تقدير كانت في حيازته و ليس**

**فى بيت مال المسلمين- فلما توفى الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم عادت إلى بيت المال. و لما عادت لم ينعكس تاثيرها على اوضاع المسلمين بشكل ملحوظ. بل ان الماثور تاريخيا ان المصدر الاساسى لبيت مال المسلمين كان في الدرجه الاولى الزكاه لا الخمس، و الزكاه- بمعنى الصدقه الواجبه- محرمه على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و على آله، فلم يكن له و لهم فيها نصيب.و تاتى واردات الاراضى الزراعيه المفتوحه كصمدر آخر من مصادر الدوله. و لم يكن للخمس دور كبير في ميزانيه الدوله الاسلاميه في ذلك الوقت، و كان الخليفه الاول يدرك ذلك تماما، و يعرف ان مطالبات الزهرا عليهاالسلام لا تعنى شيئا من الناحيه الماديه و كان بوسعه ان يعترف**

لها بذلك و يحسم القضيه بهدوء تام، ولكنه رفض و اصر على انه سمع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث الا ان الزهرا عليهاالسلام اصرت على ان تكون مطالبتها علنيه و امام المسلمين جميعا، فخرجت من خدرها و طالبت بحقها في مركز الخلافة مسجد ابيها. و لم يكن هذا من عاده مخدرات أهل البيت عليهم السلام. و نحن على يقين ان الف فدك لن تغر الزهراء بالخروج من بيتها، للمطالبه بها من رجال ما كان يمكن ان يكون لهم شان و لا قيمه لولا المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم، الذي انقذهم من شفا حفره من النار، و هى تعلم ان هولاء لم يكن لهم تاريخ قبل الاسلام، و لم يكن المجتمع العربى يعيرهم اهميه و لا يحتفظ لهم بمكانه. و تعلم انها من شجره النبوات الباسقه، و بيوتات العرب السامقه، بل هى ذروتها من دون ريب، و هذا يكفى لتمتنع عن المطالبه بفدك و غيرها حتى لو انهكها الجوع، و هى التي لم تعرف الشبع حينما كانت فدك نحلتها و سهام الخمس بين يديها. لانها كانت تتصدق بكل ذلك و تنفقه على المسلمين، و حتى لو ارجع لها الخليفه فدكا و سهام الخمس، فانها ستنفقها بالنحو الذي كان المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم ينفقها في حياته، فلماذا خرجت الزهراء؟ و لماذا وقفت تطالب بحقها؟ و كان الاولى ان يفعل ذلك بدلا عنها لعباس عمها، أو على زوجها، أو قثم أو غيرهم من بنى هاشم؟ ماذا كانت تستهدف الزهراء بذلك؟ و ماذا كانت تريد ان تقول؟

من الوضح لمن يتتبع حركه الزهرا عليهاالسلام، هذه الحركه التي اتسمت بالشجاعه و الجراه، و المواجهه الحديه للسلطه، و لشخص الخليفه، انها عليهاالسلام ارادات ان تثبت للامه عدم شرعيه الحاكم و الحكومه، فكما قلنا كان بامكانها ان تطالب الخليفه بحقها و هى في بيته أو بيتها، و تحصل على ما تريد، ولكنها خرجت إلى المسجد و اسمعت المسلمين دعوتها، و سجلت على الخيفه عده مخالفات لكتاب اللَّه، في آيات الارث و آيه الخمس، فكان الموقف من كلا الطريفين- الزهراء و ابوبكر- يستهدف معنى سياسيا اعمق من ظاهر دعواهما، فابوبكر اراد ان يقطع الطريق على علي عليه السلام بتحجيم الزهرا عليهاالسلام و اخراجها من دائره الصراع، و ارادت الزهراء ان تثبت للامه عدم شرعيه الخليفه، الذي خالف المحكم من كتاب اللَّه العزيز، و بمواجهته لبنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم التي يرضى اللَّه لرضاها و يسخط لسخطها. و بدون هذا الافتراض لا يمكن ان فنهم المبرر الذي دعا عمر بن الخطاب لارجاع فدك إلى ورثه الزهراء بعد توليه الخلافة اذ لو كان يعتقد ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا و لا فضه و لا ارضا و الاعقارا و لكنا نورث

**الايمان و الحكمه و العلم و السنه)(١٢ (لما اعادها إلى الورثه لانه سيسجل على نفسه مخالفه لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم و مخالفه لسيره ابى بكر في قضيه شكلت حدثا خطيرا بعد وفاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم. و منه نفهم عزوف اميرالمومنين علي عليه السلام عن فدك بعد توليه الخلافة. ففدك ليست المزرعه في نظر الزهراء و انما الخلافة و مطالبتها بها في نظر الخلفه ليس الا المطالبه بالخلافة.**

**كما ان خروج الزهراء من بيتها، و مطالبتها العلنيه، و مواجهتها للخليفه الاول، مواجهه صريحه و حاده، هو بذاته من اخطر الوان الاحتجاج، و حاله من اشد حالات الغضب. و كان الواجب على الامه لو كانت واعيه و مدركه ان تخرج معها في موقف بدرى حاسم.**

**ما الذي اخرج الزهراء من بيتها؟ فلنجيب جوابا ساذجا يتمشى مع ظاهر القضيه و نقول ان الزهرا عليهاالسلام طالبت بفدك و الميراث و سهام الخمس لحاجتها المعاشيه لذلك حيث يويد القرآن موقفها و حقها في كل تلك الموارد. حتى في هذا الفرض كان الواجب على السملمين ان يقفوا موقفا حازما من الخليفه لانهم يعلمون ان الشخص الثاني في الخلافة كان قبل عده ايام يقول حينما اراد رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ان يكتب كتابا لن يظلوا بعده ابدا (حسبنا كتاب اللَّه) و كتاب اللَّه عز و جل يقول ان فاطمة و ريثه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم فلماذا تركوا الكتاب اليوم و لجاوا إلى السنه!؟**

**و كان الواجب ان يقولوا للخليفه الاول اذا كنت قد سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول (نحن معاشر الانبياء لا نورث) فان عليا بشهادته للزهراء يحكى معنى (ان معاشر الانبياء يورثون) اضافه إلى شهاده ام ايمن زوج الرسول التي بشرها بالجنه، فلماذا ترجح شهاده أو روايه بعض الصحابه على بعض؟**

**و كان الواجب ان يقولوا له: اذا كانت الشهاده تعنى تغليب الظن في نفس القاضى فان ادعاء الزهراء عليهاالسلام يورث اليقين، اذ هل من المنطقى ان تقول ما ليس بحق، منعبر عنها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بانها بضعه منه؟ و هى من الذين عناهم اللَّه بقوله تعالى (انما يريد اللَّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) هل يمكن ان تطلب ما ليس لها؟ أو تدعى على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم ما لم يقله؟**

**ان افتراض ان يكون خروج الزهراء من بيتها للمطالبه بفدك و السهام و الميراث بحجمها المادى المحدود و ان كان هو ظاهر النصوص الوارده غير صحيح، و**

**الصحيح ان المستنتج من شكل الصراع و طبيعته يكشف ان السبب الحقيقى كان هو الحرص على مستقبل الاسلام، الذي تتحمل الخلافة الجديده مسوولیته، و مقدار صلاحها و كفاءتها لاداء هذا الدور، و الذي كانت تراه يتمثل باميرالمومنين علي عليه السلام دون سواه من الصحابه استنادا لما سمعته من ابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**و ارادت سلام اللَّه عليها بخروجها ان يعلم كل مسلم انها غاضبه على الخليفه و الخلافة، و هذا لا يتحقق و هى جالسه في بيتها، بل لابد من الخروج إلى المسجد و اعلان ذلك بوضوح و صراحه.**

**و قد فعلت ذلك و في مناسبات عديده متقاربه قبل ان تعتزل الامه، و تقر في بيتها، قالت لابى بكر (واللَّه لا كلمتك ابدا، واللَّه لادعون عليك) و تقول له (يا ابن ابى قحافه اترث اباك و لا ارث ابى لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم اللَّه و الزعيم محمد و الموعد القيامه و عند الساعه يخسر المبطلون.(**

**و امثال ذلك من الكلمات التي تقدم ذكرها و سياتى بعضها عن قريب.**

**و لم يكن ما فعلته سلام اللَّه عليها رده فعل عاطفيه، لا صله لها بالمسيره النبويه الكبرى، بل كانت حلقه الحسم الاخيره في تشخيص الحاكم الصالح، و نظام الحكم الرشيد، فلم تكن تلك الغضبه غضبه امراه من سائر الناس و انا غضبه للَّه عز و جل جسدها في حبيبه رسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم، و غضبه لرسوله صلى اللَّه عليه و آله و سلم جسدها في ابنته، فكان من المفروض بالامه الواعيه المومنه بان الاسلام دين القيم و المقايسس الربانيه، و ان في قمه هذه المقاييس هو رضا اللَّه عز و جل في كل قول و عمل، ان لا تقف موقف المتفرج و هى ترى من قال فيها المصطفى صلى اللَّه عليه=و آله و سلم (فاطمه يرضى اللَّه لرضاها و يسخط لسخطها) ساخطه غاضبه.**

**و مهما يكن الامر فان الزهرا عليهاالسلام عملت بمتضى تكليفها الشرعى، فاذت المهمه النبويه الشاقه بافضل ما يكون. و لعل من يدقق في خطاباتها التي تفوح منها رائحه النبوه و الوحى يدرك حجم الالم الذي كان يعتصر قلبها على مستقبل الاسلام و المسلمين، و الخوف من المخاطر المستقبليه الاتيه عن قريب.**

**و على كل حال فان الزهراء اكدت بوضوح للامه و للخلافه حقائق عديده كان يجب ان لا تقع. اكدت انها ظلمت بانتزاع فدك منها، فدك الخلافة لا فدك المزرعه، و حرمت من سهام الخمس و الميراث، لا لانه خمس و ميراث بل لانه تعطيل لكتاب اللَّه عز و جل و**

عمل بخلاف ما امر به تعالى. و اكدت انها غاضبه ساخطه على الخليفه و على كل من وقف معه أو سكت أو رضى بفعله.

ان هذه الامور الثلاثه تكفى واحده منها لسلب شرعيه الحاكم و الحكومه التي يفترض انا تقوم على اساس الاسلام و القرآن.

## المحور الثالث: الاحتجاب الساخط

حاولت الزهرا عليهاالسلام- عملا بالتكليف الشرعى- خلق هزه عاطفيه و دينيه في نفوس الصحابه من المهاجرين و الانصار، لتغيير موقفهم من قضيه الاستخلاف، فدعتهم إلى تطبيق الموازين الشرعيه، و انفاذ وصيه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشان علي عليه السلام، و لم تخرج في جميع ذلك عن اطار الحجاج الدينى و المنطقى، فاستعملت فدكا و الميراث و سهام الخمس و غيرها كحجج شرعيه لادانه الخلافة، و تزييف مواقفها، فجرت بينها و بين ابى بكر ما هو معرفو و ثابت في كتب الحديث و التاريخ.

و لم تفلح كل تلك المحاولات فقد اصر ابوبكر على عدم تصديق الزهرا عليهاالسلام في دعواها، و لم يقف المسلمون إلى جانبها الموقف المناسب، فادركت ان المسيره النبويه الكبرى التي قادها ابوها صلى اللَّه عليه و آله و سلم و بذل من اجلها حياته و استقراره، و لا قى في سبيلها من العذاب و العنت و الاذى ما لم يلقه نبى قط، بدات تتجه إلى الطريق غير المرسوم لها، و حينئذ قررت ان تتخذ موقفا غاضبا، و هو آخر محاوله لا صلاح الامور لانها كانت تعلم كما كان يعلم كل الصحابه ان الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم قال: ان اللَّه يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها، فهل يمكن لمسلم يومن باللَّه و رسوله ان يسخط رب العالمين بايذاء بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم، تحت مبررات من قبيل خوف الفتنه، أو مصالح الامه، و امثال ذلك؟ و هل الايمان الحقيقى الا الطاعه الخاطه الكامله للَّه و رسوله بتنفيذ اوامر هما بشكل مطلق و كامل؟ فماذا يمكن ان تقول الامه غدا لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم عند الحوض ان سالهم عن وديعته و ريحانته و ما لقيت بعده.

و لاجل تاكيد هذه الحقيقه اعلنت صلوات اللَّه و سلامه عليها سخطها على كل من تخاذل و تهاون في نصرتها من مجتمع المدينه، و اعلنت كذلك سخطها على السلطه الحاكمه المتمثله بشخص الخليفه.

و هذه الحجه (الرضى و السخط) هى آخر و اهم اداه في عمليه التغيير التي قادتها الزهرا عليهاالسلام، اذ لو شك احد من الصحابه و المسلمين في احقيه الزهرا

**عليهاالسلام في فدك أو الارث أو سهام الخمس، و ان الخليفه الاول سمع النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث. أو انه اجتهد في ذلك فاخطا أو اصاب، أو انه خاف وقوع الفتنه من منح الزهراء فدكا و سهمها من الخمس، فان احدا لا يشك في ان ما صدر من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشان الزهراء فوق الشك و الريب، خاصه و ان الخليفه لم يروى نسخا لما صدر عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم بشان ابنته عليهاالسلام بل كان يعترف بوضوح بمفهوم ان اللَّه يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها.**

**اما بالنسبه لسخطها على المجتمع الذي لم يتحمل المسووليه و لم يرع الامانه فقد روى انه لما اشتد بفاطمه بنت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم الوجع و ثقلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين و الانصار فقلن لها:**

**كيف اصبحت يا ابنه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم؟**

**فقالت:**

**واللَّه اصبحت عائفه لدنياكم، قاليه لرجالكم، لفظتهم بعد ان عجمتهم، و شئنتهم بعدان سبرتهم.**

**فقبحا لفلول الحد و خور القناه، و خطل الراى و بئسما قدمت لهم انفسهمان سخط اللَّه عليهم و في العذاب هم خالدون.**

**لا جرم... قد قلدتهم ربقتها، و شنت عليهم غارتها، فجدعا و عقرا، و سحقا للقوم الظالمين.**

**ويحهم ان زحزحوها عن رواسى الرساله و قواعد النبوه، و مهبط الروح الامين، و الطبين بامر الدنيا و الدين، الا ذلك الخسران المبين.**

**و ما الذي نقموا من ابى الحسن!**

**نقموا واللَّه منه نكير سيفه.**

**و شده وطاته و نكال وقعته و تنمره في ذات اللَّه.**

**و تا اللَّه لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم لا عتلقه، و لسار بهم سيرا سجحا، لا تكلم حشاشته، و لا يتعتع راكبه، و لا وردهم منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه، و لا صدرهم بطانا قد تحير بهم الراى، غير متحل بطائل، الا بغمر الناهل، وردعه سوره الساغب، و لفتحت علهيم بركات من السماء و الأرض، و سياخذهم اللَّه بما كانوا يكسبون.**

**الا فاستمع و ماعشت اراك الدهر عجبه، و ان تعجب فقد اعجبك الحادث، إلى اى لجا استندوا، و باى عروه تمسكوا؟ لبئس المولى و لبئس العشير، و لبئس للظالمين بدلا.**
**استبدلوا واللَّه الذنابى بالقوادم، و العجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الا انهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون) ويحهم (افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون(**
**اما لعمر اللَّه لقد لقحت فنظره ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا و ذعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون، و يعرف التالون غب ما اسس الاولون، ثم طيبوا عن انفسكم نفسا، واطمئنوا للفتنه جاشا، و ابشروا بسيف صارم و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا، و جمعكم حصيدا، فيا حسره عليكم، و انى لكم وقد عميت عليكم انلزمكموها و انتم كارهون و الحمدللَّه رب العالمين و صلاته على محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين)(١٣.(**
**و بالنسبه للخليفه فقد اعلنت عن غضبها و سخطها عليه بشكل اوضح من خلال محاجه منطقيه حاسمه لم تدع فيها مجالا للشك في حجم غضبها و تذمرها عليه فبعد ان اشتدت علتها و اصبحت طريحه الفراش جاءها ابوبكر و عمر عائدين لها و استاذنا عليها فابت ان تاذن لهما، فحلف ابوبكر ان لا يضله سقف حتى يدخل**
**عليها و يترضاها، و بات ليله في البقيع لم يظله شيء، فجاء عمر إلى اميرالمومنين و قال له:**
**ان ابابكر شيخ رقيق القلب و له مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم صحبه في الغار، و اتينا فاطمة غير مره نريد الاذن عليها فابت فان رايت ان تستاذن منها. فاجابه عليه السلام و دخل على فاطمة فعرفها بما يريد الرجلان، فابت ان تاذن لهما. فقال عليه السلام: انى ضمنت لهما. فقالت: البيت بيتك ، و النساء تبع للرجال لا اخالف عليكم شيئا. فادخلهما عليها.**
**و لما وقع بصرهما عليها سلما فلم ترد عليهماالسلام.**
**فقال ابوبكر: يا بنت رسول اللَّه انما اتيناك ابتغاء مرضاتك و اجتناب سخطك. نسالك ان تغفرى لنا و تصفحى عما كان منا اليك.**
**قالت: لا اكلمكما من ارساى كلمه واحده حتى القى ابى و اشكوكما اليه، و اشكو صنيعكما و فعالكما و ما ارتكبتما منى.**
**قال: انا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفرى و اصفحى عنا و لا تواخذينا بما كان منا.**

**فالتفتت إلى اميرالمومنين عليه السلام و قالت: انى لا اكلمهما كلمه حتى اسالهما عن شيء سمعاه من رسول اللَّه فان صدقانى رايت رايى.**

**فقالت: سلى انا لا نقول الا الحق.**

**فقالت: انشدكما باللَّه هل سمعتما رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: فاطمة بضعه منى و انا منها من آذاها فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى اللَّه ، و من آذاها بعد موتى كان كمن آذاها في حياتى، و من آذاها في حياتى كان كمن آذاها بعد موتى؟**

**قالا: اللهم نعم.**

**فقالت: اللهم انى اشهدك انهما آذيانى، واللَّه لا كلمتكما من راسى كلمه واحده حتى القى ربى و اشكوكما إليه بما صنعتما بى و ارتكبتما منى)(١٤.(**

**و اورد ابن قتيبه الروايه بهذا الشكل:**

**»فقال عمر لابى بكر رضى اللَّه عنهما، انطلق بنا إلى فاطمه، فانا قد اغضبناها، فانطلقا جمعيا، فاستاذنا على فاطمه، فلم تاذن لهما، فاتيا عليا فلكماه، فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهماالسلام.**

**فتكلم ابوبكر فقال: يا حبيبه رسول اللَّه! واللَّه ان قرابه رسول اللَّه احب إلى من قرابتى، و انك لاحب إلى من عائشه ابنتى، ولوددت يوم مات ابوك انى مت، و لا ابقى بعده، افترانى اعرفك و اعرف فضلك و شرفك و امنعك حقك و ميراثك من رسول اللَّه، الا انى سمعت اباك رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: «لا نورث ما تركناه فهو صدقه.«**

**فقالت: ارايتكما ان حدثتكما حديثنا عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم تعرفانه و تفعلان به؟**

**قالا: نعم.**

**فقالت: نشدتكما اللَّه الم تسمعا رسول اللَّه يقول: رضا فاطمة رضاى و سخط فاطمة من سخطى، فمن احب فاطمة ابنتى فقد احبنى، و من ارضى فاطمة فقد ارضانى، و من اسخط فاطمة فقد اسخطنى؟**

**قالا: نعم سمعناه من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم.**

**قالت: فانى اشهداللَّه و ملائكته انكما اسخطتمانى و ما ارضيتمانى، و لئن لقيت النبى لا شكونكما اليه.**

**فقال ابوبكر: انا عائذباللَّه تعالى من سخطه و سخطك يا فاطمه. ثم انتحب ابوبكر يبكى حتى كادت نفسه ان تزهق و هى تقول: واللَّه لادعون اللَّه عليك في كل صلاه اصليها.**

**ثم خرج فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله و تركتمونى و ما انا فيه لا حاجه لى في بيعتكم اقيلونى بيعتى)(١٥.(**

**و روى البخارى في صحيحه في الخمس ان فاطمة هجرت ابابكر فلم تكلمه حتى ماتت.**

**و رواه مسلم ايضا في صحيحه في كتاب الجهاد...)(١٦.(**

**و يروى ابن أبي الحديد ان فاطمة عليهاالسلام خاطبت ابابكر قائله: ما اسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول اللّٰه! واللّٰه لا اكلم عمر حتى القى اللّٰه)(١٧. (**

**و روى عن ابى بكر انه قال: ليتنى لم اكشف بيت فاطمة و لو اعلن على الحرب)(١٨. (**

**و قال: والصحيح عندى انها ماتت و هى واجده على ابى بكر و عمر، و انها اوصت الا يصليا عليها، و ذلك عند اصحابنا من الامور المغفوره لهما.**

**و كان الاولى بهما اكرامها و احترام منزلها لكنهما خافا الفرقه، و اشفقا من الفتنه ففعلا ما هو الاصلح بحسب ظنهما و كانا من الدين وقوه اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك، و الامور الماضيه يتعذر الوقوف على عللها و اسبابها، و لا يعلم حقائقها الا من قد شاهدها و لابسها. بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الامور!؟)(١٩.(**

**و تذكر بعض النصوص ان ابابكر اسف على ما صدر منه بحق الزهراء، و سعى إلى ارضائها بمختلف الوسائل لعلمه و معرفته بمكانتها عنداللّٰه عز و جل، و لولا ذلك لما قال كلمته المشهوره (يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله و تركتمونى و ما انا فيه لا حاجه لى في بيعتكم اقيلونى بيعتى.(**

**و بكلمه اوضح كان يعى ان الزهرا عليهاالسلام هى المقياس الحسى الحى لرضا اله عز و جل و سخطه، و ان الخلافة لا تعدل الثمن الذي دفعه باسخاطه لها.**

**و كان امام الخليفه اكثر من منفذ للخروج من هذا المازق ليسترضى الزهرا عليهاالسلام، كان بامكانه ان يرجح حديث (ان اللّٰه يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها) بكثره من سمعه و رواه عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و الذي يوجب القطع و اليقين بصدوره و وضوح دلالته، فيرجحه على حديث (انا معاشر...) الذي لم يروه غيره، و لغموض دلالته كذلك.**

**اذ ان ظاهر الايات التي تحدثت عن توريث الانبياء انهم عليهم السلام اورثوا العلم و الحكمه- لا المواريث الماديه حسب الفرض- لابنائهم الانبياء فاورثوهم النبوه، و لم يذكر القرآن غير ذلك فهل ينطبق هذا على الزهراء؟ و هل يقول به الخليفه؟ فان قال**

به كانت الحجه عليه ابلغ. و على كل حال فاننا لو بحثنا في دلاله هذا الحديث لوجدنا فيه الكثير من التهافت و الغموض.

و اذا كان منحه الزهراء فدكا و الميراث و سهام الخمس ذنبا و مخالفه شرعيه استنادا إلى حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) فان منعها من ذلك مخالفه شرعيه كذلك استنادا إلى حديث (يرضى اللَّه لرضاها و يسخط لسخطها) فلماذا لم يستند إلى وقوع التعارض أو التزاحم بينهما، أو يرجح الثاني على اساس ان اغضاب الزهرا عليهاالسلام قدر متيقن بينما حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) لا يعلم انه كذلك، أو انه يستعمل ولايته لمنحها تلك الامور كما فعل في موارد اخرى.

و من هذا و غيره نعرف ان تمسك الخليفه بفدك و السهام و الميراث كان بدافع سياسى، و انه بمصادرته لفدك اراد ان يعلن عن سلطته الفعليه على الدوله و ممارسته العمليه للحكم(٢٠.(

و كان يعلم ان مطالبه الزهرا عليهاالسلام تكتنز نفس المفهوم، فلم تطالبه بشيء من ذلك حين جاء يسترضيها. لوم يكن مستعدا للتجاوب معها حتى بادنى مراتب التجاوب، لانه لو فعل ذلك فسوف يحقق لها نصرا دينيا و سياسيا كبيرا، باعتبار ان الخليفه سيكون قد اعترف لها عمليا بمبدا حرمه اسخاط فاطمة و وجوب ارضائها، و يكون قد عمل به فعليا اذا ارجع لها فدكا و السهام و الميراث، اضافه إلى سلبيات مخالفته لما رواه عن النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم من انه قال: (انا معاشر الانبياء لا نورث) التي ستوقعه في حرج كبير امام المسلمين.

و رغم تاثر الخليفه الاول عاطفيا و بكائه الشديد لسخط الزهراء عليه، آثر الثبات لعى موقفه، لان اى تراجع سيودى إلى انهيار جميع الجهود التي اوصلته إلى الخلافة، و عوده الامور إلى نقطه الصفر، و سيفرض الف سوال نفسه عن شرعيه الطريقه التي تم فيها استخلاف ابى بكر.

و لم يخف ذلك على الزهرا عليهاالسلام فارادت ان توكد له بحزم ان موقفها الغاضب، ليس انفعالا عابرا و لا تاثرا عاطفيا، و لا لمعنها فدكا و الميراث و الخمس و انما هو موقف الواثق من سلامه و صحه موقفه، و مشروعيه مطلبه فقالت له:

)و اللَّه لادعون اللَّه عليك في كل صلاه اصليها) و قبل ذلك قالت له و لعمر بن الخطاب: (و لئن لقيت النبى لا شكونكما اليه.(

و لاجل ان يفهم الخليفه و السلطه و الامه ان موقفها ليس عابرا، و لن يتغير، و انها لم تصفح و لن تصفح و ان ما قامت به خط ثابت و ليس حاله عابره، اوصت ان لا

يصلى الخليفه عليها و لا يشهد جنازتها، و ان يخفى قبرها. لتعبر بذلك عن اشد الوان السخط و الرفض و توكد حتى بموتها و اخفاء قبرها عن موقفها الرافض لشخص الخليفه و النظام الحاكم بكل ابعاده و تفاصيله، ولكى لا يدعى احد بعد وفاتها انها رضيت عمن سخطت عليه، اذ لو لم يكن الامر كذلك لما اوصت بتلك الامور.

## نتيجه البحث

و بهذا نستخلص ان النبوه الخاتمه اعدت الزهرا عليهاالسلام لتواصل بعد ابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم تنفيذ مهمه نبويه مقدسه تتمثل بارساء قواعد الخلافة و الإمامة- عمليا- لعلي عليه السلام بعد ان استنفدت الامور الاخرى- في حياه النبى- قدرتها على ذلك.

و رغم ان جهودها عليهاالسلام لم تثمر ايجابيا، و انتهت الاوضاع إلى ما انتهت إليه على صعيد الواقع، و بقى علي عليه السلام جليس داره، الا انها استطاعت ان توكد- بلسان النبوه- على هدف آخر لا يقل اهميه عن سابقه و هو ان نظا الخلافة و الحكم الذي قام بعد وفاه المصطفى صلى اللَّه عليه و آله و سلم لا يمتلك الرعيه سواء في طريقه تعيين الخليفه، أو طريقه انتخابه، و ان ما وقع يختلف كليا عما هو مقرر في حكم اللَّه تعالى.

و لو لم نقبل هذه النتيجه و قلنا ان التعيين الذي مثلته السقيفه، و البيعه التي تلته صحيحان من حيث المبدا، فان الحقيقه التي افرزتها معارضه الزهرا عليهاالسلام هى عدم شرعيه المصداق على اقل تقدير. و ان ما كان يجب ان يقع حسب التخطيط الربانى هو ان يتولى الخلافة علي عليه السلام لانه الامتداد الطبيعى لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله و سلم.

و هذا الهدف ليس بامكان اى كان تحقيقه خاصه في ظل اجواء سياسيه، اتسمت بالعنف و عدم اللين، عبرت عنها كلمات من مثل (خوف الفتنه، و شق الصف) و امثال ذلك، و التي كانت كفيله بالاطاحه باى راس يجرء على تجاوز هذا الخط. و على هذا الضوء نجد ان الزهرا عليهاالسلام كانت خيار النبوه الوحيد،القادر على تحقيق هذا الهدف، و قد فعلت ذلك. فصلوات اللَّه و سلامه عليها حتى ترضى و بعد الرضا، و الحمدللَّه رب العالمين.

***

1- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ١٣:٦.

2- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٤٩:١٦.

3- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢١٤:١٦.

4- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢١٢:١٦.

5- من المعروف ان خديجه عليهاالسلام كانت من اثرياء العرب، و قد بذلت اموالها بسخاء لنشر الدعوه الاسلاميه حتى قال صلى اللَّه عليه و آله و سلم قام الاسلام بسيف على و اموال خديجه و لم يذكر المورخون تفاصيل ذلك و جعلوها صفحه منسيه من التاريخ في الوقت الذي اشادوا فيه بمواقف بعض الصحابه الذين كانت لهم مساهمات ماليه لا ترقى إلى مساهمه خديجه عليهاالسلام. و ما نوكد عليه هنا: ان الزهرا عليهاالسلام لم تكن بحاجه إلى المال و الثروه بعد ان ورثت مع ابيها صلى اللَّه عليه و آله و سلم اموال خديجه و ثروتها، و ماقد نجده في بعض النصوص من انها عليهاالسلام اوصت ببعض بساتينها و املاكها لذريتها قد يكون مصدرها الاموال الموروثه من امها عليهاالسلام اذ لا يوجد نص يشير إلى ان النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم نحلها غير فدك، أو اشترى لها هذه البساتين من اموال الخمس، و لو كان الامر كذلك لما كان معنى لاستثناء الخليفه الاول لها، و لصار حالها حال فدك في تطبيق سياسه (نحن معاشر الانبياء لا نورث). فاذا ثبت هذا فيجب ان نتحفظ بالنسبه للنصوص التي تظهر الزهراء بصوره الحريص على نفسها و ذريتها الخائفه من الفقر و الجوع و امثال ذلك. و انما نقلنا تلك النصوص في طيات هذا الكتاب تمثيا مع (الروايه التاريخيه) و تجنبا للاسلوب الانتقائى الذي قد يكون في بعض الاحيان مخلا بالموضوعييه.

6- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢١٤:١٦.

7- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٥١:١٦.

8- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٣٢:١٦.

9- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٣٢:١٦.

10- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢١٤:١٦.

11- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٣٠:١٦.

12- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢١٤:١٦.

13- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٢٣٣:١٦.

14- علل الشرايع للصدوق، ص ٧٣، باب ١.

15- الإمامة و السياسه، ص ٣١ مطبعه امير[

16- فضائل الخمسه من الصحاح السته ج ١٩٠:٣.

17- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٤٩:٦.

18- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٥١:٦.

19- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٥١:٦.

20- لم تذكر كتب الحديث و التاريخ كيف بدات عمليه مصادره فدك و سهام الخمس و الميراث، مع ما لهذا الموضوع من اهميه بالغه، و الذي يغلب على الظن هو ان ابابكر و عمر و غيرهما لاحظوا ان اوضح اشكال ممارسه الحكم التي باشرها النبى صلى اللَّه عليه و آله و سلم هو الصترف بالمال و الثروه و كات فدكا- رغم انها نخله للزهراء- مصدرا من تلك المصادر، اذ من الناحيه العمليه كان صلى اللَّه عليه و آله و سلم يصرف معظمها على شوون المسلمين و يبقى القليل لمصارفه الشخصيه فكان من ابى بكر ان صادر فدكا و تبع ذلك سهام الخمس ثم الميراث على اساس (انا معاشر الانبياء لا نورث) و تصرف كما يتصرف الرسول صلى اللَّه عليه و آله و سلم ليبرز حاكميته على الامه، و سيطرته على الامور.